67 to 77 AlMulk to AlMursalat Kashafalasrar wa Uddatulabraar Rasheeduddin AlMeybodi

تفسير كشف الاسرار و عدة الابرار معروف بتفسير خواجه عبدالله انصاري

تاليف رشيدالدين الميبدوي (520 هجري)

Tafsir Kashafal asraar wa Uddatulabrar by Rasheeduddin Almeybodi

Rasheedudin Al-Meybodi (520 Hijri)

هو
121
كشف الأسرار و عـُدَّةُ الأبرار
ابوالفضل رشيدالدين الميبدوى
مشهور به تفسير
خواجه عبدالله انصارى
به كوشش: زهرا خالوئى

http://www.sufism.ir/MysticalBooks%2892%29.php (word)

http://www.sufism.ir/books/download/farsi/meybodi/kashfol-asrar-kamel.pdf

67- سورة الملك- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
«تَبارَكَ» بزرگست و بزرگوار و با بركت خداوند در كردگارى و كارسازى الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ او كه بدست اوست پادشاهى.
وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) و او بر همه چيز تواناست.
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ او كه بيافريد مرگى و زندگانى.
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا تا بيازمايد شما را كه كيست از شما نكوكارتر وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) و اوست كه تواند و تاود امّا ميپوشد و ميآمرزد.
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً او كه بيافريد هفت آسمان طبق طبق زبر يكديگر ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ نبينى در آفرينش رحمن چيزى فروشده تا چيزى درمبايد فَارْجِعِ الْبَصَرَ چشم خويش و نگرستن خويش بآن باز گردان. هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ (3) تا خود هيچ شكافى بينى در آسمان يا گشادى؟.
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ باز چشم خويش و نگريستن خويش باز آر ديگر باره.
يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ با پس آيد با تو چشم از نگريستن و عيب جستن «خاسِئاً» كم آمده و با پس مانده وَ هُوَ حَسِيرٌ (4) و او مانده و باز ايستاده.
وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ بياراستيم آسمان پيشين بچراغها وَ جَعَلْناها

رُجُوماً لِلشَّياطِينِ آن را چنان كرديم تا بآن شياطين رانند از در آسمان وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ (5) و ساختيم ايشان را عذاب آتش.
وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ و ايشان راست كه بنگرويدند بخداوند خويش عذاب دوزخ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (6) و بد جايگاه كه دوزخ است.
إِذا أُلْقُوا فِيها چون ايشان را درافكنند در آتش سَمِعُوا لَها شَهِيقاً آتش را آوازى شنوند زشت صعب وَ هِيَ تَفُورُ (7) و آن ميجوشد.
تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ خواهد كه پاره پاره گردد از خشم. كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ هر گه كه گروهى را در آن افكنند سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها بپرسد ايشان را عذاب سازان دوزخ. أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) نيامد بشما هيچ آگاه كننده؟ و ترساننده
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ گويند: آرى آمد بما آگاه كنندهاى. فَكَذَّبْنا دروغ زن گرفتيم او را وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ و گفتيم اللّه هيچ چيز فرو نفرستاد إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ (9) نيستيد شما مگر در گمراهى بزرگ.
وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ و گويند: اگر ما مشنيديم چنانك زيركان شنوند. أَوْ نَعْقِلُ يا ما در ميافتيم چنان كه مؤمنان دريابند ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ (10) ما در دوزخيان نمبوديم.
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ بگناه خويش اقرار كنند. فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ (11) دورى باد دوزخيان را.
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ايشان كه مترسند از خداوند خويش ناديده لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (12) ايشان را آمرزش است و مزد بزرگوار.
وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ نهان داريد سخن خويش يا آشكارا ببانگ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (13) كه خداى داناست بهر چه در دلهاست.
أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ نداند او كه دل آفريد كه در دل چيست يا رهى آفريد كه حال او چيست؟ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14) و اوست باريك دان دوربين آگاه و دانا.
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا اوست كه شما را زمين بيافريد فرو دست و فرمانبردار فَامْشُوا فِي مَناكِبِها ميرويد در كنارهاى آن وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ و ميخوريد از روزى او وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (15) و برخاست از گور رفتن راست بسوى او.
أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ ايمن مباشيد ازو كه در آسمان أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ كه در زمين فرو برد شما را فَإِذا هِيَ تَمُورُ (16) آن گه زمين شما را گرداند.
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ يا ايمن باشيد ازو كه در آسمان أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً كه فرو گشايد بر شما سنگباران فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17) آرى بدانيد كه چون بود آنچه ميترسانيدم از آن.
وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دروغزن گرفتند ايشان كه پيش از ايشان بودند پيغمبران مرا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (18) چون بود و چون ديدى نشان ناخشنودى من.
أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ نمبينند و نمنگرند مرغ زبر ايشان صافَّاتٍ پروا كرده و گسترانيده وَ يَقْبِضْنَ و باز پر فراهم آرند پريدن را ما يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ نگه نميدارد آن را چنان مگر رحمن إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19) كه او بهمه چيز بيناست و دانا.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يا آن كيست كه شما را سپاهست يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ كه شما را يارى دهد اگر اللّه يارى ندهد إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20) نيستند ناگرويدگان مگر در فريب.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ يا آن كيست كه شما را روزى دهد إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ اگر

اللَّه روزى خود باز گيرد بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (21) نيست جز آنكـه مسـتيهند در شوخى و در رميدن.
أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى‏ وَجْهِهِ او كه نگونسار ميرود بر روى خويش «اهدى» راه راستتر است و راستر و تـر أَمَّنْ يَمْشِـي سَـوِيًّا يـا او كـه رود راسـت و بچم عَلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) بر راه راست.
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ پيغـامبر من گـوى او آنسـت كـه بيافريـد شـما را پس آنكـه نبوديد وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ و شما را گوش آفريـد و شـنوايى و چشم و بينـايى و دل قَلِيلًا مـا تَشْـكُرُونَ (23) چـون انـدك بـآزادى و سپاسـدارى ميباشيد.
قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ بگو او آنست كه بيافريـد شـما را در زمين وَ إِلَيْـهِ تُحْشَرُونَ (24) و شما را پيش او خواهند برد.
وَ يَقُولُـونَ مَـتى‏ هـذَا الْوَعْـدُ إِنْ كُنْتُمْ صـادِقِينَ (25) و ميگوينـد كى اين هنگـام رستاخيز كه اگر راست ميگوييد؟
قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ بگو دانش آنچه ميپرسيد نزديك خدايست.
وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26) و من درين ميان آگاه كنندهاى آشكاراام.
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً چون آن را بينند از نزديك سِيئَتْ وُجُـوهُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بـد انـدوه و بيم پيدا شود در رويهاى ناگرويدگان «و قيل» و گويند ايشـان را. هـذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَـدَّعُونَ (27) اين آن روز اسـت و آن كـار كـه آن را در آن گيـتى از مـا ميباز خواستيد و ميجستيد.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ بگو چه بينيد إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ اگر اللَّه مرا بميراند و هر كـه با من أَوْ رَحِمَنا يا ببخشايد بر ما فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ؟ آن كيست كه بزينهار دارد كافران را از عذاب درد نماى؟
قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بگو اوست آن رحمن كه بگرويديم باو وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا و پشـت باو باز كرديم فَسَـتَعْلَمُونَ مَنْ هُـوَ فِي ضَـلالٍ مُبِينٍ (29) آرى آگـاه شـويد كـه آن كيست كه در گمراهى آشكار است.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ بگو چه بينيد. إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً اگر اين آب شما هنگامى در زمين فرو شود فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ (30) آن كيست كه شـما را آب آرد آشـكارا بـر روى زمين روان و پيدا.

النوبة الثانية

اين سورة الملك هزار و سيصد حرف است، سيصـد و سـى كلمـه، سـى آيت، و جمله به مكه فرود آمد، باجماع مفسّران در مكّيات شـمرند. و درين سـوره هيچ ناسخ و منسوخ نيست.
روى ابو هريرة انّ النّبي (ص) قال: «انّ سورة من كتـاب اللَّه مـا هى الّا ثلاثـون آية شفعت لرجل فاخرجتـه يـوم القيامـة من النّـار و ادخلتـه الجنّـة و هي سـورة تبارك».
و قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «وددت ان تَبـارَكَ الَّذِي بِيَـدِهِ الْمُلْـكُ في قلب كـلّ مؤمن».
و روى عن ابن عبـاس: انّ رجلا من اصـحاب النّـبي (ص) ذهب يضـرب خبـاء لـه على قبر و هو لا يحسب انّه قبر، فسمع انسانا يقرأ تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ فـاتى النّبي (ص) فقال: يا رسول اللَّه انّى ضربت خبـاء لى على قـبر و انـا لا اعلم انّـه قبر، فاذا انسان يقرأ سورة الملـك. فقـال رسـول اللَّه (ص): «هى المانعـة، هى المخبية تنجيه من عذاب القبر».

في خبر آخر: «هى الواقية من عذاب القبر».
و روى: من قرأها في ليلة فقد اكثر و اطيب.
قوله: «تَبارَكَ» معناه: تعالى و تعظم و تمجد. و قيل: تفاعل من البركة.
و قيل: معناه انّه الثّابت الدّائم الّذى لم يزل و لا يـزال. و قيـل: تعـالى من جميـع البركات منه الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ يؤتيه من يشاء و ينزعه ممّن يشاء. و قيل: يريد به النبوّة يعزّ بها من اتّبع النّبي و يذلّ بها من خالفه. وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ من الانعام و الانتقام «قَدِيرٌ».
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ قال ابن عباس: يريـد المـوت في الـدّنيا و الحيـاة في الآخرة. قال قتادة: اذلّ اللّه ابن آدم بالموت و جعل الدّنيا دار حياة و دار فنــاء، و جعل الآخرة دار جزاء و بقاء و انّما قدم الموت لانّه الى القهر اقرب.
و قيل: قدّمه لانّه اقدم، لانّ الاشياء في الابتداء كانت في حكم المـوات كالنطفـة و التّراب و نحوهما ثمّ اعترضت عليهـا الحيـاة. و قـال ابن عبـاس: خلـق المـوت على صورة كبش املح لا يمرّ بشيء و لا يجد ريحه شيء و لا يطـأ على شـيء الّا و مات و خلق الحياة على صورة فرس انـثى و هي الّـتى كـان جبرئيـل و الانبيـاء يركبونها «تمرّ بشيء و لا يجـد ريحهـا شـيء الّا حـيى و هي الّـتى اخـذ السّـامرى قبضة من اثرها فالقى على العجل فحيي.
قوله «لِيَبْلُوَكُمْ» يعنى: ليختبركم فيهـا بين الحيـاة الى المـوت. أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلًا اى اسرع في طاعة اللّه و اورع عن محارم اللّه و قيل: ليبلوكم ايّكم احسن اخذا من حياته لموته و احسن اهبة في دنياه لآخرته.
قـال النّـبي (ص) لعبـد اللّه بن عمـر «خـذ من صـحتك لسـقمك، و من شـبابك لهرمك، و من فراغك لشغلك، و من حياتك لمماتك، فانّك لا تدرى ما اسمك غدا.
و سئل النّبي (ص) ايّ المؤمنين اكيس؟ قال: «اكثرهم للمـوت ذكـرا و احسـنهم له استعدادا
و قيل: يختبرهم اعلامـا للملائكـة حـالهم ليظهـر لهم شـكرانهم و كفـرانهم كيـف يكونان عند المحنة في الصّبر و عند النعمة في الشّـكر وَ هُـوَ الْعَزِيـزُ المنتقم من اعدائه «الْغَفُورُ» لاوليائه.
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً بعضها فـوق بعض بين كـلّ سـماء مسـيرة خمس مائة عام و غلظ كلّ سماء خمس مائة عام. و قوله: «طِباقاً» جمع طبـق، كجبـل و جبال و قيل: جمع طبقة، كرحبة و رحـاب. و قيـل: «طِباقـاً» مصـدر من طـابق تقول: طابق بين ثوبيه اذا لبس احدهما فوق الآخر. و هـو نصـب على المصـدر. و قيل: صفة، و قيل: نصب لانّه مفعول ثان ما تَـرى فِي خَلْـقِ الـرَّحْمنِ مِنْ تَفـاوُتٍ قرا حمزة و الكسائى من تفوّت بتشديد الـواو بلا الـف و همـا لغتـان كالتّحمّـل و التّحامـل، و التّظهـر و التظـاهر، و التّفـاوت و التفـوّت، بعـد مـا بين الشّـيئين في الصّحة و في معناه قولان: احدهما «ما تَرى» يا ابن آدم. فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ يعـنى السّماء مِنْ تَفـاوُتٍ اي خلـل و اضـطراب و تفـرّق بـل هى مسـتقيمة مسـتوية لا يفوت بعضها بعضا لقلّة استوائها. و القول الثّاني انّه عامّ في جميع خلق الـرّحمن اى لم يفته شيء اراده و لم يخرج شيء عن موجب الحكمـة. و قيـل: «الخلـق» في الآية مصدر و المعنى يخلق كلّ شيء صغيرا و كبيرا بامر واحد لا تفـاوت في ذلك و هو قوله: «كن» و قيـل: الرّؤيـة في الآيـة بمعـنى العلم لبعـد السّـماء عن الادراك بحاسّـة البصـر قولـه: فَـارْجِعِ الْبَصَـرَ هَـلْ تَـرى مِنْ فُطُـورٍ اى شـقوق و صدوع.
ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ اى اعد النّظر ثانيا كَرَّتَيْنِ اى مرّتين يَنْقَلِبْ إِلَيْـكَ الْبَصَـرُ اى يرجـع

اليك البصر ايّها المخاطب خاسِئاً اى خاشعا صاغرا ذليلا كذلّة من طلب شيئا فاخطاه وَ هُوَ حَسِيرٌ اى معى كليل لم يدرك ما طلب اى اعيا من قبل ان يرى في السّماء خللا. روى عن كعب قال السّماء الدّنيا موج مكفوف و الثّانية مرمرة بيضاء و الثّالثة حديد، و الرّابعة صفراء و قال نحاس: و الخامسة فضّة، و السّادسة ذهب، و السّابعة ياقوتة حمراء و بين السّابعة الى الحجب بحار من نور. وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ اى بكواكب، و هى كبار النّجوم سمّيت مصابيح لاضاءتها. و المصباح، السّراج لاضاءته. وَ جَعَلْناها اى بعضها.
رُجُوماً لِلشَّياطِينِ اى رميا لهم اذا استمعوا الى السماء. قال قتاده خلق اللّه النّجوم لثلاثة اشياء زينة للسّماء و رُجُوماً لِلشَّياطِينِ و ليهتدي بها في ظلمات البرّ و البحر فمن اوّلها على غير ذلك فقد قال رايه و اخطا حظّه. قال الضّحاك: الكواكب الّتى ترى لا يرجم بها و الّتى ترجم بها الشّياطين لا تريها النّاس و قال ابو على الكواكب انفسها لا ترجم لانّ الكواكب ثوابتة لا تزول عن السماء و لا تفقد انّما ينفصل عنها شهاب يحرق. وَ أَعْتَدْنا لَهُمْ اى هيّأنا لهم في الآخرة. عَذابَ السَّعِيرِ و هى النّار الموقدة المشعلة، و يقال: سعرت النّار فتسعّرت اذا قويتها و قيل السّعير بيت للشّياطين في جهنّم هو اسمه.
وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ اى و اعتدنا للّذين كفروا بربّهم. عَذابُ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ.
إِذا أُلْقُوا فِيها اى القى الكفّار في النّار سَمِعُوا لَها شَهِيقاً و هو صوت فظيع منكر كشهيق الحمار و هو اوّل صوته و قد يسمع للنّار صوت منكر اذا اشتدّ لهبها كانّها تطلب الوقود. وَ هِيَ تَفُورُ اى ترتفع بالغليان لشدّه توقّدها اى تغلى بهم كغلى المرجل.
تَكادُ تَمَيَّزُ اى تنقطع ينفصل بعضها من بعض من شدّة غيظها على الكفّار كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها و هم الملائكة الموكّلون بها، أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ الم يأتكم رسول من قبل اللّه في الدّنيا يندركم.
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا
روى ابو هريرة عن النّبي (ص): انّه قال: انا «النّذير و الموت المغير و السّاعة الموعد».
قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَ قُلْنا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ اى من نبوّة و كتاب و حكم فيقول الخزنة لهم. إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ اى ما انتم اليوم الّا في ضلال كبير، كنتم عليه في الدّنيا و يجوز ان يكون هذا من كلام القوم، اى و قلنا للرّسل: ما أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ و بعد من الصّواب.
وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ اى قالوا و هم في النّار، لو كنّا نسمع سمع من يعى و يتفكّر أَوْ نَعْقِلُ عقل من يميّز و ينظر، و قيل: لو كنّا نسمع الهدى في الدّنيا او نعقل معانى كلام اللّه و ما كان يدعونا اليه الرّسل ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ اى في جملة اهل النّار.
فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ اقرّوا بكفرهم. فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ اى بعدا لهم. قرأ ابو جعفر و الكسائى «فَسُحْقاً» بضمّ الحاء و الباقون بسكونها و هما لغتان، مثل الرّعب و الرّعب و السّحت و السّحت. سحقا نصب على المصدر اى اسحقهم اللّه سحقا، اى باعدهم من رحمته مباعدة و قيل: السّحق واد في جهنّم.
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ اى يخافونه و لم يروه و قيل: يخافون اللّه و يتركون معصيته حيث لا يراهم احد من النّاس لانّ ذلك اذلّ على الاخلاص و ابعد من النّفاق. و قيل: يخشون ربّهم قبل المصير اليه. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَ أَجْرٌ

كَبِيرٌ ثواب جزيل لطاعاتهم.
وَ أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ اى. أخفوا كلامكم او اعلنوه فهما سواء عند اللَّه إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينـالون من رسـول اللّه (ص) فيخبره جبرئيل بما قالوا و نالوا منه فقال بعضهم لبعض.
اسرّوا قولكم كي لا يسمع الـه محمـد فقـال تعـالى: قـل لهم: أَسِـرُّوا قَـوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ فانّ اللّه لا يخفى عليه خافية. و هذا امر تهديد كمـا قـال: «اعْمَلُـوا مـا شِئْتُمْ».
ثمّ قـال: أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَـقَ اى الا يعلم السّـرّ من خلـق السّـرّ. الا يعلم مـا في الصّدور، من خلق الصّدور؟ الا يعلم من خلق الاشياء ما في صـدور عبـاده؟ ففى هذه الوجوه من في موضع الرّفع و هو اسم للخالق و يجـوز ان يكـون من اسـما للمخلـوق و يكـون في موضـع النّصـب و المعـنى الا يعلم اللّه من خلقـه. وَ هُـوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ العالم بدقائق الاشياء و بواطنها و يجوز ان يكـون العلم من صـفة المخلوق، و المعنى: الا يعلم هذا الكافرين من الّذى خلقه، الا يعلم اللّه الّذى هـو خالقه. وَ هُـوَ اللَّطِيـفُ الّـذى الطـف لهم في تـدبيره و احسـن اليهم في انعامـه. «الْخَبِيرُ» بهم و باعمالهم.
هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ليّنة سهلة يسهل لكم السّلوك فيها.
و قيل: ليّنها بالجبال حتّى تستقرّ و لا تزول باهلها، و قيل: جعلهـا ذلـولا، اى سـهلا سعيكم عليها بحيث لا يمتنع المشى فيهـا بالحزونـة. فَامْشُـوا فِي مَناكِبِهـا اى في جوانبها. و قيل: في فجاجها و اطرافهـا و قيـل: في جبالهـا. قـال الزّجـاج: و هـذا اشبه لانّ معناه سهل لكم السّبيل في جبالها فهو ابلغ في الذلل هـذا امـر اباحـه، ذكره على سبيل الامتنان بتسهيله عليهم. وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ اى ممّا هيّاه لقوتكم و غذائكم ما اذن لكم في تناوله و احلّه لكم دون ما نهاكم عنه و حرّمه عليكم.
وَ إِلَيْـهِ النُّشُـورُ اى البعث من قبـوركم ثمّ خـوّف الكفّـار. فقـال: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـماءِ قـال ابن عبـاس اى عـذاب من السّـماء ان عصـيتموه أَنْ يَخْسِـفَ بِكُمُ الْأَرْضَ يعنى: ان يغور بكم في الارض فَإِذا هِيَ اى الارض.
«تمور» اى تتحرّك و تدور. و ذلك انّ اللّه يحـرّك الارض عنـد الخسـف بهم حتّى يلقيهم الى اسفل و الارض تعلو عليهم و تمور فوقهم، تقول: مار يمور اذا جـاء و ذهب.
أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـماءِ أَنْ يُرْسِـلَ عَلَيْكُمْ حاصِـباً اى ريحـا ذات حجـارة. و قيـل الحاصب: مطر فيه حصباء كما فعل باصحاب لوط و قيل: سحاب فيـه حجـارة، و الحاصب و الحصباء واحد. «فَسَتَعْلَمُونَ» فى الآخرة و عند المـوت «كَيْـفَ نَـذِيرِ» ى، اى أ نداري اذا عاينتم العذاب. و قيل: فَسَتَعْلَمُونَ كَيْـفَ نَـذِيرِ ى اى رسـولى. قال ابن عباس: ستعلمون انّ محمدا كان لكم نذيرا.
وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى: كفّار الامم الماضيه. فَكَيْـفَ كـانَ نَكِـيرِ ى، اى انكـارى. اذا اهلكتهم اثبت بعض القـرّاء اليـاء في هـذا الحـروف و اخواتهـا على الاصل و حذفها بعضهم على الخطّ.
أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ يصـففن اجنحتهنّ اذا طـرن في الهـواء، اى يبسـطن كالحـداء و النّسـر. «وَ يَقْبِضْـنَ» يعـنى اجنحتهنّ يضـربن بهـا جنـوبهنّ كالحمام.
و قيل: يصففن احيانا و يقبضن احيانـا. و قيـل في الهـواء طيـور لا يقعن بـالارض ابدا طعامها النّمل و البعوض اذا طرن في الهواء بضـن على اذنـابهنّ و اجنحتهنّ.
حكاه ابن هيصم «ما يُمْسِكُهُنَّ» في الجـوّ «إِلَّا الـرَّحْمنُ» بقدرتـه انّـه جـلّ جلالـه

عمّت رحمته الخليقة كلّها إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ بَصِيرٌ عالم بمصلحة كلّ شــيء. بيّن لهم في هذه الآية ما يدلّهم على توحيده من تسخير الطّير في جو السّماء.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ اعوان لكم يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ و يدفعون عنكم عذاب اللَّه فامنتم عذابه بسببه، و قيل: معناه هل شيء من اصنامكم يدفع عنكم عــذاب اللَّه. إِنِ الْكــافِرُونَ إِلَّا فِي غُــرُورٍ اى مــا الكــافرون الا مغــترّون بغــرور الشّيطان غير متمسّكين بحجّة و برهان.
أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ يطعمكم و يسقيكم و يعطيكم منافع الدّنيا.
إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ يعنى: ان امسك اللَّه المطر او مسك جميع اسباب الرّزق، و قيل معناه: من الّذى يوسّع عليكم نعمكم ان ضيّق عليكم فيعاقبكم بالجدب و القحــط «بَلْ لَجُّوا» اى تمادّوا. «فِي عُتُوٍّ» اى اسـتكبار عن الحــقّ و عن الـدّاعى اليـه «وَ نُفُورٍ» عن قبول الحقّ فيفرّون منه ثمّ ضرب مثلا فقال: أَ فَمَنْ يَمْشِــي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ معناه: أ فمن يمشــى مطرقــا لا يلتفت الى الطّريق و اختلافها ارشد ام الّـذى يرفــع رأســه ينظــر الى الجـادة و هذا مثل ضربه اللَّه للكافر و المؤمن، فالكافر يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ راكبا رأسه في الضّلالة و الجهالة اعمى العين و القلب لا يبصر يمينا و شمالا.
قال قتادة اكبّ على المعاصى في الدّنيا فحشره اللَّه على وجهــه يــوم القيامــة و ذلك قوله تعالى وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَــةِ عَلى وُجُــوهِهِمْ و المــؤمن يمشــى ســويّا معتدلا يبصر الطّريق و هــو عَلى صِــراطٍ مُسْــتَقِيمٍ دين قيّم و هــو الاسـلام، قيــل: نزلت في عمّار بن ياســر و ابى جهــل و قولــه: مُكِبًّا عَلى وَجْهِــهِ فعــل غــريب لانّ اكثر اللّغة في التّعدّي و اللّــزوم ان يكــون افعلتــه نفعــل و هــذا على ضــدّه يقــال: كببت فلانا على وجهه فاكبّ.
قال اللَّه تعالى: فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ و قال النّبي (ص): «و هــل يكبّ النّــاس على مناخرهم في النّار الّا حصايد السنتهم»
و نظيره في الكلام قولهم قشعت الرّيح السّحاب فاقشع.
قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَــأَكُمْ اى خلقكم. ابتــداء وَ جَعَــلَ لَكُمُ السَّــمْعَ وَ الْأَبْصــارَ وَ الْأَفْئِدَةَ خصّ هذه الثّلاثة بالذّكر لانّ العلوم و المعــارف بهــا تحصــل قَلِيلًا مــا تَشْــكُرُونَ اى تشكرون شكرا قليلا و ما زيادة، و قيل: اقلّكم الّذى يشكر للَّه سبحانه.
قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ خلقكم فيها صــغارا. وَ إِلَيْــهِ تُحْشَــرُونَ اى الى اللَّه تجمعون و تساقون يــوم البعث فيجــزيكم باعمــالكم بيّن لهم الآيــات الّــتى تــدلّهم عليه و توصلهم الى معرفته.
وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ اى ما وعد و امن الخسف و الحاصــب و قيــل: البعث و النّشور. إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في هذا الوعد.
قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ علم القيامة و علم نزول العذاب عند اللَّه لم يطلــع عليــه بشر. وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ، اى رســول مخــوّف ابين لكم وحى اللَّه الىّ و لا اعلم وقت الحشر.
فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً اى عاينوا عذاب اللَّه قريبــا كقولــه: وَ أُخِــذُوا مِنْ مَكــانٍ قَــرِيبٍ. و الزّلفــة: القربــة و كــذلك الــزّلفى. سِــيئَتْ وُجُــوهُ الَّذِينَ كَفَــرُوا اى ســاء اصــحاب الوجوه ما عاينوا من العذاب فذكر الوجوه و اراد اصحابها يقال: سؤته فسىء اى حزنته فحزن، كما تقول: سررته فسرّ، و قيــل: معنــاه اســودّت و علتهــا الكابــة و القترة و المعنى: قبحت وجوههم بالسّــواد و هــذا في القيامــة، و قيــل: كــان يــوم بدن نظــيره قولــه: تَــرَى الَّذِينَ كَــذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُــوهُهُمْ مُسْــوَدَّةٌ كَأَنَّمــا أُغْشِــيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وجوه عليها غبرة ترهقها قترة. «و

قیل» ای قال الخزنة لهم: «هذا» العذاب الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ای هذا الّذى كنتم من اجله تدّعون الاباطیل و تقولون: «لا بعث و لا نشر» و قرأ یعقوب: «تدعون» بالتّخفیف، و المعنى: هذا الّذى كنتم به تستعجلون و تدعون اللَّه بقولكم: اللّهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علینا حجارة من السّماء، و قیل: تدّعون تفتعلون من الدّعاء، یقال: دعا و ادّعا بمعنى واحد، و قیل: معنى الآیة: فلمّا راوا الوعد بالحشر و النّشر و سوء العذاب حقّا.
و راوا النّبي (ص) شافعا لامّته مخلصا لهم من التّبعات على ما ذكره اللَّه و وعد به سیئت وجوههم.
قوله: قُلْ أَ رَأَيْتُمْ ای قل یا محمد لمشركى مكة الّذین یتمنّون هلاكك أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ من المؤمنین «أَوْ رَحِمَنا» فابقینا و اخّر آجالنا «فَمَنْ يُجِيرُ» كم مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ من یمنعكم من بأسه و ایّ نفع لكم في هلاكنا، و هذا جواب لقولهم نتربّص به ریب المنون و ان امر محمد لا یتمّ و لا یبقى، و قیل: معناه لا تتمنّوا موتى فانّه لا ینفعكم و تمنّوا ما یجیركم من عذاب اللَّه فانّ ذلك انفع لكم، و قیل: معناه نحن مع ایماننا خائفون ان یهلكنا بذنوبنا لانّ حكمه نافذ فینا فمن یمنعكم من عذابه و انتم كافرون.
قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ الذي نعبده آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فوّضنا الیه امورنا فَسَتَعْلَمُونَ غدا مَنْ هُوَ الیوم فِي ضَلالٍ مُبِينٍ حین لا ینفعكم العلم شیئا.
قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً ای غائرا ذاهبا في الارض لا تناله الا یدى و الدّلاء. قال: الكلبى و مقاتل یعنى. ماء زمزم. فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ظاهر جار تراه العین و تناله الدّلاء ذكرهم عظیم نعمته علیهم باظهار المیاه لهم على وجه الارض و انّه لو جعلها غائرة لم یمكنهم التّوصّل الیها و لكان فیه هلاكهم و اللَّه اعلم.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ سماع اسم اللَّه یوجب الهیبة، و الهیبة تتضمّن الفناء و الغیبة. سلطانیست این كلمه، چون نقاب ملكى بگشاید و جلال كبریاء او پیدا گردد، بر هر چه افتد دمار از وى برآرد و رقم نیستى برو كشند. شنونده این كلمت از هیبت این كلمت چنان از خود فانى شود كه مرورا هیچ خیال نماند و از هر نشان كه دهند از آن نشان نهان شود.

محوت اسمى و رسم جسمى و غبت عنّى و دمت انتا
و في فنایى فنى فنایى و في ورائى وجدت انتا

باز بسماع نام رحمن و رحیم از مضیق دهشت بصحراء انس افتد، و فناء وى بصفت بقا بدل گردد. اینست سنّت خداوند عزّ كبریاؤه و تقدّست اسماؤه. هیبت الهیّت بنماید كه موجب دهشت است، و حیرت باز مرهم نهد بصفت لطف و رحمت. اللَّه اشارت است بجلال و عزّت الوهیت، رحمن رحیم اشارتست بكمال لطف و رحمت. هر كرا تاج دولت دین بر فرق نهادند منشور عزّ او از حضرت این نام نویسند، و هر كرا داغ شقاوت بر جان نهادند، رقم خذلان او از حضرت این نام كشند. دار و گیر گشاد و بند نواخت و سیاست عزّ و مذلّت همه نتیجه قهر و لطف اوست، كونین و عالمین همه ملك و ملك اوست. اینست كه ربّ العالمین گفت: تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ملك هژده هزار عالم بید اوست، سر همه سروران در قبضه تقدیر اوست، گردن همه گردن افرازان در ربقه تسخیر اوست، ناصیه همه جبّاران منقاد قهر جبروت اوست. در

خبر میآید که: انا الملك قلوب الملوك، و نواصیهم بیدی اقلبها کیف اشاء
ملك منم، پادشاه بر پادشاهان منم، اعزاز و اذلال بندگان در یـد منسـت، دلهـای عالمیان در قبضه منست چنان که خواهم میگـردانم و اسـرار ایشـان بـر حسـب مراد خود میرانم.
خواهم بخوانم و بخندانم، خواهم برانم و بگریانم. ای شما کـه عالمیانایـد، سـینه بسبب ملوك مشغول مدارید و دل درویشان مبندید، دل در دین ما بندید توکّل بر کرم ما کنید، روی بدرگاه طاعت ما آرید، دین پرست باشید تـا دنیـا شـما را تبـع شود.
خدمت ملك الملوك کنید، تا ملوك جهان شما را خدمت کنند.

خـدمت او کن مگـر شـاهان تـرا خـــــــــــــــدمت کنند	چاکر اوباش تا سلطان تـرا گـردد غلام.

ملك انسانیّت جداست، و ملك دلها جدا، و ملك جانها جدا. انسانیّت ملك در دنیـا راند و دل ملك در آخرت راند، و جان ملك در عالم حقیقت راند. ملـك انسـانیّت اینست که: أَنَّمَا الْحَیاةُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَـةٌ و ملـك دل اینسـت کـه: یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ و ملك جان اینست که: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلی رَبِّها نـاظِرَةٌ آن عزیـز راه گوید: فردا که علم کبریای او بقیـامت برآیـد کـه: لِمَنِ الْمُلْـكُ؟ من از گوشـه دل خـویش بدسـتوری او دری برگشـایم و دردی از دردهـای او بـیرون دهم، تـا گـرد قیامت برآید و گوید: لِمَنِ الْمُلْكُ؟ اگر معترضی براه برآید، گویم: او که چـون مـا ضعفا و مساکین دارد، میگوید: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟ ما که چون او ملکی جبّاری داریم چرا نگوئیم: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟ اگر او را چون ما بندگانست، ما را چـون او خداونـد است، کسی را که در حرم قرآن بار داده باشند، تا زمانی این خلعت پوشـد کـه: «إِنَّ عِبادِي لَیْسَ لَكَ عَلَیْهِمْ سُـلْطانٌ» و زمـانی این تشـریف یابـد کـه: «یُحِبُّهُمْ وَ یُحِبُّونَهُ» و زمانی این شربت کشد که «وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ» این چنین کسـی را چـرا نرسد که بر حدثان خواجگی کند و بامداد و شبانگاه گوید: «لِمَنِ الْمُلْكُ»؟

جـــز خداونـــد مفرمـــای کـــه خوانـــــــــــد مــــــــرا	ســزد این نــام کســی را کــه غلام تـــــــو بـــــــود
بگسلانم کمر گردون از قـوّت خـــــــــــــــــــویش	چـون بطـرف کمـرم نقش ز نـــــــام تـــــو بـــــود.

68- سورة القلم- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور بخشايندگى، دوست بخشاى بمهربانى.
ن وَ الْقَلَمِ بدوات و قلم وَ ما يَسْطُرُونَ (1) و بآنچه آسمانيان و زمينيان نويسند.
ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) تو با آن نيكويى كه از خداوند تو است با تو، ديوانه نيستى.
وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) و تراست مزدى ناكاست هرگز.
وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) و تو بر خويى بزرگوارى.
فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (5) آرى تو بينى و ايشان بينند.
بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (6) كه ديوانه و فتنه رسيده از شما كيست.
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ خداوند تو است كه او داناست. بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ بهر كه گمشده از راه او. وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7) و او داناست بايشان كه راه يافتگانانداند بحقّ.
فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) نگر دروغ زن گران را فرمان نبرى.
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) دوست ميدارند كه تو فرا ايشان گرايى بچيزى، تا فرا تو گرايند.
وَ لا تُطِعْ فرمان مبر كُلَّ حَلَّافٍ ازين هر سوگند دروغ خواره مَهِينٍ (10) خوار فرا داشتهاى.
هَمَّازٍ مردم نكوهى مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) سخن چينى.
مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ از نيكى باز دارى. مُعْتَدٍ گزافكارى، گزاف گويى، ناسازگارى أَثِيمٍ (12) پليدگارى.
عُتُلٍّ درشت خويى. بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ (13) با آن همه نادرست اصلى بدنامى.
أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ (14) از بهر آنكه كسى با مال بود و پسران.
إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا چون سخن ما برو خوانند قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) گويد: كه اين افسانه پيشينيان است.
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16) آرى فردا او را نشانى كنيم بر روى.
إِنَّا بَلَوْناهُمْ بيازموديم ما ايشان را كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ چنان كه بيازموديم خداوندان آن بستان را إِذْ أَقْسَمُوا آن گه كه سوگند خوردند همگان لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ (17) كه آن ميوه خرما و انگور ببرند و با زرع بهم كنند سحرگاهان نزديك بام.
وَ لا يَسْتَثْنُونَ (18) و نگفتند كه: اگر خداى خواهد!
فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ گرد آن بستان ايشان گشت بشب گردندهاى و بآن رسيد رسندهاى از عذاب خداوند تو، وَ هُمْ نائِمُونَ (19) و ايشان در خواب.
فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) آن بستان زمينى گشت چون شب سياه درو نه نبات نه آب.
فَتَنادَوْا مُصْبِحِينَ (21) يكديگر را آواز دادند نزديك بام.
أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ خيزيد از خواب، بامداد كنيد بر حرث خويش، إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ (22) اگر مچيدن خواهيد.
فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ (23) با هم راز ميكردند در راه و ميگفتند: أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) ميكوشيد كه هيچ درويش امروز بر شما در آن بستان در نيايد.

وَ غَدَوْا عَلى‏ حَرْدٍ قادِرِينَ (25) بامداد كردنـد بـر آهنـگ بـد، چـون نزديـك بسـتان آمدند و درويش نديدند گفتند: كه: دست يافتيم!
فَلَمَّا رَأَوْها چون آن بسـتان را ديدنـد. قـالُوا إِنَّا لَضَـالُّونَ (26) گفتنـد: مـا راه گم كرديم.
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)، بلكه از نعمت بى بهره مانديم.
قالَ أَوْسَطُهُمْ. بهينه برادران ايشـان گفت: أَ لَمْ أَقُـلْ لَكُمْ نمىگفتم شـما را لَـوْ لا تُسَبِّحُونَ (28) چرا خداى را پاك نشناسيد، ؟
قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا گفتند: خداوند ما پاكست از ستمكارى إِنَّا كُنَّا ظـالِمِينَ (29) مـا ستمكارانيم.
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (30) روى فرا يكديگر كردند بسرزنش كردن.
قالُوا يا وَيْلَنا گفتند: اى ويل و درد زدى بر ما إِنَّا كُنَّا طاغِينَ (31) ما فرمانبردارى بگذاشتيم و از اندازه خود در گذشتيم.
عَسى‏ رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْراً مِنْها اميد داريم كه مگر اللَّه ما را بدل دهد بــه از آن إِنَّا إِلى‏ رَبِّنا راغِبُونَ (32) ما بنياز و حاجت خواست با خداوند خود ميگرديم.
كَذلِكَ الْعَذابُ چنين بود عذاب. وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ و عذاب آخرت مـه اسـت او را كه در رستاخيز عذاب كنند لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (33) اگر مردمان دانندى.
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ پرهيزگاران را از شرك عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) بنزديـك خداونـد ايشان بهشتهاى با ناز و زيدست.
أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) ما مسلمانان را چون كافران كنيم؟.
ما لَكُمْ چه رسيد شما را؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) اين چيست كه مىگوييد و چه حكم است كه ميكنيد؟
أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُـونَ (37) يـا شـما را نامهاى اسـت از آسـمان كـه انـدرو همى خوانيد.
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ (38) كه هست شما را در آن نامه آنچه حكم كنيد.
أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَةٌ يا شما را سوگند انست و پيمان بر مـا بوجـوب رسـيده إِلى‏ يَوْمِ الْقِيامَةِ تا روز قيامت إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ (39) كـه شـما راسـت آنچـه شما حكم كنيد.
سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِكَ زَعِيمٌ پرس ايشان را تا كيست ازيشـان كـه بدرسـت كـردن آن سوگند ميانجى است؟
أَمْ لَهُمْ شُـرَكاءُ يـا ايشـان انبـازان دارنـد بـا من، يـا انبـازان ميداننـد مـرا فَلْيَـأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ گوى ايشان را تا انبازان خود بيارند و بـاز نماينـد. إِنْ كـانُوا صـادِقِينَ (41) اگر مىراست گويند.
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ آن روز كه پرده بركشند از ساق. وَ يُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ و خلق را با سجود خوانند فَلا يَسْتَطِيعُونَ (42) ناگرويدگان نتوانند كه سجود كنند.
خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ فروشده چشمهاى ايشان از بيم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ بر رويهـاى ايشـان نشسته خوارى بيم و نوميدى وَ قَـدْ كـانُوا يُـدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سـالِمُونَ و چون ايشان را با سجود خواند و ايشـان بـا سـلامت بودنـد و پشـتها نـرم اجـابت نكردند.
فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ با من گـذار او را كـه دروغ مشـمرد اين سـخن سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (44) آرى فرا گيريم ايشان را پاره پاره از آنجا كه ندانند.
وَ أُمْلِي لَهُمْ و درنگ دهم ايشان را إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) كه ساز من در واخ است

و کار بردباری بر من فراخ و از فردا بیم نه.
أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً یا بر رسانیدن این پیغام ازیشان مـزد میخـواهی فَهُمْ مِنْ مَغْـرَمٍ مُثْقَلُونَ (46) تا ایشان را اوام افتاد از بهـر تـو کـه گـران بـار گشـتند أَمْ عِنْـدَهُمُ الْغَیْبُ فَهُمْ یَکْتُبُونَ (47) یا بنزدیك ایشان است علم غیب تا ایشان منویسند.
فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّكَ شکیبا باش حکم خداوند خویش را وَ لا تَکُنْ کَصاحِبِ الْحُـوتِ و چون مرد ماهی مباش. إِذْ نادی وَ هُوَ مَکْظُومٌ آن گه که ما را خواند و او پر غم و اندهگن.
لَوْ لا أَنْ تَدارَکَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ اگر نه آن بودی که دریافت او را نعمت نیك خـدایی از خداوند او لَنُبِذَ بِالْعَراءِ خداوند او و را از شکم ماهی بهامون رستاخیز افکنـدی روز رستاخیز وَ هُوَ مَذْمُومٌ (49) و ملامت برو بود.
فَاجْتَباهُ رَبُّهُ برکشید او را خداوند او و گزین او تازه کـرد فَجَعَلَـهُ مِنَ الصَّـالِحِینَ (50) و او را از شایستگان شایستهای کرد.
وَ إِنْ یَکـادُ الَّذِینَ کَفَـرُوا نزدیـك باشـید و کـام یابیـد کـه ناگرویـدگان لَیُزْلِقُونَـكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّکْرَ تـرا بچشـم بـزمین آرنـدی کـه قـرآن شـنوند از تـو وَ یَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) و میگویند رسول را که او دیوانه است.
وَ ما هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ (52) و نیست او مگر آوای جهانیان و شرف دو گیتی.

النوبة الثانیة

این سوره هزار و دویست و پنجاه و شش حرف و سیصد کلمت، پنجاه و دو آیت جمله به مکه فرو آمد، بقول بیشـترین مفسّـران. ابن عبـاس و قتـاده گفتنـد: از اول سوره تا سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ به مکّه فرو آمد و ازینجا تا وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَکْبَرُ لَوْ کانُوا یَعْلَمُونَ به مدینه فرو آمد. و ازینجا تا فَهُمْ یَکْتُبُونَ به مکّه فرو آمـد، و از اینجا تا فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِینَ به مدینه فرو آمـد و ازینجـا تـا بـآخر سـوره بـه مکّه فـرو آمـد. در این سـوره دو آیت منسـوخ اسـت: فَـذَرْنِی وَ مَنْ یُکَـذِّبُ بِهـذَا الْحَدِیثِ این قدر از آیت منسوخ است بـآیت سـیف. و بـاقی آیت محکم. و و آیت دیگر فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّكَ معنی صبر اندرین آیت منسوخ است بآیت سیف.
و عن ابی بن کعب قـال: قـال رسـول اللَّه (ص): «من قـرأ سـورة ن و القلم اعطاه اللَّه عزّ و جلّ ثواب الّذین حسن اللَّه اخلاقهم».
قوله تعالی: ن وَ الْقَلَمِ قال اهل التّفسیر «ن» هو الحوت الّذی علیه الارض و هو قول مجاهد و مقاتل و السّـدّی و الکلـبی. و قـال ابن عبّـاس: اوّل مـا خلـق اللَّه القلم فجری بما هو کائن الی یوم القیامة، ثمّ رفـع بخـار المـاء الی یـوم القیامـة فخلق منه السّماوات، ثمّ خلق النّـون فبسـط الارض علی ظهـره فتحـرّك النّـون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فانّ الجبال لتفخـر علی الارض ثمّ قـرأ ابن عبّـاس ن وَ الْقَلَمِ وَ ما یَسْطُرُونَ. و قیل: الحوت علی البحـر و البحـر علی متن الـرّیح و الرّیح علی القدرة.
قال کعب الاحبار: اسم الحوت لویثا، قال: و انّ ابلیس تغلغـل الی الحـوت الّـذی علی ظهره الارض فوسوس الیـه فقـال لـه: أ تـدری مـا علی ظهـرك یالویثـا من الامم و الدّواب و الشّجر و الجبال لو نفضتهم القیتهم عن ظهـرك؟ فهمّ لویثـا ان یفعل ذلك. فبعث اللَّه دابّة فدخلت.
منخره فوصلت الی دماغه فعجّ الحوت الی اللَّه منهـا، فـاذن لهـا فخـرجت. قـال کعب فو اللَّه الّذی نفسی بیده انّه لینظر الیها و تنظر الیه ان هم بشيء من ذلك عادة کمـا کـانت. و قـال الحسـن و قتـادة و الضّـحاك: النّـون الـدّواة و هي اليـق بالقلم. یقال: انّ اصحاب البحر یستخرجون من بعض الحیتان شیئا اسود کالنّقس

او اشدّ سوادا منه يكتبون به فيكون النّون و هو الحوت عبـارة عن الـدّواة يقويـه ما
روى عن النّبي (ص) انّه قـال: اوّل شـيء خلقـه اللَّه القلم ثمّ خلـق النّـون و هي الـدّواة ثمّ قـال لـه: اكتب مـا هـو كـائن الى يـوم القيامـة ثمّ ختم علم القلم فلم ينطق و لا ينطلق الى يوم القيامة.
و في رواية عكرمة عن ابن عبّاس قال: «الر» و «حم» و «ن» حـروف الـرّحمن تبارك و تعالى مقطّعة. و قال معاوية بن قرّة هو لوح من نـور و رفعـه الى النّبي (ص) و قيل: هو قسم اقسم اللَّه تعالى بنصـرته للمؤمـنين اعتبـارا بقولـه و كـان حقّا علينا نصر المؤمنين، و قيل: هو اسم للسّورة كاخواتها و قيل: اسـم نهـر في الجنّة. و امّا «القلم» فهو القلم الّذى كتب اللَّه به الذّكر و هو قلم من نور طولــه ما بين السّماء و الارض. و يقال: لمّا خلق اللَّه القلم و هو اوّل ما خلقه، نظر اليه فانشقّ، فقال: يا ربّ بما اجرى؟ قال: بما هو كائن الى يوم القيامة. فجـرى على اللّوح المحفوظ كما اجراه اللَّه سبحانه. و قال عطـا سـألت الوليـد بن عبـادة بن الصّامت كيف كان وصيّة ابيك حين حضره الموت؟ قـال: دعـانى فقـال: اى بـنىّ اتّـق اللَّه، و اعلم انّـك لن تتّقى اللَّه، و لن تبلـغ حتّى تـؤمن باللَّـه وحـده و القـدر خيره و شرّه. انّي سـمعت رسـول اللَّه (ص) يقـول: انّ اوّل مـا خلـق اللَّه القلم. فقال له: اكتب.
فقال: يا ربّ و ما اكتب؟ قال: اكتب القدر. قـال: فجـرى القلم في تلـك السّـاعة بما هو كائن الى الابد.
و قيل: اراد بالقلم الخطّ و الكتابة من اللَّه تعالى على عباده بتعليمه ايّاهم الخــطّ و الكتابـة كمـا قـال تعـالى: عَلَّمَ بِـالْقَلَمِ. و قيـل: القلم الطّلسـم الاكـبر. و قيـل: الاقلام مطايا الفطن و رسل الكرام. و قيل: البيان اثنان: بيان لسان و بيان بنان، و من فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايّام و بيان اللّســان تدرســه الاعوام. و قال بعض الحكماء: قوام امور الدّين و الدّنيا بشيئين: القلم و السّيف. السّيف تحت القلم. لو لا القلم ما قام دين و لا صلح عيش.
وَ ما يَسْطُرُونَ اى يكتبون اقسم بما يكتبه اهل السّماء و اهل الارض من كتابــه و كلامه و دينه كقوله: «وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ» و قيـل: مـا تكتبـه الملائكـة الحفظـة من اعمال بنى آدم.
ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ هذا جواب القسم، و هو في موضـع قـول القائـل: مـا انت بحمد ربّك بمجنون. و قيل: معناه انّك لا تكون مجنونا و قد انعم اللَّه سبحانه عليك بالنّبوّة و الحكمة. اين جواب مشركان مكه است كه رسول خـدا را ديوانــه گفتند. و ذلك في قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» ربّ العالمين گفت: تو با آن نعمت و كرامت و تخاصيص نبـوّت و حكمت كـه اللَّه بـا تـو كـرده ديوانه نيستى. و قيل: معناه انتفى عنك الجنون بنعمة ربّك. و قيل: الباء للقسم.
وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ اى غـير منقـوص و لا مقطـوع بصـبرك على افـترائهم عليك. و قيل: و انّ لك لاجرا على تبليغ الرّسالة و تحمّل المشاقّ غير محسوب.
يقال: اجر النّبيّ مثل اجر الامّة قاطبة غير منقوص.
وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُـقٍ عَظِيمٍ. قـال ابن عبـاس و مجاهـد: اى على دين عظيم لا دين احبّ الىّ و لا ارضـى عنـدى منـه و هـو دين الاسـلام. و قـال الحسـن: على ادب القرآن، اى انّك لعلى الخلق الّذى نزل به القرآن، سئلت عائشة رضـي اللَّه عنهـا عن خلق رسول اللَّه (ص). فقالت: كان خلقه القرآن. قال قتادة: و هـو مـا كـان يأتمر به من امر اللَّه و ينتهى عنه من نهى اللَّه و المعنى: انّك على الخلـق الّـذى

امرك اللَّه به في القرآن. و قيل: معناه كان خلقه يوافق القرآن.
رسول خـدا (ص) امـر و نهى قـرآن را چنـان پيش رفـتى و نگـه داشـتى بخـوش طبعى كه گويى خلق وى و طبع وى خود آن بود. و قيل: سمّى اللَّه خلقه عظيمـا لانّه امتثل تأديب اللَّه ايّاه بقوله: «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» الآيـة، و جملـة ذلـك انّ اللَّه تعالى جمع فيه كلّ خلق محمود لانّه تعالى ذكره ذكـر الانبيـاء في سـورة الانعام. ثمّ اثنى عليهم فقـال عـزّ و جـلّ: أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْنـاهُمُ الْكِتـابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثمّ امر محمدا (ص) باتّباع هداهم، فقال: فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و كـان لكـلّ واحـد منقبة مـدح بهـا و كـان مخصوصـا بهـا فخصّ نـوح بالشّـكر، و ابـراهيم بالخلّـة، و موسى بالاخلاص، و اسـماعيل بصـدق الوعـد، و يعقـوب و ايّـوب بالصّـبر، و داود بالاعتذار، و سـليمان و عيسـى، بالتّواضـع. فلمّـا امـره اللَّه تعـالى بالاقتـداء بهم، اقتدى بهم فاجتمع له ما تفرّق في غيره و حاز مكارم الاخلاق باسرها و لهذا
قال صلّى اللَّه عليه و سلّم: «انّ اللَّه بعثنى لتمام مكارم الاخلاق و تمام محاسـن الافعال».
و عن البراء بن عازب قال: كان رسول اللَّه (ص) احسن النّاس وجها، و احسنهم خلقا ليس بالطّويل الباين و لا بالقصير. و عن انس بن مالك قال: خدمت رسـول اللَّه (ص) عشر سنين فما قال لى افّ قطّ و ما قال لى لشيء صنعته لم صنعته، و لا لشـيء تركتـه لم تركتـه، و كـان رسـول اللَّه من احسـن النّـاس خلقـا و لا مسست خزّا قطّ، و لا حريرا، و لا شيئا كان الين من كـفّ رسـول اللَّه (ص) و لا شممت مسكا و لا عطرا كان اطيب من عرق رسول اللَّه (ص)
و عن عبد اللَّه بن عمر قال: انّ رسول اللَّه (ص) لم يكن فاحشـا و لا متفحّشـا و كان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا.
و عن انس انّ امـرأة عرضـت لرسـول اللَّه (ص) في طريـق من طـرق المدينـة فقـالت: يـا رسـول اللَّه انّ لى اليـك حاجـة. فقـال: «يـا امّ فلان اجلسـى في اىّ سكك المدينة شئت اجلس اليك. قال: ففعلت، فقعد اليها رسـول اللَّه (ص) حتّى قضى حاجتها
و قال انس: كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد رسول اللَّه (ص) فتنطلق به حيث شاءت. و عن ابى الدّرداء عن النّبي (ص) قـال: «انّ اثقـل شـيء يوضـع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن و انّ اللَّه يبغض الفاحش البذئ.
و عن ابى هريرة قال: قـال النّبي (ص) لاصـحابه: «أ تـدرون مـا اكـثر مـا يـدخل النّاس النّار؟». قالوا اللَّه و رسوله اعلم. قال: «فانّ اكثر مـا يـدخل النّـاس النّـار الأجوفان: الفرج و الفم. أ تدرون ما اكثر ما يـدخل النّـاس الجنّـة؟» قـالوا اللَّه و رسوله اعلم. قال: «فانّ اكثر ما يدخل النّاس الجنّة: تقوى اللَّه و حسن الخلق».
عن عائشة (رض) قالت: سـمعت رسـول اللَّه (ص) يقـول: «انّ المـؤمن ليـدرك بحسن خلقه درجة قائم اللّيل و صائم النّهار.
و عن ابى هريرة قال: قال رسـول اللَّه (ص): «احبّكم الى اللَّه احسـنكم اخلاقـا، الموطؤن اكنافا. الّذين يألفون و يؤلفون. و ابغضكم الى اللَّه المشّـاؤن بالنّميمـة المفرّقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات».
روى عن علىّ بن موسـى الرّضـا عن ابيـه موسـى بن جعفـر عن ابيـه جعفـر بن محمد عن ابيه محمد بن علىّ عن ابيه علىّ بن الحسين عن ابيه حسـين بن علىّ عن ابيـه علىّ بن ابى طـالب سـلام اللَّه عليهم. قـال: قـال رسـول اللَّه (ص): «عليكم بحسن الخلـق فـانّ حسـن الخلـق في الجنّـة لا محالـة، و ايّـاكم و سـوء الخلق فانّ سوء الخلق في النّار لا محالة».

قوله: فَسَتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ: فسترى يا محمد و يرون يعنى: اهل مكّة اذا نـزل بهم العذاب ببدر. و قيل: في القيامة و كان النّبي (ص) عالما بذلك و لكنّـه ذكـر على معنى يجتمع مع علمهم بانّك لست بمجنون و لا مفتون.
و قوله: بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ معناه بايّكم المجنون. فـالمفتون مفعـول بمعـنى المصـدر كما يقال: ما بفلان معقول و مجلود، اى عقل و جلادة. و هذا معنى قول الضحاك و رواية العوفى عن ابن عبـاس، و قيـل: البـاء بمعـنى في و مجـازه. فَسَتُبْصِـرُ وَ يُبْصِرُونَ في اىّ الفـريقين المجنـون في فريقـك ام في فـريقهم؟. و قيـل: البـاء بمعنى مع و المفتون الشّيطان و المعنى: مع ايّكم الشّيطان؟ أ مـع المؤمـنين ام مع الكفّار؟ و هذا معـنى قـول مجاهـد. و قيـل: البـاء فيـه زائـدة و المعـنى: ايّكم المفتون، اى المجنـون الّـذى فتن بـالجنون و هـذا قـول قتـادة. و اتّفقـوا على انّ المفتون هاهنا المجنون.
إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَـلَّ عَنْ سَـبِيلِهِ بمن زاغ عن دينـه و طريقـه وَ هُـوَ أَعْلَمُ منكم و منهم بِالْمُهْتَدِينَ الى دينه.
فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ لك يا محمّد و هم المستهزؤن، الّذين ذكروا في سورة الحجـر، اى فيما يدعونك الى متابعـة اديـانهم. و النّـبي (ص) لم يكن يطيعهم و لكن ذلـك امر باستدامة ترك طاعتهم و الاستزادة فيه.
وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ داهن و ادهن: واحد، و اصل المداهنه المداجاة.
و المعـنى ودّوا لـو توافـق معهم و تـترك مناصـحتهم و تلين لهم فيلينـون لـك و يقاربون لك.
قال ابن قتيبـة: ارادوا ان يعبـد آلهتهم مـدّة و يعبـد اللَّه مـدّة و قيـل الفـاء هاهنـا للعطف لا للجواب.
وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. قال ابن عبّاس هو ابو جهل. و قال مقاتـل: هـو الوليـد بن المغيرة المخزومى. و قيل: الاسود بن عبد يغـوث. و قـال عطـاء الاخنس ابن شريق. و «الحلّاف» كثير الحلف بالباطل. مَهِينٍ اى حقير ضعيف و هو فعيـل من المهانة و هي قلّة الرّأى و التّمييز. تقول مهن بالضّـم فهـو مهين. و ليس هـذا من الهوان و هو قريب من الاوّل لانّ من اكثر الحلف الكاذبة و هو عنـد النّـاس مهين و انّما يكذب لمهانة نفسه عليه.
هَمَّازٍ يغتاب النّاس و يعيبهم بما ليس فيهم، و يقع فيهم من ورائهم.
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ اى قتّات يسعى بالنّميمة بين النّـاس للافسـاد، و في الخـبر لا يـدخل الجنّة قتات. و النّميم جمع نميمة، و قيل: النّميم و النّميمة واحد و الاسم النّمام.
مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ بخيل بالمال، و قيل: يمنع النّاس عن الايمان: قيل: كان له مال.
فقال لاولاده و اولاد اولاده من اسلم منكم منعتـه مـالى. مُعْتَـدٍ اى متجـاوز للحـدّ في الطّغيان أَثِيمٍ كثير الاثم، فاجر عاص.
عُتُلٍّ هو الغليظ الجافى، اكول، شروب، فاحش الخلق سىّء الخلق.
بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ اى بعد هـذه الخصـال مـع هـذه الرّذائـل دعىّ ملصـق بـالقوم ليس منهم. قال عكرمة «الزنيم» ولد الزّنا، قال الشّاعر:

زنيم ليس يعـرف من ابـوه بغىّ الامّ ذو حسـب لـئيم

و قيل: هو الّذى يعرف بالابنة، روى عن النّـبي (ص) الا اخـبركم باهـل الجنّـة كـلّ ضعيف متضعّف لو يقسم على اللَّه لأبرّه، الا اخبركم باهل النّار كـلّ عتـلّ جـوّاظ مسـتكبر، و عن شـداد بن اوس: «قـال: قـال رسـول اللَّه (ص): لا يـدخل الجنّـة جوّاظ و لا جعظرىّ و لا عتلّ زنيم». قال: قلت فمـا الجـواظ؟ قـال: «كـلّ جمّـاع منّاع». قلت: فما الجعظرىّ قال: «الفظّ الغليظ» قلت: فما العتلّ الـزّنيم! قـال:

«كلّ رحيب الجوف اكول شروب، غشوم، ظلوم».
و عن زيد بن اسلم قال: قال رسول اللّه (ص) «تبكى السّماء من رجل اصحّ اللّه جسمه و ارحب جوفه و اعطاه من الدّنيا مقضما و كان للنّاس ظلوما، فذلك العتلّ الزّنيم.
و عن ابى هريرة عن النّبي (ص) قال: «لا يدخل الجنّة ولد الزّنا و لا ولده و لا ولد ولده»: و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يزال امّتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزّنا فاذا فشا فيهم ولد الزّنا يوشك ان يعمّهم اللّه بعقاب.
و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «انّ اولاد الزّنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة و الخنازير».
و قال عكرمة: اذا كثر اولاد الزّنا قلّ المطر.
قوله: أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ قرأ ابو جعفر و ابن عامر و يعقوب آ ان كان بالمدّ و الاستفهام. قرأ حمزة و عاصم برواية ابى بكر بهمزتين بلا مدّ. و قرأ الآخرون على الخبر بلا استفهام. فمن قرأ بالاستفهام فمعناه: الان كان ذا مال و بنين.
إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ و قيل: معناه أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ تطيعوا و من قرأ على الخبر فمعناه لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ لاجل أَنْ كانَ ذا مالٍ وَ بَنِينَ. و جاء في التّفسير انّ الوليد بن المغيرة كان له عشرة بنين. و قيل: اثنا عشر ابنا و كان له تسعة آلاف مثقال فضّة و كانت له حديقة في الطائف ثمّ اوعده فقال: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ الخرطوم الانف و السّمة التّسويد، و الوسم على الانف افضح و اقبح، و المعنى: سنجعل له علامة في الآخرة يعرف بها انّه من اهل النّار من اسوداد الوجه. و جائز ان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النّبي (ص) في الدّنيا فيخص من التّشويه بما يتبيّن به من غيره كما كانت عداوته في الدّنيا زائدة على عداوة غيره و قيل: خصّ الخرطوم بالذّكر و المراد به جميع الوجه لانّ بعض الشّىء يعبّر به عن كله.
قوله: إِنَّا بَلَوْناهُمْ اى اختبرناهم و ابتليناهم، يعنى: هل مكّة حين دعا عليهم النّبي (ص) فابتلاهم بالجوع حتّى اكلوا الجيف و العظام، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللّهم اشدد وطأتك على مصر و اجعلها سنين كسنى يوسف و امر اهل هجران لا يحملوا الى مكّة طعاما و انقطع عنهم الطّريق من قبل العراق.
ابتداء اين قصّه آنست كه رسول خدا (ص) چون از قريش و اهل مكه بغايت برنجيد، دعاء بد گفت بر ايشان، گفت: بار خدايا بطش خود بر ايشان گمار و كار روزى بر ايشان سخت كن و ايشان را سالها قحط و نياز پيش آر، چنان كه در روزگار يوسف مصريان را بود. اللّه تعالى دعاء رسول خدا اجابت كرد تا باران آسمان و نبات زمين از ايشان باز ايستاد و راه كاروان طعام بر ايشان فرو بسته شد، و سالها در آن قحط و نياز مردار و استخوان خوردند. ربّ العالمين ايشان را مثل زد بخداوندان آن بستان. و ايشان سه برادر بودند در صنعاء يمن بستانى داشتند، بدو فرسنگى صنعاء، از پدر ايشان باز مانده و بميراث بايشان رسيده و در آن بستان هم زرع بود و هم درخت خرما و انگور. و پدر ايشان مردى صالح بود. هر سال ريع آن بستان سه قسم كردى، قسمى وجه عمارت و نفقه بستان و قسمى درويشان و خواهندگان را، و قسمى نفقه خويش را. چون پدر از دنيا برفت و بستان با پسران افتاد، سهم درويشان بازگرفتند آن برادر كه بهينه ايشان بود و پارساتر و بسن كمتر، ايشان را گفت: حقّ درويشان باز مگيريد و آن سنّت كه پدر نهاد دست بمداريد كه زيان كار شويد و بركات آن منقطع گردد. ايشان فرمان نبردند. چون وقت چيدن ميوه بود و درودن كشته

سوگند خوردند که سحرگاهان نزديك بام بروند و خرما و انگور ببرند، و نگفتند ان شاء اللّه. مقصود ايشان بوقت سحرگاه آن بود که تا درويشان ندانند و حاضر نشوند که در روزگار پدر ايشان هر سال وقت بريدن ميوه و زرع معيّن بود و درويشان حاضر اينست که ربّ العالمين گفت: أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ وَ لا يَسْتَثْنُونَ اى لم يقولوا ان شاء اللّه.
فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ اى عذاب من ربّك ليلا و لا يكون الطّائف الّا باللّيل و كان ذلك الطّائف نارا نزلت من السّماء فاحرقتها. وَ هُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ الجنة كَالصَّرِيمِ اى محرقة سوداء كاللّيل. و قيل: بيضاء لم يبق فيها سواد زرع و لا شجر كالنّهار و الصّريم اللّيل و الصّريم النّهار لانّ كلّ واحد منهما ينصرم عن صاحبه و قيل: كالصّريم يعنى: كالبستان الّذى صرم زرعه و ثماره و يكون الصّريم بمعنى المصروم كعين كحيل و كفّ خضيب. ايشان سوگند خوردند بى استثنا که بامداد پگاه پنهان از درويشان روند و ميوه چينند. و آن گه در خواب شدند و ربّ العالمين آن شب آتشى فرو گشاد تا هر چه در آن بستان بود همه بسوخت و خاکستر گردانيد و ايشان از آن حال و از آن عذاب بى خبر، بوقت بام برخاستند و يکديگر را آواز دادند که: أَنِ اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِينَ اى قاطعين لها فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ يتسارّون بينهم.
أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ و يخفون انفسهم و كلامهم من النّاس.
وَ غَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِينَ اى على قصد و حرص و امر اسّسوه و اجمعوا عليه قادِرِينَ عند انفسهم على الصّرام.
چون فرا راه بودند، با يکديگر سخن نرم گفتند و براز، که نبايد که امروز هيچ درويشى در آن بستان آيد و خويشتن را پوشيده و پنهان ميداشتند تا کس بنداند ازين درويشان که ايشان ببستان ميروند و بر قصدى و آهنگى درست ميرفتند و حرصى تمام. چون نزديك بستان رسيدند و هيچ درويش نديدند، گفتند که: دست يافتيم و مقصود حاصل کرديم. در نفس خويش چنان پنداشتند که قدرت و توان آنچه مقصود و مرا دست يافتند. و قيل: معنى قادِرِينَ اى خرجوا في الوقت الّذى قدّروه. بيرون آمدند آن ساعت که در اوّل شب تقدير کرده بودند و بر آن عزم و بر آن تقدير خفته، پس چون در بستان شدند درختان و زرع آن ديدند سوخته و خاکستر گشته و آب سياه بر آمده گفتند: إِنَّا لَضَالُّونَ ما راه گم کرديم مگر اين نه بستان ماست؟ چون نيك نگاه کردند بدانستند که جرم ايشان راست که حقّ درويشان باز گرفتند و گفتند: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ نه نه راه گم نکرديم که اين بستان ماست ما را از ميوه و بر آن محروم کردند و از نعمت بى بهره مانديم، بآنکه حقّ درويشان باز گرفتيم.
قالَ أَوْسَطُهُمْ اى خيرهم و افضلهم و اعدلهم قولا و کان اصغرهم سنّا أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ اى هلّا تستثنون عند قولكم لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ و الاستثناء تسبيح لانّه تنزيه و تعظيم للّه و اقرارا بانّه لا يقدر أحد أن يفعل فعلا الّا بمشيّة اللّه. و قيل: معناه هلّا تذکرون نعم اللّه عليكم فتؤدّوا حقّ اللّه من اموالکم.
آن برادر کهينه گفت و بهينه ايشان بود عاقلتر و فاضلتر: نمىگفتم شما را که خداى را بپاکى چرا نستائيد و از پذيرفتن بيداد چرا پاك نشناسيد؟ و چرا ذکر نعمت او بشکر نکنيد؟ تا حقّ او از مال خود بيرون کنيد و بدرويشان دهيد.
و آن گه که مىگفتيد بامداد به بوستان رويم چرا ان شاء اللّه نگفتيد و رفتن خويش با مشيّت اللّه نيفکنديد. و اگر شما سبحان اللّه گفتيد بهتر از آن انديشه بودى که کرديد پس ايشان گفتند: سُبْحانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ پاکست و بى عيب

خداوند ما و مائیم ستمکاران بر خویشتن. بگناه خود معترف شـدند و یکـدیگر را ملامت کردند.
چنان كه ربّ العزّة گفت: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ يلـوم بعضـهم بعضـا بما فعلوا يعنى الهرب من المساكين، هذا يقول كان الذّنب لك و يقول الآخـر بـل كان الذّنب لك.
قالُوا يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا طاغِينَ از كرده پشيمان شـدند و بتضـرّع و زارى بـدرگاه اللَّه باز گشتند و بجرم خود اقرار كردند. گفتند: اى ويل بر مـا كـه از انـدازه خـود در گذشتيم و از راه صواب برگشتيم كه حقّ درويشان باز گرفتيم با اين همه نوميـد نشدند كه بر درگاه اللَّه نوميدى نيست. گفتند:
عَسى رَبُّنا أَنْ يُبْدِلَنا خَيْـراً مِنْها إِنَّا إِلى رَبِّنـا راغِبُـونَ اى راغبـون في المسـألة ان يتوب علينا و ان يرزقنا خـيرا منهـا. قـال عبـد اللَّه بن مسـعود: بلغـنى انّ القـوم تسابوا و اخلصوا و عرف اللَّه منهم الصّدق فابدلهم بها جنّـة خـيرا منهـا و اسـمها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا.
كَذلِكَ الْعَذابُ اى كما فعلت باهل هـذه الجنّـة كـذلك افعـل بامّتـك اذا لم تعطـف اغنياؤهم على فقرائهم بان امنعهم القطر و ارسل عليهم الحوائج و ارفـع البركـة من زروعهم و تجارتهم. ثمّ قال: وَ لَعَذابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كـانُوا يَعْلَمُـونَ اى و مـا اعددت لهؤلاء الكفّار من الوان العذاب في الآخرة اكبر و اعظم و اشدّ لو عقلـوا و عملوا ذلك ثمّ اخبر بما عنده للمتّقين فقال: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ اى بساتين نعيمها مقيم و لا يبيد و لا يفنى خلافا لبساتين الدّنيا فانّها فانيـة هالكـة صاحبها في عناء من عمارتها فلا ترغبوا فيها عنها. فلمّا نزلت هذه الآية قال عتبـة بن ربيعة: لئن كان ما يقول محمّد حقّا لنكوننّ افضل اجرا منهم في الآخـرة كمـا نحن اليـوم افضـل منهم في الـدّنيا فـانزل اللَّه سـبحانه: أَ فَنَجْعَـلُ الْمُسْـلِمِينَ كَـالْمُجْرِمِينَ اسـتفهام انكـار و تـوبيخ، اى لا نفعـل فـان المسـلمين في الجنّـة، و المجرمين، و هم الكافرون، في النّار.
ما لَكُمْ يا كفّار قريش كَيْـفَ تَحْكُمُـونَ؟ من اين حكمتهم بالتّسـوية بين المطيـع و العاصى و اىّ عقل اقتضى ذلك، اى انّ هذا الحكم جور ان تعطوا في الآخـرة مـا يعطى المسلمون.
أَمْ لَكُمْ كِتابٌ نزل من عند اللَّه. فِيهِ تَدْرُسُونَ اى تقرؤن ما فيه.
إِنَّ لَكُمْ فِيهِ اى في ذلك الكتاب. لَما تَخَيَّرُونَ اى ما تختارون لانفسكم و تشـتهون و انّما كسرت انّ لما دخلت في خبرها اللّام تخيّر و اختار بمعنى واحد.
أَمْ لَكُمْ أَيْمـانٌ عهـود و مواثيـق عَلَيْنـا بالِغَـةٌ اى مؤكّـدة محكمـة عاهـدناكم عليـه فاستوثقتم بها منّا فلا ينقطع عهدكم إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِنَّ لَكُمْ في ذلـك العهـد لَمـا تَحْكُمُونَ لانفسكم من الخير و الكرامة عند اللَّه. خلاصة المعنى: هـل وجـدتم في كتاب لى او درستم انّى اقسمت قسما بالغا شـديدا لا مثنويّـة فيـه انّى افعـل مـا تحكمون. ثمّ قال لنبيّه (ص): أَيُّهُمْ بما يقولون من انّ لهم في الآخرة حظّـا زَعِيمٌ اى كفيل ضامن فان من كان على بصيرة من شيء تكفّل به و اذ لم يتكفّلـوا دلّ على انّهم غير واثقين بما يقولون. قال الحسن: الزّعيم في الآية بمعنى الرّسول، اى فيهم رسول او جاءهم رسول بصحّة ما يقولون.
أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ يعنى: آلهـة تكفـل لهم بمـا يقولـون و قيـل: شـهداء يشـهدون لهم بصدق ما يدعونه. فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ اى فليأتوا بها: إِنْ كانُوا صادِقِينَ في دعواهم.
يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ يـوم ظـرف و المعـنى: فليـأتوا بشـركائهم في ذلـك اليـوم لتنفعهم و تشفع لهم. و قيل: معناه اذكـر يَـوْمَ يُكْشَـفُ عَنْ سـاقٍ و قـرئ بـالنّون

نكشف عن ساق.
روى البخـارى في الصّحيح عن يحـيى بن بكـير عن الليث بن سـعد عن خالـد بن يزيد عن سعيد بن ابى هلال عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابى سـعيد الخدرى عن رسول اللّه (ص) قال: «يكشف ربّنا عن ساقه فيخرّون له سجّدا»
و قال ابن مسعود: يكشف ربّنا عن ساقه. و عن ابى موسى الاشعرى عن النّـبي (ص) يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ قال نور عظيم يخرّون له سجّدا.
و قال اهل اللّغـة: الكشـف عن السّـاق كنايـة عن شـدّة الامـر قـال الشّـاعر: «و قامت الحرب على سـاق» و يـروى عن ابن عبـاس انّـه قـال: يكشـف عن الامـر الشّـديد و ذلـك اشـدّ السّـاعة تمـرّ بهم في القيامـة يُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ فامّـا المؤمنون فيخرّون سجّدا و امّا المنافقون فتصير ظهورهم طبقا كانّهـا السـقافيد. فَلا يَسْتَطِيعُونَ السّجود فتسوّد عند ذلك وجوههم و يتميّز الكافرون من المؤمنين حينئذ و كانوا قبل ذلك مختلطين. و عن ابى هريرة عن النّـبي (ص) قـال: «يأخـذ اللّه عزّ و جلّ للمظلوم من الظّالم حتّى لا تبقى مظلمة عند احد حتّى انّه ليكلّف شائب اللّبن بالماء ثمّ يبيعـه ان يخلص اللّبن من المـاء فـاذا فـرغ من ذلـك نـادى مناد يسمع الخلائق كلّهم الا ليلحق كلّ قوم بـآلهتهم و مـا كـانوا يعبـدون من دون اللّه، فلا يبقى احد عبد شيئا من دون اللّه الّا مثّلت له آلهته بين يديه و يجعل اللّه ملكا من الملائكة على صورة عزير و يجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسـى بن مريم فيتّبع هذا اليهود و يتّبع هـذا النّصـارى، ثمّ تلـويهم آلهتهم الى النّـار و هم الّذين يقول اللّه عزّ و جلّ لو كان هؤلاء آلهة ما و ردوها و كلّ فيهـا خالـدون و اذا لم يبـق الّا المؤمنـون و فيهم المنـافقون، قـال اللّه عـزّ و جـلّ لهم ذهب النّـاس فالحقوا بآلهتكم و ما كنتم تعبدون! فيقولون و اللّه ما لنا آله الّا اللّه و ما كنّا نعبد غيره. فينصرف اللّه عنهم فيمكث ما شـاء اللّه ان يمكث ثمّ يـأتيهم فيقـول: ايّهـا النّاس ذهب النّاس فالحقوا بآلهتكم و ما كنتم تعبدون. فيقولون: و اللّه ما لنا آلـه الّا اللّه و ما كنّا نعبد غـيره فيكشـف لهم عن سـاق و يتجلّى لهم من عظمتـه مـا يعرفون انّه ربّهم فيخرّون سـجّدا على وجـوههم و يخـرّ كـلّ منـافق على قفـاه و يجعل اللّه اصلابهم كصياصى البقر ثمّ يضرب الصّراط بين ظهرانى جهنّم.
قولـه: خاشِـعَةً أَبْصـارُهُمْ و ذلـك انّ المؤمـنين يرفعـون رؤسـهم من السّـجود و وجوههم اشدّ بياضا من الثّلج و تسوّد وجوه الكـافرين و المنـافقين. تَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ اى تغشاهم ذلّ النّدامة و الحسرة. وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ. قـال ابـراهيم التيمى يعنى: الى الصّلاة المكتوبة بالاذان و الاقامة، و قيـل: كـانوا يسـمعون حىّ على الصّلاة فلا يجيبون. وَ هُمْ سالِمُونَ اصحّاء فلا يأتونه. قال كعب الاحبار و اللّه ما نزلت هذه الآية الّا في الّذين يتخلّفون عن الجماعات، و قيل: كـانت ظهـورهم سليمة بخلاف ما كانت في الآخره فلا يجيبون.
فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ اى فـدعنى و المكـذّبين بـالقرآن و خـلّ بيـنى و بينهم. قـال الزجـاج: اى لا تشـغل قلبـك بهم و كلّهم الىّ فـانّى اكفيكهم و دعـنى ايّاهم. سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ اى سنأخذهم بالعـذاب حـالا بعـد حـال و سنقرّبهم من العذاب من حيث لا يشعرون فعذّبوا يوم بدر. قـال سـفيان الثـورى الاستدراج ان يبسـط عليهم النّعم و يمنعهم الشّـكر و قـال السّـدّى كلّمـا جـدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة و امسيناهم شكرها.
وَ أُمْلِي لَهُمْ اطيل لهم المدّة إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اى انّ اخذى بالعذاب شديد.
أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً اى أ تطالبهم يا محمد على ما آتيتهم بـه من الرّسـالة جعلا. فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ اى فهم من غرم ذلك الجعـل مُثْقَلُـونَ: لا يطيقونـه أَمْ عِنْـدَهُمُ

الْغَيْبُ اى عندهم اللّوح المحفوظ، فهم يكتبون منه و يستنسخون منه و قيل: الْغَيْبُ ما غاب عنه من خفىّ معلوماته و لطف تدبيره و كلّ ذلك تنبيه على فساد ما هم عليه مقيمون اتّباع الهوى.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ارض بقضاء ربّك يا محمد و احبس نفسك و قلبك على ما يحكم به ربّك و لا تضجر بقلبك و لا تجزع بنفسك. وَ لا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ يعنى يونس بن متى، لا تعجل كما عجل يونس إِذْ نادى ربّه وَ هُوَ مَكْظُومٌ مملوّ من الغضب مكروب مغموم. قيل: نزلت هذه الآية يوم احد لمّا انهزم المسلمون و كسر رباعية النّبي (ص) و قال: كيف يفلح قوم شجّوا نبيّهم و خضبوا وجهه بالدّم و هو يدعوهم الى اللّه و اراد ان يدعوا على الّذين قاتلوه فامره اللّه بالصّبر، و الظّاهر انّها عامة في جميع احواله الّتى امر فيها بالصّبر، و المعنى: لا تستعجل بعقوبة قومك كما استعجل يونس فلقى ما لقى في بطن الحوت حتّى نادى ربّه و هو ممتلى حزنا على نفسه.
لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى لو لا انّ اللّه تاب عليه و خصّه برحمته و لحقته نعمة من قبله. و قيل: لَوْ لا أَنْ تَدارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ هى النّبوّة. و قيل: عبادته السّابقه. لَنُبِذَ بِالْعَراءِ اى لطرح بالارض الفضاء. وَ هُوَ مَذْمُومٌ اى لولا ذلك لنبذ مذموما بدل ما نبذ محمودا. العراء، الفضاء العارى من البناء.
و يقال: هذا «العراء» عرصة السّاعة. العراء في الآية الأخرى «فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ» هى ارض الموصل.
فَاجْتَباهُ رَبُّهُ اى جدّدنا اجتباءه و اعدنا اصطفاءه بعد المحنة كقوله في: آدم: «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ» و قيل فَاجْتَباهُ رَبُّهُ اى اختاره لرسالته فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ اى من الانبياء قوله وَ إِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ان هاهنا مخفّفة من الثّقيلة، و المعنى: و انّ الّذين كفروا يكادون يصيبونك باعينهم و ذلك حين اراد الكفّار ان يعينوا رسول اللّه فيصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش و قالوا: ما رأينا مثله و لا مثل حججه و كانت العين في بنى اسد حتّى انّ الرّجل منهم ينظر الى النّاقة السّمينة او البقر السّمينة ثمّ يعينها ثمّ يقول للجارية: خذى المكتل و الدّرهم فاتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتّى تقع فتنحر و كان الواحد اذا اراد ان يعين شيئا يجوع ثلاثة ايّام ثمّ يعرض له فيقول تاللّه ما رايت مالا اكثر و لا احسن من هذا فيتساقط ذلك الشّيء فارادوا مثل ذلك برسول اللّه (ص) فعصمه اللّه من ذلك و انزل هذه الآية. قال الحسن: هذه الآية دواء اصابة العين.
و في الخبر: «العين حقّ تشترك من الخالق»
و يروى: «العين حقّ تدخل الرّجل القبر و الجمل القدر و لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين».
و قال بعضهم: انّما يصيب الانسان بالعين ما يستحسنه و تميل نفسه اليه و كان نظرهم الى النّبي (ص) نظرة البغض و ذلك ضدّه. قالوا و معنى الآية: انّهم لشدّة عداوتهم لك ينظرون اليك نظرا يكاد يصرعك عن مكانك كما يقال نظر الىّ فلان نظرا كاد يأكلنى به. و الجمهور على القول الاوّل. قرأ اهل المدينة لَيُزْلِقُونَكَ بفتح الياء و الآخرون بضمّها و هما لغتان يقال: زلقت الرّجل و ازلفته اذا صرعته و كان رسول اللّه (ص) اذا قرأ القرآن كاد المشركون يزلقونه استحسانا و الذّكر هاهنا القرآن. وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن و يقولون معه جنّى يعلّمه الكتاب.
و قيل: مختلط العقل قالوه حسدا وَ ما هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ اى و ما القرآن الّا موعظة للمؤمنين و شرف لهم و نجاة، و قيل: وَ ما هُوَ اى و ما محمد و ارسلنا

ایّاه الّا ذِكْرٌ و شرف لِلْعالَمِينَ الجنّ و الانس.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الباء: برّ اللَّه لاهل السّعادة السّين: سبق الرّحمة لاهل الجهالة. الميم المقام المحمود لاهل الشّفاعة. با اشارتست ببرّ خداوند اهل سعادت را سين اشارتست بسبق رحمت اهل جهالت را. ميم اشارتست بمقام محمود اهل شفاعت را. برّ او آنست كه دلت را بنور معرفت بياراست و در و چراغ توحيد بيفروخت. قال اللَّه تعالى فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ. سبق رحمت آنست كه: در عهد ازل پيش از وجود آفرينش از بهر تو رحمت بر خود نبشت. قال اللَّه: كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ. مقام محمود آنست كه: مصطفى عربى (ص) را گفت كه: از بهر شفاعت عاصيان امّت را فردا ترا بقيامت بر پاى كنم در مقامى كه پيشينان و پسينان ترا در آن بستايند. قال اللَّه تعالى: عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً.

قوله تعالى: ن وَ الْقَلَمِ ن از حروف تهجّى است و حروف تهجّى لغات را اصلست و كلمات را وصل است و آيات را فصلست و همه دليل كرم و فضلست، بعضى مجمل و بعضى مفصّل است. از لطف اشارتست، بمهر بشارتست، جرم را كفّارتست و دلهاى دوستان را غارتست مايه سخنان است، پيرايه سخن گويان است، فهم آن نشان موافقانست. بر گردن دشمنان بارست و در چشم مبتدعان خارست. اعتقاد مؤمنانست كه اين حروف كلام خداوند جهانست. خداوندى كه او را علم و قدرتست علم او بى فكرت، قدرت او بى آلت، ملك او بى نهايت، عنايت او بى رشوت عطاء او بى منّت. خداوندى كه عالم را صانع و خلق را نگه دار است دشمن را دارنده و دوست را يارست، بصنع در ديده هر كس و در جان احبابش قرار است. هر اميدى را نقد و هر ضمانى را بسندهگارست هر چند بنده ز جرم گرانبارست او حليم و بردبارست.

پير طريقت در مناجات خويش گفته: «الهى هر چند كه ما گنهكاريم، تو غفّارى، هر چند كه ما زشت كاريم، تو ستّارى. ملكا گنج فضل تو دارى، بى نظير و بى يارى. سزد كه جفاهاى ما درگذارى».

ن وَ الْقَلَمِ «ن» دواتست و «قلم» خامهاى از نور، نويسنده خداوند غفور، لوح قلم زبرجد نوشت، بمداد نور بنوشت، بر دفتر ياقوت نوشت. قصّه و كردار مخلوق نوشت، دل عارف قلم كرم نوشت، بمداد فضل نوشت، بر دفتر لطف نوشت، صفت و نعت معروف نوشت. كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ لوح نوشت. و همه آن تو نوشت، دل نوشت همه وصف خود نوشت. آنكه از تو نوشت، به جبرئيل ننمود آنكه از خود نوشت به شيطان كى نمايد؟!. بعضى مفسّران گفتند: ماهيى است بر آب زير هفت طبقه زمين ماهى از گرانى بار زمين خم داد و خم گرديد، بر مثال ن شد شكم بآب فرو برده و سر از مشرق برآورده و دنب از مغرب و خواست كه از گرانبارى بنالد، جبرئيل بانگ بر وى زد، چنان بترسيد كه گرانبارى زمين فراموش كرد و تا بقيامت نيارد كه بجنبد. ماهى چون بار برداشت و نناليد، ربّ العالمين او را دو تشريف داد: يكى آنكه بدو قسم ياد كرد، محلّ قسم خداوند جهان گشت ديگر تشريف آنست كه: كارد از حلق او برداشت، همه جانوران را بكارد ذبح كنند و او را نكنند، تا عالميان بدانند كه هر كه بار كشد رنج وى ضايع نشود. اى جوانمرد، اگر ماهى بار زمين كشيد بنده مؤمن بار امانت مولى كشيد. وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ ماهى كه بار زمين برداشت، از كارد عقوبت ايمن گشت. چه عجب اگر مؤمن كه بار امانت برداشت از كارد

قطیعت ایمن گردد.
قوله تعالی: ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ. وَ إِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْـرَ مَمْنُـونٍ. وَ إِنَّكَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ عـرض علیـه مفـاتیح الارض فلم یقبلهـا و رقّـاه لیلـة المعـراج و اراه جمیع الملائکة و الجنّة فلم یلتفت الیها. قال اللّٰه تعالی: ما زاغَ الْبَصَرُ وَ مـا طَغی ما التفت یمینا و شمالا فقال تعالی: وَ إِنَّكَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ آن مهتر عالم، سـیّد ولد آدم مـرد کـار بـود، معتکـف درگـاه عـزّت مجـاور محلّت محبّت. درّی بـود از صدف قدرت برآمده، آفتابی از فلك اقبال بتافته، آسمان و زمین بـوی آراسـته و نگاشته. شب معراج او را گفتند: ای سیّد بـر خـرام بـرین گلشـن بلنـد کـه عـالم قدس در انتظار قدم تست، جمال فردوسیان عاشق چهره جمال تسـت، آسـتان حضرت ما مشتاق قدم معرفت تسـت، الا طـال شـوق الأبـرار الی لقـایی و انی لاشـد شـوقا الیهم. آن مهـتر عـالم چـون در خلـوت «أَوْ أَدْنی» قـدم بـر بسـاط انبساط نهاد، خطاب آمد که: سلام علیـك ایّهـا النّـبي و رحمـة اللّٰه و برکاتـه. ای سیّد ما امشب خزینه دار السّلام را در لشگرگاه سینه تو نثار میکنیم. سیّد گفت: ما را از خداوند خزینه پروای خزینه نیست، آن بر گدایان و عاصیان امّت خـویش ایثار کردیم و علی عباد اللّٰه الصّالحین. گفتند: ای سـیّد بـآفرینش بـرون نگـر کـه همه منتظر جمال تواند تا امشب بهرهای از تو بردارند. سیّد گفت: درین حضرت که سعادت ما را فرو آورد نیز ما را سر بحجره آدم و بهشت رضوان فـرو نیایـد. از حضرت عزّت ندا آمد که: وَ إِنَّكَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ باش تـا فـردای قیـامت کـه علم دولت او بعرصه عظمی برافرازند، قـدم در رکـاب بـراق آورده لبـاس فخـر پوشیده، عمّامه فضل بر سر نهاده، لواء حمد در دست گرفته، آدم و هر که دون اوست از انبیاء و اولیـا همـه در زیـر علم عـزّت او و رایت قـدر او درآمـده، و از حضرت عزّت این ندا و نواخت همی آید که: یا محمد قل یسـمع و سـل تعطـه و اشفع تشفع.
قدر آن حضرت مهتر عالم موسی دانست که در آن غیرت ازین عالم بیرون شـد و دل بر آن نهاده بود که خادمی این مهتر را میان در بندد و درگاه مکـه و مدینـه بجاروب عاشقی مروبد و ازینجا بود که با عزرائیل منازعت کرد، آن گه که آمده بود تا قبض روح وی کند فلطمه لطمة لطمه ای بزد و یك چشم او بکند و از درد این غیرت کـه جـان مـا بـر خواهـد گـرفت، و روی مـا گـرد سـر کـوی مصـطفی ناگرفته. حسرت نارسیدن بحضرت این مهتر او را بدان آورد کـه بـا عزرائیـل آن راه برفت. ای جوانمرد قدر آن مهتر که داند و کدام خاطر ببدایت او رسد؟ صـد هزار و بیست و چهار هزار نقطه نبوّت که رفتند در برابر درجات او کواکب بودند و با آنکه او غائب بود همه نور نبوّت ازو گرفتند. چنان که آفتـاب اگـر چـه غـایب باشد کواکب نور از وی گیرند، لیکن چون آفتاب پیدا شود. کواکب در نور او همه ناپیدا شوند همچـنین همـه انبیـا نـور ازو گرفتنـد، لیکن چـون محمـد (ص) بعـالم صورت درآمد ایشان همه گم شدند. شعر:

کانّـك شـمس و الملـوك کـواکب	اذا طلعت لم یبـد منهنّ کـوکب

69- سورة الحاقة- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهان دار دشمن پرور ببخشایندگی دوست بخشای بمهربانی.

الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) آن روز و آن کار بودنی.

وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) و چه چیز ترا دانا کرد و چه دانی که آن روز چه روز است و آن کار چه کار؟

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ (4) دروغ زن گرفت ثمود و عاد بروز رستاخیز

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) اما ثمود تباه کردند و هلاك ایشان را بنافرمانی ایشان.

وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا امّا عاد تباه کردند و هلاك ایشان را: بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ (6) ببادی سخت سرد شوخ نافرمان.

سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيالٍ وَ ثَمانِيَةَ أَيَّامٍ برگماشت آن را بر ایشان هفت شب و هشت روز. حُسُوماً پیوسته بر هم روزهای شوم بادها که از خان و مان ایشان اثر و نشان نگذاشت. فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى تو بینی آن گروهان اندر آن عذاب افکنده. كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ (7) گویی که ایشان خرما بناناند بی شاخ افکنده از رستنگاه.

فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (8) ازیشان هیچکس مانده مبینی؟

وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ (9) و فرعون و ایشان که با او بودند و قوم لوط بد خویش آوردند.

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ نافرمان شدند در فرستاده خداوند خویش.

فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً (10) فرا گرفت خداوند ایشان را فراگرفتنی بیش از آنکه میترسیدند و افزون از آن کرد که میکردند.

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ ما آن گه که آب نافرمان شد. حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ (11) برداشتیم شما را در کشتی.

لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً تا آن را یادگاری کنیم وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ (12) و دریابد و نگهدارد آن را گوشی دریابنده و نگاه دارنده.

فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ (13) آن گه که دردمند در صور يك دمیدن.

وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ و بردارند زمینها و کوهها. فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً (14) و درهم کوبند آن را يك در هم کوفتن.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ (15) آن روز آنست که بودنی ببود و افتادنی بیفتاد.

وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ و آسمان برشکافت فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ (16) آسمان آن روز سست شود و تباه.

وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها و فرشتگان بر کرانهای آسمان ایستاده مینگرند وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (17) و برگیرد عرش خداوند تو زبر ایشان آن روز هشت فریشته.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ آن روز پیش آرد شما را لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (18) پوشیده نماند از شما هیچ نهان بر اللَّه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ امّا آن کس که او را نامه دهند براست دست.

فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ (19) گوید: بیائید نامه من گیرید و برخوانید.

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ (20) من بی گمان بودم، میدانستم که من امروز مشمار باید دید.

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (21) او در زندگانى است پسنديده.
فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (22) در بهشتى در بالا گزيده و پسنديده.
قُطُوفُها دانِيَةٌ (23) خوشههاى آن از دست چننده نزديك.
كُلُوا وَ اشْرَبُوا خوريد و آشاميد هَنِيئاً نوش بـاد شـما را گوارنـده بِمـا أَسْـلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَـةِ (24) اين بـآن كردارهاسـت كـه پيش خـود فـرا فرسـتاديد در روزگارهاى گذشته.
وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ و اما آنكه نامه او بچپ دست دهند، فَيَقُولُ گويد: يـا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ (25) كاشك مرا نامه من ندادندى.
وَ لَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ (26) كاشك من هرگز ندانستمى كه شمار من چيست.
يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ (27) اى كاشك آن مرگى كه مردم را در دنيا بود، آن مرگ بر من هميشى بودى.
ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ (28) مال من مرا امروز بكار نيامد.
هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ (29) توان من تباه شد.
خُذُوهُ گيريد او را. فَغُلُّوهُ (30) دستهاى او را بر گردن او بنديد.
ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) آن گه سوختن را او را بآتش رسانيد.
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ انگه او را در زنجير كنيد ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً درازى آن هفتاد گز. فَاسْلُكُوهُ (32) اندر كشيد او را.
إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) او بنگرويده بود بآن خداى بزرگوار.
وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (34) و بر طعام دادن نمىانگيخت.
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ (35) او را آن روز هيچ دوست نيست.
وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) و نيست او را آنجـا هيچ خـورش مگـر از آنچـه از قذرهاى او برفت.
لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخـاطِؤُنَ (37) نخـورد آن را مگـر او كـه در راه حـقّ خطـا كـرد و از راستى بيفتاد.
فَلا أُقْسِمُ سوگند ميخورم بِما تُبْصِرُونَ (38) وَ ما لا تُبْصِرُونَ (39) بهر چه مىبينيد از آفريده
و هر چه نمىبينند.
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) كه اين باز گفت فرستادهاى استوارست راسـتگوى، پاك مقام.
وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ آن سخن شعرگويى نيست قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ (41) چون اندك مىگرويد.
وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ و نه سخن كاهنى است قَلِيلًا مـا تَـذَكَّرُونَ (42) چـون انـدك پنـد مىپذيريد و مىدرياويد.
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (43) فرو فرستادهاى است كه از خداوند جهانيان.
وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (44) و اگر رسول بر ما هيچ سخن فرانهـادى جـز از گفته ما.
لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) دست او گرفتيمى.
ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) آن گه مارك دل او بگسستيمى.
فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ (47) هيچكس از شما بـاز دارنـده عـذاب نيسـت ازو.
وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) و اين سخن يادگارست» پرهيزگاران را.
وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَـذِّبِينَ (49) و مـا دانسـته بـوديم و مىـدانيم كـه از شـما

گروهى دروغ زن گيرانند باين سخن.
وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكافِرِينَ (50) و اين پيغام بر كافران فـردا حسـرتى اسـت و پشيمانى.
وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) و اين راست است بدرستى.
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52) بپاكى ياد كن نام خداوند خويش آن بزرگوار.
النوبة الثانية
اين سوره بعدد كوفيان پنجاه و دو آيت است، دويست و پنجاه و نه كلمت، هـزار و چهار صد و هشتاد حرف، جمله به مكه فروآمد و باجمـاع مفسّـران در مكيـات شمرند، و درين سوره ناسخ و منسوخ نيست. و عن ابى امامة عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللّه (ص): «من قرأ سورة الحاقّة حاسبه اللّه حسابا يسيرا»
و في بعض الآثـار من قـرأ احـدى عشـرة آيـة من سـورة الحاقّـة اجـير من فتنـة الدّجّال و من قرأها كان له نور من فوق رأسه الى قدمه.
قوله: الْحَاقَّةُ يعنى: القيامة، سمّيت حاقّة لانّهـا واجبـة الكـون و الوقـوع من حـقّ يحقّ بالكسر اى وجب و صحّ مجيئها للجـزاء على الطّاعـة ثوابـا و على المعصـية عقابا. قـال اللّه تعـالى: وَ لكِنْ حَقَّتْ كَلِمَـةُ الْعَـذابِ عَلَى الْكـافِرِينَ. اى وجبت. و قيل: مشتقّ من حقّ يحقّ بالضّمّ، تقول حققت عليه القضـاء اوجبتـه. و المعـنى: توجب لكلّ احد ما استحقّه من الثّواب و العقاب. و قيل: سمّيت حاقّة لانّها حقّت كلّ من حاقّها من مكذّب في الدّنيا فحقّته و غلبته. و قال الكسائى: الحاقّة يعـنى يوم الحقّ.
قوله: مَا الْحَاقَّةُ هذا استفهام، معناه التّفخيم لشأنها كما يقال زيد ما زيد؟
على التّعظيم لشأنه. قوله: «ما» رفع بالابتداء، الحاقّة خبره و الجملة خبر المبتدا الاوّل.
وَ ما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ اى انّك و ان سمعتها لم تعلم بها. لانّـك لم تعاينهـا و لم تـر ما فيها من الاهوال، و قيل: معناه ليس ذلك من علمك و لا من علم قومك.
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بِالْقارِعَةِ اى بالحاقّة، فوضع القارعة موضعها لانّهما من اسـماء القيامة و سمّيت قارعة لانّها تقرع قلوب العباد بالمخافـة، و قيـل: معنـاه: كَـذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عادٌ بالعذاب الّذى اوعدهم نبيّهم حتّى نزل بهم فقـرع قلـوبهم. فَأَمَّا ثَمُـودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ اى بسبب طغيانهم و مجاورتهم الحدّ في كفرهم و هي مصـدر، كالعافية و العاقبـة الخائبـة. هـذا كقولـه: كَـذَّبَتْ ثَمُـودُ بِطَغْواهـا و قيـل: الطّاغيـة الصّيحة المتجاوزة في العظم كلّ صيحة، اى اهلكوا بالرّجفة و الصّـيحة الطّاغيـة، و قيل: الطّاغية اسم البقعة الّتى اهلكوا فيها و قيل: معناه بالفرقة الطّاغية و هم قدار بن سالف عاقر الناقة و اتباعه.
وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ و هي الدبور
لقول النّبي (ص) «نصرت بالصّبا و اهلكت عاد بالدّبور «صرصر»
اى باردة في النّهاية و قيل: لها صرّ اى صوت «عاتيـة» اى عتت على خزّانهـا في شدّة هبوبها غضبا على اعـداء اللّه اذن للّه لهـا من دون الخـزّان. قـال قتـادة لم تخرج الّا مقدار خاتم. و قال ابن عباس: لم تكن في الدّنيا سفوة ريح و لا قطـرة مطـر الّا بمكيـال و وزن الّا مـا كـان من ريح عـاد فانّهـا عتت على الخـزّان فلم يملكوها و خرجت على قدر حلقة خاتم و ماء طوفـان قـوم نـوح فانّـه طغى على الخزّان فلم يملكوه و علا فوق كلّ شيء خمسة عشر ذراعا.
سَخَّرَها عَلَيْهِمْ اى سلّطها و حبسـها عليهم سَـبْعَ لَيـالٍ وَ ثَمانِيَـةَ أَيَّامٍ يقـال: اخـر اسبوع من شهر صفر. «حُسُوماً» متتابعة ولاء بين اربعاوين اخذ من جسم الجرح

يتابع كيا بعد كى ليقطع الدّم، و قيل: «حُسُوماً» اى شوما كانها حسمت الخير عن اهلها، كقوله: «فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ» و قيل: «حُسُوماً» جمع حاسم كالشّاهد و الشهود، و الحاسم: القاطع المذهب للاثر، اى قاطعة لدابر اولئك القوم.
فيكون نصبا على الصّفة. و قيل: نصب على المصدر. قال وهب: هى الايّام الّتى تسمّيها العرب ايّام العجوز ذات برد و رياح شديدة. سمّيت عجوزا لانّها في عجزة الشّتاء اى اواخرها و قيل: سمّيت بذلك لانّ عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الرّيح فقتلتها اليوم الثّامن من نزول العذاب و انقطع العذاب فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى اى لو كنت حاضرا هناك لرأيت القوم فيها، اى في تلك اللّيالى و الايّام صرعى، اى هلكى، جمع صريع. كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ اى اصول نخل «خاوِيَةٍ» اى ساقطة خالية من العذوق خاليه منابتها منها، و قيل: خالية الاجواف، و قال في موضع آخر: «كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» قيل: كان طولهم اثنى عشر ذراعا.
فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ اى نفس باقية كقوله: «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» و قيل: هى مصدر كالعافية، و المعنى: هل ترى لهم من بقاء.
وَ جاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ قرأ اهل البصرة و الكسائى بكسر القاف و و فتح الباء، اى و من معه من جنوده و اتباعه، و قرأ الآخرون بفتح القاف و سكون الباء، اى و من تقدّمه من الامم الكافرة وَ الْمُؤْتَفِكاتُ اى قرى قوم لوط يريد اهل المؤتفكات، و قيل: يريد الامم الّذين ائتفكوا «بِالْخاطِئَةِ» اى بالخطئة و المعصية و هي الشّرك.
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ يعنى: لوط و موسى (ع) و قيل: كلّ امّة عصوا رسولهم الّذى ارسل اليهم و يجوز ان يكون الرّسول بمعنى الرّسالة فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً اى نامية زائدة على ما عملوا باضعافها، و قيل: زائدة على عذاب الامم، اى عاقبهم اشدّ العقوبة إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ اى ارتفع و علا و تجاوز الحدّ المعتاد حتّى غرق الارض. و قيل: طغى على خزّانة، اى على ميكائيل و حزبه من الملائكة فخرج من الكيل و الوزن و لم يعلموا قدره و حَمَلْناكُمْ اى حملنا آباءكم يا امّة محمد و انتم في اصلابهم. فِي الْجارِيَةِ يعنى السّفينة و سمّيت جارية لانّ من شأنها ان تجرى على الماء.
لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً اى السّفينة الجارية فانّها بقيت الواحها دهرا و قيل: لنجعل ما اتّخذ على مثالها فانّ سفن الدّنيا تذكّر سفينة نوح و كانت اوّلها، و قيل: لنجعل هذه الفعلة و هي اغراق قوم نوح لكم تذكرة و وجه كونها تذكرة ان نجاة من فيها و تغريق من سواهم، تقتضى انّه من مدبر ابدع امرا لم تجربه العادة.
وَ تَعِيَها اى و تحفظها «اذن» انسان شأنه ان يحفظ ما يجب حفظه.
قال النّبي (ص): «افلح من جعل اللّه له قلبا واعيا، الوعى ان يحفظ السّامع ما يسمعه و يعمل به»
و عن مكحول قال لمّا نزلت وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ
قال رسول اللّه (ص): «دعوت اللّه ان يجعلها اذنك يا على» قال على (ع): فما نسيت شيئا بعد ذلك و ما كان لى ان انساه.
يقال الوعى فعل القلب و لكنّ الاذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فنعتت الآذان بنعت القلوب، تقول: وعيت الكلام اذا فهمته و حفظته و اوعيت المتاع و الزّاد اذا جمعته في الوعاء، قال الشّاعر:

الخير يبقى و ان طال الزّمان به ... و الشّر اخبث ما اوعيت من زاد.

و منه قوله تعالى: «وَ جَمَعَ فَـأَوْعى» فَـإِذا نُفِخَ فِي الصُّـورِ نَفْخَـةٌ واحِـدَةٌ نفخـة و النّفخ واحـد و ذكـر الواحـد للتّأكيـد لانّ النّفخـة لا تكـون الّا واحـدة و هي النّفخـة الاولى فيمن جعل النّفخة نفخـتين احـديها يمـوت عنـدها النّـاس و الثّانيـة يبعثـون عندها.
وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ اى حمل ما على الارض من جبال و احجار و اشجار من اماكنها فضربت على الارض.
فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً اى دقّتا دقّة واحدة فصارتا هباء منبثّـا. و قيـل: دكّهـا زلزلتهـا. و قيل: دكّها ان تصير قطعة واحدة «لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً».
فَيَوْمَئِذٍ اى حينئذ. وَقَعَتِ الْواقِعَةُ الّتى توعدون و هي قيام السّاعة و صيحتها.
وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ
قال على (ع): اى عن المجرّة
فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ ضعيفة كالغزل المنقوض، و قيل: ساقطة متشقّقة.
وَ الْمَلَـكُ عَلى أَرْجائِهـا الرّجـا جـانب الشّـيء مقصـور و الاثنـان رجـوان و الجمـع ارجاء. قال الشّاعر:

اذا لم تحظ في ارض فـدعها و حثّ اليعملات على رجاها
و لا يغـررك حـظّ اخيـك منها اذا صفرت يمينك من جـداها
فانّـــك واجـــد دارا بـــدار و لست بواجد نفسـا سـواها

وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها اى الملائكة على اطرافها و نواحيها و ابوابها.
قال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتهـا حتّى يـأمرهم الـرّبّ فيـنزلوا فيحيطـوا بالارض و من عليها و قيل: الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها ينتظر ما يؤمر به في اهل النّـار و اهـل الجنّـة من الثّـواب و العقـاب. و قيـل: انّمـا جعلهم في نـواحى السّـماء لانّ الكفّار يقصدون الحرب لمـا يرونـه من شـدّة العقوبـة و تـردّهم الملائكـة و ذلـك معنى قوله: «لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ» اى لا تقصدون مهربا الّا و هنـاك لى اعـوان و لى به سلطان. وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ اى فوق رؤسهم يومئذ يوم القيامة. «ثَمانِيَةٌ» اى ثمانية املاك و جاء في الحديث: «انّهم اليـوم اربعـة و اذا كـان يـوم القيامـة امـدّهم اللّه باربعـة آخـرين فكـانوا ثمانيـة على صـورت الاوعـال مـا بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء
و في الخبر الصّحيح عن العبـاس بن عبـد المطلب قـال: كنّـا جلوسـا عنـد النّـبي (ص) بالبطحاء فمرّت سحابة فقال النّبي (ص): «أ تدرون ما هذا»؟ قلنا السّحاب فقال: «و المزن» قلنا و المزن؟ قال: «و العنان» فسـكتنا. فقـال: «هـل تـدرون كم بين السّماء و الارض»؟ قلنا: اللّه و رسوله اعلم. قال: «بينهما مسيرة خمس مائـة سـنة و من كـلّ سـماء الى سـماء مسـيرة خمس مائـة سـنة، و في روايـة اخرى، قال (ص): «فانّ بعد ما بينهما امّا واحدة و امّا اثنتان و امّا ثلاث و سبعون سنة» قال: «و السّماء الثّانية فوقها حتّى عدّ سبع سـماوات»: ثمّ قـال: «و فـوق السّابعة بحر ما بين اعلاه الى اسفله كما بين سماء الى سماء و فوق ذلك ثمانية اوعال ما بين اظلافهنّ الى ركبهنّ كما بين سماء الى سماء و فوق ذلـك العـرش و اللّه تعالى فوق العرش»
و عن عبد اللّه بن وهب عن ابيه: انّ حملة العرش اليوم اربعـة، لكـلّ ملـك منهم اربعة اوجه و اربعة اجنحة وجه كوجه الانسان، و وجه كوجه الاسد، و وجـه كوجـه الثّور، و وجه كوجه النّسر و جناحان قد غطى بهما وجهه لئلّا يصعق وجهه من نور العرش و جناحان يهفو بهما، و قال غير وهب: حملة العرش اليوم اربعة ملك في صـورت انسـان، و ملـك في صـورت ثـور و ملـك في صـورت اسـد، و ملـك في

صورت نسر.
روى انّه انشد بين يدى رسول اللّه (ص) قول اميّة بن ابى الصّلت:
رجـل و ثـور تحت رجـل يمينه و النّســـر للأخـــرى و ليث مرصـــــــــــــــــد.

فقال النّبي (ص) صـدق، و قيـل: في ثمانيـة انّـه ثمانيـة صـفوف من الملائكـة لا يعلمهم الّا اللّه عزّ و جلّ، و الاوّل اصحّ و قيل: الخلق عشرة اجزاء جـزء الانس و الجنّ و سائر الحيوان و جزء الملائكة السّماوات و الارضين و ثمانية اجزاء حملـة العرش و هم الكرّوبيّون. و الفائدة في ذكر العـرش عقيب مـا تقـدّم انّ العـرش بحاله خلاف السّـماء و الارض. و عن على بن الحسـين عليهمـا السّـلام قـال: انّ اللّه عزّ و جلّ خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الّا ثلاثة: الهواء، و القلم، و النّـور، ثمّ خلق العرش من الوان انوار مختلفة من ذلك نور اخضر منه اخضر و الخضـرة و نور اصفر منه اصفر و الصّفرة و نور احمر منه احمـر و الحمـرة و نـور ابيض و هو نور الانوار و منه ضوء النّهار.
قوله: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ قرأ حمزة و الكسـائى: لا يخفى باليـاء اى لا يســتتر على اللّه شــيء منكم و لا من احــوالكم. روى عن ابــو موســى الاشعرى قال: يعرض النّاس يوم القيامة ثلاث عرضات فامّـا عرضـتان فجـدال و معاذير و امّا العرضة الثّالثة فعندها تطير الصّحف في الايدى فاخـذ بيمينـه و اخـذ بشماله و قيل: ليس يعرضهم ليعلم ما لم يكن عالما به و لكنّه يعرضهم مبالغة و مظاهرة في العدل، و قيل: معنى العـرض ان يعـرف كـلّ واحـد مـا يسـتحقّه من ثواب او عقاب، و قيل: يعرضون باعمالهم و اقوالهم كما يعرض السّـلطان جنـده باسلحتهم و دوابّهم.
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِـهِ هـذا اخبـار عن قـول الفـريقين اذا وصـل اليهم كتـاب الحفظة فيقول المؤمنون قيل: نزلت هذه الآية في ابى سلمة بن عبد الاسد زوج امّ سلمة امرأة النّبي (ص) هو اوّل من هاجر الى المدينة من اصحاب رسول اللّه (ص) ثمّ هو عامّ في كلّ مؤمن. فَيَقُولُ هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ تقـديره هـاؤم كتـابى و اقرؤا كتابى فحذف الاوّل لانّ الثّاني يدلّ عليه، اى خذوا كتابى و اقـرؤا و انظـروا الى نجاتى لتقفوا عليها، يقال للرّجل «هاء» اى خذ، و للاثنين «هاؤما»، و للجميع «هاؤم».
يقال: انّه كتاب تكون زلّات صاحبه في باطنه و طاعاته في ظاهره يراها النّاس و يقولون: طوبى لهذا العبد، فاذا قرأ كتابـه وجـد في آخـره انّى سـترت عليـك في الدّنيا و انّى اغفر هالك اليوم فيشرق وجهه و يؤمر بان يقلب كتابه فاذا قلبه راى حسناته و في آخرها قد قبلتها منك فيقول من فرط سروره: تعالوا اقْرَؤُا كِتابِيَهْ و الهاء في كتابيه و حسابيه للوقف و لاستراحة.
عن زيد بن ثـابت قـال: قـال رسـول اللّه (ص): «اوّل من اعطى كتابـه من هـذه الامّة عمر بن الخطاب و له شعاع كشعاع الشّمس» قيل له: فاين ابو بكر؟ قال: هيهات زفته الملائكة الى الجنّة.
قوله: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ هـذا الظّنّ اسـم للعلم ليس من الشّـك و هـو في القـرآن كثـير معنـاه: اليقين سـمّى اليقين ظنّـا لان الظّن يلـد اليقين، معنـاه ايقنت في الدّنيا انّى معاين حسابى فكنت استعدّ له.
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ اى في حياة مرضيّة يرضـى بهـا صـاحبها و خـرجت مخـرج سائر روى الآى.
فِي جَنَّةٍ عالِيَـةٍ قيـل: خلـق اللّه الجنّـة عاليـة و النّهـار هاويـة، و قيـل: «فِي جَنَّةٍ

عالِيَةٍ» المكان عالية القدر و الشّأن.
قُطُوفُها دانِيَةٌ اى ثمارها قريبه ينالها القائم و القاعد و المضطجع يقطفـون كيـف شاؤا و يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا من نعيم الجنّة هَنِيئاً سليما من الآفات و المكاره لا تنغيص فيهـا و لا تكـدير. بِمـا أَسْـلَفْتُمْ اى بسـبب مـا قـدمتم من الخـيرات و الطّاعات في ايّام الدّنيا الماضية. قال ابن عباس انّها نزلت في الصّائمين خاصّـة.
فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ اى الجائعة كما تقول: نهاره صائم.
يروى انّ اللّه عزّ و جلّ يقول يوم القيامة: «يـا اوليـائى طالمـا نظـرت اليكم في الـدّنيا و قـد قلصـت شـفاهكم عن الاشـربة و غـارت اعينكم و خمصـت بطـونكم فكونوا اليوم في نعيمكم.
كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ.
وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَـهُ بِشِـمالِهِ قيـل: نـزلت في الاسـود بن عبـد الاسـد اخى ابى سلمة هو له خاصّ ثمّ هو عامّ في جميع الكفّار. قيل: ينزع يده من صدره الى مـا خلف ظهره فيعطى كتابه بشماله فيقول: يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ.
وَ لَمْ أَدْرِ مـا حِسـابِيَهْ يتمنّى ان لم يبعث و لم يحاسـب لمـا يـرى فيـه من قبـائح اعماله هذا كقوله:ا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً».
يا لَيْتَها كانَتِ الْقاضِيَةَ الهاء راجعة الى موتته يقول: يـا ليتـنى متّ ميتـه قاضـية لا حياة بعدها يتمنّون الموت عند ذلك في القيامة من شدّة ما يقاسونه من العقوبـة و كانوا من اشدّ النّاس كراهية للموت في الدّنيا.
ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ لم ينفعنى ما جمعتـه في الـدّنيا من الامـوال و لم يـدفع عنّى من عذاب اللّه شيئا.
هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ اى ضلّت عنّى حجّتى و زال عنّى ملكى و قـوّتى و قيـل: كـلّ احد كان له سلطان على نفسـه و مالـه و جوارحـه فـيزول في القيامـة سـلطانه على نفسه فلا يملك لنفسه. و قيل: ذلك كان بحيث لو اراد ان يـؤمن لقـدر على ذلك السّلاطة في اللّسان البلاغـة و قـوّة الكلام مـع الاصـابة و السّـليط الـزّيت و السّلطان المكنة و القدرة في قوله عزّ و جلّ: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ إِنَّمـا سُـلْطانُهُ وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِنَّ عِبـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُـلْطانٌ و مـات فلان في سلطان فلان اى في ولايته.
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ القـول هاهنـا مضـمر، اى يقـول اللّه عـزّ و جـلّ لخزنـة جهنّم خُـذُوهُ فشدّوه بالاغلال، اى اجمعوا يده الى عنقه في الحديد.
ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ اى ادخلوه فيها و احرقوه.
ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ يقـال: تـدخل السّلسـلة في فيـه ثمّ يخـرج من مقعدتـه و معـنى فَاسْلُكُوهُ اى فاسلكوا فيه السّلسـلة و لكنّ العـرب يقـول: ادخلت القلنسـوة في رأسه، و قيل: هى سلسلة واحدة يدخلون جميعا فيها و يشـدّ بعضـهم الى بعض و قيل: بل لكلّ واحد سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعاً. قال نوف البكائى الشّامى: كـلّ ذراع سبعون باعا، كلّ باع ابعد مـا بيـنى و بين مكـة و هـو يومئـذ بالكوفـة، و في رواية بذراع المترف الجبّار، و الجبّار عند العـرب العظيم الطّـول. و عن عبـد اللّه بن عمرو بن العاص عن النّبي (ص) قال: «لو انّ رضراضة مثل هذه و اشـار الى مثل الجمجمـة ارسـلت من السّـماء الى الارض و هى مسـيرة خمس مائـة سـنة لبلغت الارض، قيل: اللّيل و لو انّهـا ارسـلت من رأس السّلسـلة لسـارت اربعين خريفا، اللّيل و النّهار قبل ان تبلغ اصلها او عقرها. و عن كعب قال: لو جمع حديد الدّنيا ما وزن حلقة منها. و قيل: لو انّ حلقـة منهـا وضـعت على جبـل لـذاب من حرّها. «إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ».

وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ اى لا يطعم و لا يأمر به بـل كـان يقـول: أ نطعم من لو يشاء اللّه اطعمه. كـان ابـو الـدرداء يقـول لامرأتـه ام الـدرداء: نجونـا من نصف السّلسلة آمنّا باللّه فحضّى على اطعام المسكين للنّصف الباقى.
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ الحميم: القريب نسبا او ودّا او لا ينتفـع بحميمـه كمـا ينتفع في الدّنيا.
وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ و هو الصّديد الّذى ينغسل من ابدان اهل النّار.
و قيل: هو طعام اعدّه اللّه لاهل النّار و هو اعلم به هو بعض ما اخفى لهم، يقال: للنّار دركات و لكلّ دركة نوع طعام و شراب.
لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخاطِؤُنَ الكافرون الجائرون عن طريق الحقّ عمدا.
فَلا أُقْسِمُ لا صلة و معناه: اقسـم و دخلت لا مؤكّـدة، و قيـل: انّهـا نفى لـردّ كلام المشركين كانّه قال: ليس الامر كما يقوله المشركون: أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ.
وَ ما لا تُبْصِرُونَ هـذا من جوامـع كلم القـرآن، قـال قتـادة: اقسـم بالاشـياء كلّهـا فيدخل فيه جميع الموجودات. و قيل: اقسم بالدّنيا و الآخرة. و قيل: ما تبصــرون ما على ظهر الارض و ما لا تبصرون ما في بطنها. و قيل: تبصرون الاجسام و ما لا تبصرون الارواح.
و قيــل: مــا تبصــرون الانس و مــا لا تبصــرون الملائكــة و الجنّ. و قيــل: النّعم الظّاهرة و الباطنة.
و قيل: ما تبصرون مـا اظهـر اللّه للملائكـة و اللّـوح و القلم و مـا لا تبصـرون مـا استأثر اللّه بعلمه فلم يطلع عليه احدا. و قال جعفر: بما تبصرون من صـنعى في ملكى و مـا لا تبصـرون من بـرّى باوليـايى. و قـال جنيـد: بمـا تبصـرون من آثـار الرّسالة و الوحى على حبيبى محمد.
وَ ما لا تُبْصِرُونَ من السّر معه ليلة الاسراء، و قال ابن عطاء ما تبصرون من آثار القدرة وَ ما لا تُبْصِرُونَ من اسرار القدرة.
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ هذا جواب القسم، اى انّ هذا القرآن قراءة رسـول كـريم يعنى محمد (ص). اضاف القول اليه لانّـه لمّـا قـال قـول رسـول اقتضـى مرسـلا فكان معلوما انّ ما يقـرأه كلام مرسـله و انّمـا هـو مبلّغـه و قـد يـأت القـول في القرآن، و المراد به القراءة قال اللّه تعالى. حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ اى ما تقـرؤن في صلوتكم.
و قيل: سبب نزول الآية انّ الوليد بن المغيرة قال: انّ محمّدا ساحر، و قـال ابـو جهل: هو شاعر فانزل اللّه تعـالى: فَلا أُقْسِـمُ بِمـا تُبْصِـرُونَ وَ مـا لا تُبْصِـرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ قيل: يعنى جبرئيل (ع).
تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعـالَمِينَ اى انّ الّـذى يقـرأه جبرئيـل على محمـد (ص) وَ مـا هُـوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ ما صلة دخلت للتّوكيد اى قليلا تؤمنون.
وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا مـا تَـذَكَّرُونَ قـرأ ابن كثـير و ابن عـامر و يعقـوب: يؤمنـون يذكرون بالياء فيهما. و اراد بالقليل نفى ايمانهم اصلا كقولك: لمن لا يزورك فلمّا تأتينا و انت تريد لا تأتينا اصلا. الشّعر في اللّغة: العلم، يقـال: شـعرت اشـعر، اى علمت، و شعر الرّجل اذا صار شـاعرا و سـمّى الشّـاعر شـاعرا لانّ الشّـعر علم برأسه لا يعلّمه كلّ احد. و الكاهن الّذى يزعم انّ له خدما من الجنّ يأتونه بضرب من الوحى، و قد انقطعت الكهانة بعـد نبيّنـا (ص) لانّ الجنّ حبسـوا و منعـوا عن الاستماع. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ يعنى بـه القـرآن نـزل بـه جبرئيـل على محمـد (ص).
وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا يعنى الرّسول و لو تحرض و اختلق علينـا و اتى بشـيء من عنـد

نفسه او زاد في القرآن او نقص منه.
لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ اى لامرنا ان يؤخذ بيده اخذا بالعقوبة كالسّلطان اذا اراد الاستخفاف ببعض رعيّته قال لبعض اعوانه: خذ بيده و اخرجه. و قيل: معناه لانتقمنا منه بالقوّة و القدرة اى عذّبناه و اخذناه بقهر اخذ عقوبة و عبّر عن القوّة باليمين لانّ قوّة كل شيء في ميامنه، و قيل: لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ اى بالحقّ كقوله: كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ اى من قبل الحقّ. و قيل: «باليمين» اى بالعهد الغليظ الّذى اخذنا منه. اى طالبناه بعهدنا لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا.
ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ اى امتناه و اهلكناه، لانّ الوتين عرق في القلب متّصل بالظّهر اذا قطع مات صاحبه. قال ابن عباس: الوتين نياط القلب. و قال مجاهد هو الحبل الّذى في الظّهر اذا انقطع مات الانسان.
فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته و المعنى: انّ محمدا لا يتكلّف الكذب لاجلكم مع علمه انّه لو تكلّفه لعاقبناه و لا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه و جمع حاجزين و هو من نعت احد لانّ احدا يستعمل في معنى الجمع كقوله: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ إِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ اى انّ هذا القرآن لموعظة للمتّقين خصّهم بالذّكر لانتفاعهم به و التّذكرة العلامة الّتى يذكر بها المعنى و إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ بالقرآن جاحدين للرّسالة و صفات الآلهيه. و قيل: انّا لنعلم من يصدّق و من يكذّب. قال مالك ما اشدّ هذه الآية على هذه الامّة.
وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ اى و انّ القرآن لحسرة و ندامة عَلَى الْكافِرِينَ يوم القيامة اذا رأوا ثواب من آمن به و عمل بما فيه و قد خالفوا و ضيّعوا العمل به.
وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ مضاف الى النّعت تأويله: و انّه للحقّ اليقين و قيل: معناه انّه لليقين حقّ اليقين، كما تقول: هو الجواد عين الجواد. و قيل: انّه لحقّ الامر اليقين ايقن به المؤمن في الدّنيا فينفعه و ايقن به الكافر في الآخرة فلم ينفعه.
و قيل: ان التّحسّر للكافر يوم القيامة كائن لا محالة.
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ تأويله فسبّح ربّك العظيم و الاسم زائد كقول لبيد:

الى الحول ثمّ اسم السلام عليكما	و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر

و المعنى: صلّ له و نزّهه عمّا لا يليق به فسبحان اللَّه دائما و العظيم الّذى كلّ شيء في جنب عظمته صغير.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللَّه روح للرّوح و شفاء للقلب المجروح. طوبى لمن يغدو بذكره و يروح فالرّبّ عليه مطّلع و الباب له مفتوح:

بين الصّبابة و الهجران مطروح	قلب بحدّ سنان الشّوق مجروح
اندر همه عمر من شبى وقت صبوح	آمد بر من خيال آن راحت روح
پرسيد ز من كه: چون شدى اى مجروح	گفتم كه: ز عشق تو همين بود فتوح!

خداوندا بنشانت بينندگانيم، بنامت زندگانيم، بفضلت شادانيم، بمهرت نازانيم مست مهر از جام تو مائيم، صيد عشق در دام تو مائيم:

زنجير معنبر تو دام دل ماست	عنبر ز نسيم او غلام دل

در عشق تـو چـون خطی بنـام دل ماست گویی که همـه جهـان بکـام دل ماست

الْحَاقَّةُ مَـا الْحَاقَّةُ قیـامت و رسـتاخیز چـه گـوئیم کـه چیسـت، آن قیـامت و آن رستاخیز حقّست و بودنی، راست است و افتادنی، هر کس برسـد بآنچـه سـزای اوست و پـاداش گـیرد از نیـك و بـد کـه در جریـده اوسـت. گفتهانـد کـه قیـامت دواست: یکی امروز و یکی فردا. امروز مرگست که در خبر میآید من مات فقـد قامت قیامته هر که بمرگ رسید قیامت او در رسید هـر کـه این قیـامت را یقین بود همیشه در هول و هراس مـرگ بـود، همـواره از نهیب این قیـامت سـوخته و گداخته بود. پیوسته در برگ راه و ساز آن سفر بود. بزرگـان دین چـنین گفتهانـد که: آدمی از دو بیرون نیست، یا بر مثال ستوری است در اصطبلی باز داشته، یا بر مثال مرغی در زندان قفص کرده آن بیچاره کو بر مثـال ستورسـت، از مـرگ میترسد و میلرزد، داند که ستور را چون از اصطبل بـیرون بزنـد در بـار کشـند و آن جوانمرد که بر مثال مرغ اسـت، پیوسـته در انتظـار مرگسـت زیـرا کـه همـه شادی و راحت مرغ از شکستن قفص بود چنانك آن جوانمرد گفت:

کی باشد کین قفص بپردازم در باغ الهی آشـیان سـازم.

امّا قیامت فردا خاست رستاخیز است کـه خلـق اوّلین و آخـرین را در آن صـعید هیبت جمع کنند، چنـان کـه ربّ العـزّة گفت: وَ حَشَـرْناهُمْ فَلَمْ نُغـادِرْ مِنْهُمْ أَحَـداً روزی عظیم و کاری صعب و سیاستی بی نهایت. ایوان کبریـا برکشـیده، مـیزان عدل درآویخته، صراط راستی باز کشـیده، فـرادیس جمـال آراسـته، دوزخ هیبت برآشفته.

روزی که پردهها بردارند و رازهـا آشـکارا کننـد و تاجهـای هـزل بخـاك اندازنـد و کلاههای هوس فرو نهند. و پندارها از آب و خاك بیفشانند و پـاداش نیـك و بـد در کنار نهند. کار از دو بیرون نبود، یا بر بنده سلام کنند و نعمت سـلامت اسـلام بـر وی تمام کنند و نامه وی بدست راست دهند که: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ.

یا اسیر عذاب و غرام کنند، و لذّات و راحات بر وی حرام کنند، و نامه کردار وی بدست چپ دهند که: وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ.

آن را که نامه بدست راسـت دهنـد از عـالم ملکـوت هـر لحظهای هـزار شـربت کرامت و لطـافت بـر دسـت وی نهنـد، در آسـمانها حـدیث وی کننـد، در حـوالی عرش با مقرّبان مباهات از بهر وی کنند، آن گه او را بجنّات عدن برند، با حورا و عینا و ولدان و غلمان بنشانند. تاج وقار بر سـرش نهنـد، بـر مائـده خلـدش آرام دهند و از حضرت عزّت این ندا روان گشته که: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمـا أَسْـلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ میخورید و میآشامید ازین نعیم بهشت چنانـك خواهیـد، از فـزع اکبر ایمن گشته و بمقعد صدق رسیده کس را با شما حساب نه و ما را بـا شـما عتاب نه. ایشان چون این ندا شنوند، آواز برآرند و گویند: الحمد للّه الّذی صدقنا وعده. حمد آن خداوند را که وعـده خـود راسـت گردانیـد و مـا را شـراب وصـل چشانید.

و آن را که نامه بدست چپ دهند، ندای قهر آید بخازنان دوزخ کـه: خُـذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَـبْعُونَ ذِراعـاً فَاسْـلُكُوهُ گیریـد او را بـه قهر و عنف، کشید او را بدوزخ، دست و پای در غل کرده و در زنجیر هفتاد گزی کشیده، و از رحمت حقّ نومید شده، و بسقر رسیده. اگر شرری از آن آتش کـه

در سقر است بدنیا فرستند، همه اهل دنیا بیطـاقت شـوند پس چـون بـود حـال کسی که در میان آن آتش بود؟ مصطفی (ص) گفت: بآن خدای که جان من بیـد اوست که اگر یك حلقه از آن سلاسل و اغلال بر کوههای دنیـا نهنـد همـه کوههـا بگدازد و بزمین فرو شود، پس چون بود حال کسی مرو را بدین سلاسل و اغلال بند کنند؟ و اگر یك جامه از آن جامهای قطران که قـرآن از آن خـبر میدهـد کـه: «سَـرابِيلُهُمْ مِنْ قَطِـرانٍ» از آسـمان دنیـا بیاویزنـد همـه اهـل زمین از گنـد آن بمیرند. پس چگونه بود حـال کسـی کـه این جامـه لبـاس وی بـود؟ نـه از گـزاف رسول خدا صلّى اللَّه عليه و سلّم گفتی: «الحمد للَّه على كلّ حال و اعـوذ باللّـه من حال اهل النّار».

70- سورة المعارج- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور ببخشایندگی، دوست بخشای بمهربانی.
سَأَلَ سائِلٌ پرسید پرسندهای بِعَذابٍ واقِعٍ (1) از عذابی که بودنی است و افتادنی.
لِلْكافِرِينَ ناگرویدگان را لَيْسَ لَهُ دافِعٌ (2).
مِنَ اللَّهِ آن را باز دارندهای و باز پس برندهای نیست از خدای عزّ و جلّ ذِي الْمَعارِجِ (3) آن خداوند صفتهای بلند و عطاهای بشکوه.
تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ بسوی او بر مشود فریشتگان و جبرئیل فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) در روزی که اندازه آن پنجاه هزار سال بود.
فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا (5) تو شکیبایی کن شکیبایی کردن نیکو.
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً (6) ایشان آن روز را نابودنی مبینند.
وَ نَراهُ قَرِيباً (7) و ما آن را بودنی مبینیم، ایشان آن روز را دور مبینند و دیر و ما آن را نزدیك مبینیم و زود.
يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ (8) آن روز که آسمان از بیم چون دردی زیت گردد، یا چون مس گداخته.
وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ (9) و کوهها چون پشم رنگ کرده بود از رنگ رنگ.
وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (10) و آن روز هیچکس خویش را و دوست را نپرسد.
يُبَصَّرُونَهُمْ بر دیدار چشم او میدارند مبیند و نپرسد از بیم. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ دوست دارد و خواهد کافر، لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ که خویشتن را باز خرد از عذاب آن روز بِبَنِيهِ (11).
وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (12) بپسران خویش و برادر خویش.
وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) و خاندان او که او را مىداشتند.
وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً و هر که در زمین کس است همه ثُمَّ يُنْجِيهِ (14) تا آن وقت که آن را خرید او را برهانید.
كَلَّا نیست آن او را و نبود نه إِنَّها لَظى (15) آن آتشی است زبانه زن.
نَزَّاعَةً لِلشَّوى (16) که پوست از سر درکشد.
تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (17) میخواهد هر کس را که پشت بر حق گردانید درین جهان و از فرمانبرداری برگشت.
وَ جَمَعَ فَأَوْعى (18) و مال گرد کرد و ببست و بنهاد.
إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) مردم را ناشکیبا و تنگ دل آفریدند و حریص.
إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) چون بدو درویشی رسد، بدو زارنده بود ناشکیبا.
وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) و چون نیکی مال بدو رسد. باز دارنده و دریغ دارنده بود.
إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (23) مگر ایشان که بر نماز خود پایندگاناند همیشه.
وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) و ایشان که در مالهای خویش حقّی مبینند.
لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (25) خواهنده را و درمانده را.
وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) و ایشان که بروز رستاخیز میگروند و استوار میدارند.

وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) و ایشان که از عذاب خداوند خویش مترسند.
إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28) که عـذاب خداونـد ایشـان نـه آنسـت کـه از آن ایمن باشند.
وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُـــرُوجِهِمْ حـــافِظُونَ (29) و ایشـــان کـــه فرجهـــای خـــویش را گوشوانانِاند.
إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ مگر از زنان خویش. أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ یا از کنیزکـان خـویش فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) که ایشان بـر زنـان و کنیزکـان خـویش بجـای سـرزنش نیستند.
فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ هر که افزون از آن جوید فَأُولئِكَ هُمُ العـادُونَ (31) ایشـان آنند که اندازه درگذارندگانند.
وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمانـاتِهِمْ وَ عَهْـدِهِمْ راعُـونَ (32) و ایشـان کـه امـانت خـویش را و پیمان خویش را کوشندگانند.
وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَـهاداتِهِمْ قـائِمُونَ (33) و ایشـان کـه گـواهی خـویش را بپـای دارندگاناند.
وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ (34) و ایشان که بر نمازهای خـویش هنگـام کوشندگانند.
أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35) ایشان فردا در بهشتهااند نواختگان.
فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ چه رسیدست این ناگرویدگان را گرد بر گرد تو؟
مُهْطِعِينَ (36) چشمها نهاده در تو.
عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ (37) از راست و از چپ تو جوق جوق.
أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مبیوسد هر یکی از ایشـان أَنْ يُـدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) کـه دارند او را در بهشت پر ناز.
كَلَّا نیست ایشان را آن نیاوند إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ما بیافریـدیم ایشـان را از آنچه میدانند.
فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ سوگند میخورم بخداوند دو سوی
جهان آن سوی که روز برآید و شـب و آن سـوی کـه روز فـرو شـود و شـب. إِنَّا لَقادِرُونَ (40) که ما تواناییم.
عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ که ازیشان بهتری آریم، یا ایشان را به از آن از سـر فـا بیافرینیم. وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) و ما در هیچ کار درنمـانیم و از هیچکس بـاز پس نمانیم.
فَذَرْهُمْ گذار ایشان را يَخُوضُوا که هم در آن نابکار گفتن مباشـند وَ يَلْعَبُـوا و هم آن بازی میکنند حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ تا آن روز که روز خویش بینند الَّذِي يُوعَـدُونَ (42) آن روز که ایشان را وعده میدهند.
يَوْمَ يَخْرُجُـونَ مِنَ الْأَجْـداثِ آن روز کـه بـیرون مـآینـد از گورهـا سِـراعاً زودازود كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) گویی که ایشان بعلمی همی شتاوند.
خاشِـعَةً أَبْصـارُهُمْ فروشـده و فـرو مانـده چشـمهای ایشـان از بیم تَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ خواری بر ایشان نشسته. ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ (44) این آن روز اسـت که درین گیتی ایشان را وعده میدادند.
النوبة الثانية
این سوره چهل و چهار آیتست، دویست و شانزده کلمت، هزار و صد و شصت و یـك حـرف جملـه بـه مكـه فروآمـده باجمـاع مفسّـران، و درین سـورت دو آیت

منسوخ است یکی: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا ديگر: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُـوا اين هـر دو آيت منسوخاند بآيت سيف. و في رواية ابي بن كعب عن النّبي (ص) قـال: «من قرأ سورة: سأل سائل، اعطاه اللّه ثواب الّذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون».
سَأَلَ سائِلٌ علماء تفسير مختلفاند در سبب نزول اين آيات، قومى گفتند در شأن النّضر بن الحارث فرو آمد، آن گـه کـه گفت: إِنْ كـانَ هـذا هُـوَ الْحَـقَّ مِنْ عِنْـدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ. قـومى گفتنـد: در شـأن بـو جهـل فـرو آمـد كـه گفت: «فَأَسْقِطْ عَلَيْنـا كِسَـفاً مِنَ السَّـماءِ». و گفتهانـد: در شـأن جمـاعتى كفّـار قريش آمد كه بر طريق استهزاء گفتند: «عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْـلَ يَـوْمِ الْحِسـابِ». و گفتهاند: سائل اينجا مصطفى (ص) است کـه کـافران او را اذى مىنمودنـد تـا بـر ايشان عذاب خواست بتعجيل. و گفتهاند: مراد باين نـوح اسـت (ع) كـه بـر قـوم خويش دعاى بد كرد و عذاب خواست.
قوله: سَأَلَ سائِلٌ قرأ نافع و ابن عامر سأل سايل بغير همز و له وجهان: احدهما انّه بالهمز و بغير الهمز في المعنى واحد. يقـال سـالت اسـأل و سـلت اسـأل. و الوجه الثّاني انّـه من السّـيل يقـال: سـال يسـيل سـيلا، و قيـل: السـائل واد في جهنّم، و المعنى: سال الـوادى بالعـذاب واقـع للكـافرين يقـع لهم و يـنزل بهم. و قيـل: اللّام بمعـنى على، اى يقـع عليهم و يحـلّ بهم. قـرأ الآخـرون بـالهمز من السؤال لا غير، و له وجهان: احدهما ان يكون البـاء في قولـه بِعَـذابٍ بمعـنى عن عذاب كقوله: «فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً» اى عنه. و قال الشّاعر:

فان تسألونى بالنّساء فـانّنى بصير بادواء النّساء طـبيب.

اى عن النّساء. و معنى الآية: سأل سـائل عن عـذاب واقِـعٍ نـازل كـاين على من ينزل و لمن هو فقال تعالى مجيبا له.
لِلْكافِرِينَ و هذا قول الحسن و قتادة قالا: كـان هـذا بمكّـة لمّـا بعث اللّه سـبحانه محمـدا (ص) و خـوّفهم بالعـذاب، قـال المشـركون بعضـهم لبعض من اهـل هـذا العذاب سلوا محمـدا لمن هـو و على من يـنزل و لمن يقـع؟ فـبيّن اللّه تعـالى. و انزل: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرِينَ اى هو للكافرين. و الوجه الآخر ان يكون البـاء صـلة و معـنى الآيـة دعـا داع سـأل سـائل عـذابا واقعـا. لِلْكـافِرِينَ اى على الكافرين و هو النّضر بن الحارث حيث دعـا على نفسـه و سـأل العـذاب فقـالوا: اللّهم ان كان هذا هو الحقّ من عندك الآية.... فنزل به مـا سـأل يـوم بـدر فقتـل صبرا و هذا قول ابن عباس و مجاهد.
لَيْسَ لَهُ اى لذلك العذاب دافِعٌ مانع مِنَ اللَّهِ. اى ذلك العـذاب واقـع من قبـل اللّه سبحانه بالكافرين لا يدفعه عن الكافرين احد.
و قوله: ذِي الْمَعارِجِ صفة للّه و له معنيان: احدهما ذو المصاعد الّتى تصـعد فيهـا الملائكة و الرّوح و هي السّماوات. و الثّاني الْمَعارِجِ الفواضل و هي هباته السّنيّة و عطاياه الهنيّة. و قيل: المعارج تعالى الـدّرجات و هي الّـتى يعطيهـا اللّه اوليـاه في الجنّة.
و العروج: الصّعود و المعرج المصعد و الجمع المعارج و ذكر المعارج هاهنا تنبيهـا لهم انّ من قدر على خلق هذه المعارج للملائكـة و هـذا الـرّتب للعبـاد قـدر على ارسال العذاب على الكافرين.
قوله: تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ يعنى جبرئيل (ع) خصّ بالـذّكر بعـد العمـوم تشـريفا له. و قيل: عنى بالرّوح ارواح المؤمـنين عنـد المـوت. و قيـل: هم قـوم موكّلـون على الملائكة قوله: إِلَيْهِ يعنى الى اللّه، فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِـينَ أَلْـفَ سَـنَةٍ اراد به يوم القيامة و فيه تقديم و تأخير اى ليس للعذاب دافع من الكفّار في يوم

القيامة الّذى كان مقداره خمسين الف سنة من سنى الدّنيا لو صعد غير الملائكة و ذلك انّهم تصعد من اسفل الارض السّابعة الى ما فوق السّماء السّابعة الى العرش مقدار خمسين الف سنة. و امّا قوله: «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» انّما هو قدر مسيرهم من السّماء الدّنيا الى وجه الارض مسيرة خمس مائة سنة هبوطا و مثله صعودا و قيل: هواء الدّنيا مسيرة خمس مائة عام و بصر السّماء مسيرة خمسمائة عام. و قيل: موقفهم في الحساب حتّى يفصل بين النّاس خمسون الف سنة ثمّ لا ينتهى اليوم الى ليل يردّ النّهار الى اهل الجنّة مخلّدا و اللّيل الى اهل النّار مخلّدا و قيل: يوم القيامة فيه خمسون موقعا كلّ موقف الف سنة و قيل: انّ اليوم في الآية عبارة عن اوّل ايام الدّنيا الى انقضائها و انّها خمسون الف سنة لا يدرى احدكم كم مضى و كم بقى الّا اللّه عزّ و جلّ. و روى عن ابن عباس انّه قال: هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة.
روى ابو سعيد الخدرى قال: قيل لرسول اللّه (ص): يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم! فقال (ص): «و الّذى نفسى بيده انّه ليخفّف على المؤمن حتّى يكون اخفّ عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدّنيا
و قيل: معناه لو ولى محاسبة العباد في ذلك اليوم غير اللّه لم يفرغ منه في خمسين الف سنة و يفرغ اللّه في مقدار نصف يوم من ايّام الدّنيا قوله: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا اى فاصبر يا محمّد على تكذيبهم ايّاك صبرا جميلا لا شكوى فيه و لا جزع و هذا قبل ان امر بالقتال فنسخ.
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً اى انّ الكفّار يرون العذاب و اليوم المذكور بعيدا مستحيلا غير ممكن.
وَ نَراهُ قَرِيباً من الفهوم ممكنا. و الرّؤية هاهنا بمعنى العلم، و قيل: انّهم يرونه بعيدا اى بطيئا وقوعه و نراه قريبا اى سريعا وقوعه لانّ ما هو آت قريب، هذا كقوله «وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ». ثمّ وصف اليوم فقال: يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ المهل على معان منها ما يسيل من القرح من صديد او قيح و هو في قول ابى بكر الصديق حين اتى بحبرتين و قد احتضر قال: ادفنونى في ثوبىّ هذين انّما هما للمهل و ردّ الحبرتين و قال: الحىّ اولى بالجديد من الميّت و المهل المذاب من فضّة او نحاس او صفر و ما اشبهها و المهل درديّ الزّيت و عكره سمّى بذلك لانّه يسيل العكر لثخانته على مهل و على المعنيين الاخيرين تأويل الآية فالسّماء اليوم خضراء و هي تتلوّن يوم القيامة فتكون وردة كالدّهان فتكون الوانا من الفزع كتلوّن الانسان للفزع ثمّ تشقّق و تنفطر و تمور مورا و تسير سيرا.
وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ و هو الصّوف المصبوغ الوانا و اوّل ما يتغيّر الجبال تصير رملا مهيلا ثمّ عهنا منفوشا ثمّ تصير هباء منثورا.
وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً اى لا يسأل قريب عن حال قريبه لاشتغاله بنفسه و قيل: لا يسأله ليحمل عنه من اوزاره شيئا ليأسه عن نصرته. قرأ البزى عن ابن كثير لا يسأل بضمّ الياء اى لا يسأل حميم عن حميم لا يقال لحميم اين حميمك. و قيل: لا يسأل لانقطاع ما بينهم من العصم.
يُبَصَّرُونَهُمْ اى يعرفون اقاربهم، فيقال لهم: هذا فلان و هذا فلان زيادة في فضيحتهم. و قيل: يعرّفونهم اى يعرّفون الملائكة حتّى يعرفوهم بسيماهم فيعذّبوهم بالوان العذاب. و قيل: يبصّر المؤمنون الكافرين حتّى يعرفوا الكفّار بسيماهم فيزدادوا شكرا و يزداد الكفّار حسرة و اسفا، و قيل: يعرف المؤمن

ببياض وجهه و الكافر بسواد وجهه، و قيل: ليس في القيامة مخلوق الّا و هو نصب عين صاحبه فيبصر الرّجل اباه و اخاه و اقرباه و عشيرته لا يسأله و لا يكلّمه لاشتغاله بما هو فيه. يَوَدُّ الْمُجْرِمُ اى يتمنّى المشرك. لَوْ يَفْتَدِي اى يفادى نفسه ببنيه و هم اعزّ الخلق اليه وَ صاحِبَتِهِ: زوجته و سكنه وَ أَخِيهِ الّذى كان ناصرا له و معينا.
وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ اى قبيلته الّتى تضمّه لقرابته و يأوى اليها عند الخوف.
وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً من الانس اى يودّ لو يفتدى بهم جميعا ثُمَّ يُنْجِيهِ ذلك الإفتداء من عذاب ذلك اليوم.
كَلَّا اى ليس كذلك لا ينجيه من عذاب اللّه شيء ثمّ ابتدا فقال: إِنَّها لَظى هى اسم من اسماء جهنّم. قيل: هى الدّركة الثّانية سمّيت بذلك لانّها تتلظّى اى تتلهّب.
نَزَّاعَةً لِلشَّوى قرأ حفص عن عاصم نَزَّاعَةً نصب على الحال و القطع فيه.
و قرأ الآخرون بالرّفع اى هى نَزَّاعَةً لِلشَّوى الشّوى الاطراف كاليدين و الرّجلين و قيل: هي جلدة الرّأس، و قيل: هى محاسن الوجه قال الضحاك تنزع النّار الجلد و اللّحم عن العظم و قيل: تفصّل الاعضاء بعضها من بعض ثمّ يعود الى ما كان.
تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى اى تدعو النّار الكافر و المنافق فتقول الىّ الىّ ايّها الكافر ايّها المنافق. قال ابن عباس تدعوهم باسمائهم بلسان فصيح ثمّ تلتقطهم كما يلتقط الطّير الحبّ تدعو من اعرض عن الدّين و تولّى عن الايمان و الطّاعة.
وَ جَمَعَ فَأَوْعى اى جمع المال فاوعاه في الظّروف و لم يؤدّ زكاته و لم ينفقه في سبيل اللّه. و في الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كانّه بذج فيتوقّف بين يدى اللّه عزّ و جلّ فيقول له: اعطيتك و خولتك و انعمت عليك فما صنعت؟ فيقول: ربّ جمعته و ثمّرته و تركته اكثر ما كان، فارجعنى آتك به كلّه فاذا عبد لم يقدّم خيرا فيمضى به الى النّار.
قوله: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً قال ابن عباس: الهلوع الحريص على ما لا يحلّ له. و الهلع شدّة الحرص و قلّة الصّبر، و قيل: هلوعا اى نسّاء عند النّعمة دعّاء عند المحنة، و قيل: معنى الهلوع ما فسّره اللّه تعالى بعده و هو قوله: إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ اى الضّرّ و الفقر جزع و لم يصبر.
وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ اى السّعة و الغنى و المال منع حقّ الفقراء و لم ينفق في الخير شرّ ما اعطى العبد شحّ هالع و حين خالع. فالهالع المحزن و الخالع الّذى يخلع قلبه. قال مقاتل: الهلوع دابّة من وراء جبل قاف تأكل كلّ يوم سبع صحار من الحشيش و تشرب سبع بحار من ماء لا تصبر مع الحرّ و لا مع البرد، تتفكّر كلّ ليلة ما ذا تأكل غدا فشبّه اللّه الانسان بها.
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ليس هذا استثناء من الكلام الاوّل و معناه: و لكنّ المصلّين، و قيل: استثنى المصلّين من الانسان لانّ الانسان في معنى الجمع كقوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا. قوله الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ اى يقيمون الفرائض في اوقاتها، و قيل: دائمون اى خاشعون لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة.
وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ معيّن يعنى الزّكاة، و قيل: سائر ابواب البرّ من صلة الرّحم و تعهّد المساكين و غير ذلك.
لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ السَّائِلَ الطّواف الّذى يسأل النّاس و الْمَحْرُومِ الّذى لا سهم له في الاسلام و ليس يهتدى الى كسب و لا يسأل.

وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ اى بيوم الجزاء و الحساب. و قيل: يصدّقون الانبياء بسبب ايمانهم بيوم الدّين.
وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ خائفون، قال الحسن: يشفق المؤمن ان لا تقبل حسناته.
إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ و لا يؤمن وقوعه لانّه لا يعلم احد عاقبته و وقته فالواجب على كلّ مسلم ان لا يأمن عقوبته و لا يأمن مكره.
وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ. إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ الى قوله وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ مضى تفسير هذه الآيات في سورة المؤمنين.
وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ قرأ حفص عن عاصم و يعقوب بشهاداتهم على الجمع، اى يقومون فيها بالحقّ فلا يكتمونها و لا يغيّرونها.
وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ يعنى الصّلوات الخمس.
أُولئِكَ اى اهل هذه الصّفات فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ بجميل ثواب اللّه ايّاهم.
فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا اى فما بال الّذين كفروا. قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ مسرعين مقبلين اليك متطلّعين نحوك، انزلت في جماعة من الكفّار كانوا يجتمعون حول النّبي (ص) يستمعون كلامه و يستهزءون به و يكذّبونه فقال اللّه: ما لهم ينظرون اليك نظر عداوة و يجلسون عندك و هم لا ينتفعون بما يسمعون.
عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ اى حلقا حلقا و جماعة جماعة عن يمين النّبي (ص) و عن شماله. و عِزِينَ جمع عزة مثل كرة و كرين، و انّما انكر عليهم الاسراع اليه لانّهم اسرعوا اليه لطلب العيب به، و قيل: انّها نزلت في نفر من الكفّار قبلت نفوسهم صدق النّبي و كانوا يسرعون نحوه و يقصدون مجلسه و يتحلقون حواليه و لا يؤمنون به امّا حياء عن الرّجوع عن دين آبائهم و امّا مساعدة لعشائرهم و كانوا يطمعون في دخول الجنّة بالقدر الّذى كان منهم فانزل اللّه تعالى: أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ. كَلَّا اى لا يدخلونها و قيل: كانوا يقولون لئن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد لندخلنّها قبلهم فنحن افضل منها حظّا منهم كما لنا الفضل عليهم في الدّنيا، فنزلت هذه الآية جوابا لهم.
كَلَّا ردع و زجر عن قولهم، اى لا يكون كذلك و ليس الامر كما قالوا: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ من نطفة و علقة و اصلهم من تراب فانّى يستحقّون على اللّه الثّواب و دخول الجنّة من خساسة اصلهم و امّا المؤمنون فانّه لا تتوجّه عليهم هذه الآية اذا امّلوا دخول الجنّة لانّهم يرجونها من فضل اللّه و لا يرون ذلك مستحقّا لهم على اللّه لفضيلتهم و في الخبر عن بسر بن جحاش قال: قال رسول اللّه (ص): «و بصق يوما في كفّه و وضع عليها اصبعه فقال: يقول اللّه عزّ و جلّ بنىّ آدم انّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه؟
حتّى اذا سوّيتك و عدّلتك مشيت بين بر دين و للارض منك وئيد فجمعت و منعت حتّى اذا بلغت التّراقى قلت اتّصدّق و انّى اوان الصّدقة
و قيل: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ اى من اجل ما يعلمون و هو الامر و النّهى و الثّواب و العقاب فحذف اجل فلا اقسم لا صلة دخلت للتّأكيد.
بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ يعنى: مشرق كلّ يوم من السّنة و مغربه إِنَّا لَقادِرُونَ. عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ اى على ان نخلق امثل منهم و اطوع للّه و اشكر له و اعمل بطاعته. و قيل: إِنَّا لَقادِرُونَ على ان نبدّل محمدا خيرا منهم و هم اهل المدينة و قد فعل. وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اى بمغلوبين ان اردنا ذلك و قيل: وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ اى عاجزين لانّ من سبق الى شيء عجز.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا امر تهديد لهم و توبيخ كقوله: «اعملوا ما شئتم: حَتَّى يُلاقُوا اى يعاينوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ يعنى: وم القيامة، و قيل: نسختها آية القتال.
يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ اى من القبور سِراعاً اى مسرعين الى اجابة الدّاعى. كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ اى الى علم منصوب يُوفِضُونَ يسرعون و ذلك حين يسمعون الصّيحة الآخرة قرأ ابن عامر و حفص الى نصب يُوفِضُونَ بضمّ النّون و الصّاد قال مقاتل و الكسائى يعنى: الى اوثانهم الّتى كانوا يعبدونها من دون اللّه كقوله تعالى وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ و قال الحسن يسرعون اليها ايّهم يستلمهم اوّلا و قيل: هي جمع نصب كرهن و رهن.
خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ محزونين متفكّرين فيما دهاهم قوله: تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ اى يغشاهم و يعلوهم هو ان و ذلّ ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ وعدهم اللّه ذلك على السنة رسله في الدّنيا و هم يكذّبون به، يعنى يوم القيامة و اللّه اعلم.
النوبة الثالثة
قوله تعالى، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، «اللَّه» منوّر القلوب، «الرحمن» كاشف الكروب، «الرحيم» غافر الذّنوب، اللَّه مطّلع على الاسرار، الرّحمن بقضاء الاوطار، الرّحيم بغفران الاوزار، اللّه لارواح السّابقين الرّحمن لقلوب المقتصدين، الرّحيم لذنوب الظّالمين. انس مالك گفت: باللّه العظيم كه شنيدم از امير المؤمنين على (ع) و على از ابو بكر (رض) همچنين با سوگند و ابو بكر از مصطفى (ص) و مصطفى از جبرئيل (ع) و جبرئيل از ميكائيل و ميكائيل از اسرافيل و اسرافيل عليهم السلام از حق تعالى جلّ جلاله كه گفت: بعزّتى و جلالى و جودى و كرمى من قرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ متّصلة بفاتحة الكتاب مرّة واحدة اشهدوا عليّ انّى قد غفرت له و قبلت منه الحسنات و تجاوزت عنه السّيئات و لا احرق لسانه بالنّار و اجيره من عذاب القبر و عذاب النّار و عذاب القيامة و الفزع الاكبر و يلقانى قبل الانبياء و الاولياء»
عزيزتر است اين نام كه كارها بدو تمام و از بر مولى ما را پيغام، خنك مر آن زبان كه بدو گوياست، خنك مر آن دل كه بدان شيداست. بياد كرد و ياد داشت اين نام بنده را امروز در دنيا حلاوت طاعت است، بدر مرگ فوز و سلامت است. در گور تلقين و حجّت است، در قيامت سبكبارى و راحت است، در بهشت رضا و لقا و رؤيت است.
قوله تعالى: سَأَلَ سائِلٌ يك قول از اقوال مفسّران آنست كه: سايل درين آيه مصطفى (ص) است كه كافران و مشركان در مكّه او را رنجه ميداشتند و اذى مينمودند، مردان او را ناسزا ميگفتند، نجاست بر مهر نبوّت ميانداختند، دندانش مشكستند. زنان از بامها خاك مريختند، كودكان بر پى وى ميانگيختند تا بيهودهها و ناصواب ميگفتند. مؤمنان صحابه را يكان يكان مگرفتند و معذّب همداشتند. رسول خدا از سر آن ضجرت و حيرت دعا كرد و از اللّه تعالى بر ايشان عذاب خواست. ربّ العالمين از آن سؤال و دعاى وى حكايت باز ميكند كه: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْكافِرينَ درخواست ميكند رسول ما صلّى اللّه عليه و سلّم فرو گشاد عذاب بر اين كافران، و فروگشاد عذاب بودنى است و افتادنى برين كافران هم در دنيا و هم در آخرت. در دنيا روز بدر ايشان را كشتند و در آن قليب بدر بخوارى افكندند، و در آخرت ايشان را عذاب كند روزى كه اندازه آن پنجاه هزار سالست: اينست كه ربّ العالمين گفت: فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ آن گه مصطفى را (ص) تسلّى داد و رنجورى و بر

امر هم نهاد گفت: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا يا محمد تو صبر ميكن و خوش همی بـاش و دل بتنگ ميار، اقتـدا كن پيغمـبران گذشـته فَاصْـبِرْ كَمـا صَـبَرَ أُولُـوا الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. انبيا همه لباس صبر پوشيدند تا بمراد و مقصـود رسـيدند. صـبر بـود كـه يعقوب را بدست فرج و راحت از بيت الاحزان برون آورد كه فَصَبْرٌ جَمِيلٌ. صــبر بود كه شراب شفا بر مذاق ايوب ريخت كه إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً. صبر بود كـه نـدای فدا بگوش اسماعيل رسانيد سَتَجِدُنِي إِنْ شـاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـابِرِينَ. صبرسـت كـه مؤمنان را از سرای بلوی بجنّت مأوی رساند و هر چه مقصودست حاصل كنـد و بگوش ايشان فرو خواند كه: وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ على الجملة شيرمردی بايد، بزرگ همّتی، كه در راه دين هر شربت كه تلخـتر بـود او را شـيرينتر آيـد و هـر راه كـه دورتر بود او را نزديكتر آيد، تا نام او در جريده صابران اثبـات كننـد. امـروز او را منشور محبّت نويسند كـه: ان اللَّه يُحِبُّ الصَّـابِرِينَ و فـردا او را اين خلعت دهنـد كه: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ.

قوله تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَـهُ بَعِيـداً وَ نَـراهُ قَرِيبـاً كـافران آمـدن رسـتاخيز دور و ديـر ميدانند و آن نزديكتر از آنسـت كـه ايشـان ميپندارنـد. مصـطفى (ص) گفت: مـا الدّنيا ما مضى و ما بقى الّا كثوب شقّ بـاثنين و بقى خيـط واحـد الّا و كـان ذلـك الخيط قد انقطع.

گفتا: دنيا آنچه مانده در جنب آنچه گذشته بمثـل چـون جامهای اسـت كـه درزيی استاد آن را بدرد، تا آن گه كه يك رشته بماند و از وی جـز آن يـك رشـته نمانـد، چه خطر دارد بريدن آن يك رشته در جنب آنچه بريده شده اسـت. انگـار كـه آن يـك رشـته بريـده شـد و انگـار كـه مـدّت دنيـا بـآخر كشـيده شـد عالميـان همـه مسافراناند، روی بسفر قيامت آورده، و دنيا بر مثال رباطی است بر سـر باديـه قيامت نهاده، عمرهای خلق بالا و پهنای آن سفرست. سالها چون منـازل اسـت، ماهها چون مراحل است، شب و روز بـر مثـال فرسـنگ اسـت، نفسـها همچـون گامها سفر دور و درازست، و عقبه تند و دشوارست، و مسافر غافـل و كاهـل و بيگارست.

دنيـا چـون درختـی بـا سـايه و نسـيم اسـت، آن كس كـه دل در سـايه درخت و منزلگاه بندد او مردی سليم است:

هـل الـدّنيا و مـا فيهـا جميعا	سوى ظلّ يزول مـع النّهـار؟
ما همچـو مسـافريم در زيـر درخت	چـون سـايه بـرفت زود بـر دارد رخت.

اينست كه مصطفى (ص) گفت: «ما مثلی و مثل الدّنيا الّا كراكب، نال في ظـلّ شجرة ثمّ راح و ترك»

گفتا: مثل ما با دنيا همچون مثل مردی است كه در تابستان گرم از بيابانی تافته برآيد درختی بيند با نسيمی خوش و سـايهای تمـام. زمـانی بـا نسـيم و سـايه آن درخت بياسايد چون برآسود، پای در ركاب مركب آرد و زود از آنجا رحيـل كنـد و آن درخت را بـا نسـيم و سـايه آن بگـذارد و دل در آن نبنـدد و آن را نـديم خـود نسازد. ای مسكين كسی كه مركب او شب و روز بود، مراحل و منـازل او سـال و ماه بود، او را هميشه ميبرند اگر چه نميرود، در آن حال كه در خانه نشسته يـا بر بستر گرم خفته ميپندارد كه ساكن است و اين خطاست كه شـب و روز او را در حركـات دارد، بی خواسـت وی او را ميراننـد، بی تـدبير وی او را ميبرنـد، بی تاختن وی او را ميتازانند:

من ميروم كـــه ميبرنـــدم	با چشم پـر آب يـار ناديـده

ناكـــــــــــــــــــــــام
و من عجب الايّـــام انّـــك
قاعد
فســيرك يـــا هـــذا كســير
ســـــــــــــــــــــفينة

تمـــــــــــــــــــــــــام
على الارض في الـــــدّنيا و
انت تســــــــــــــــــــير
بقوم قعود و القلوب تطير.

71- سورة نوح - مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند جهاندار دشمن پرور ببخشايندگى، دوست بخشاى بمهربانى.

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ ما فرستاديم نوح را بقوم او أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ كه آگاه كن و بترسان قوم خويش را مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (1) پيش از آنكه بايشان آيد عذابى دردنماى.

قالَ يا قَوْمِ نوح گفت: اى قوم إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) من شما را آگاه كنندهاى ام آشكارا بدرستى.

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ كه اللَّه را پرستى وَ اتَّقُوهُ و از او بپرهيزيد وَ أَطِيعُونِ و مرا فرمان بريد.

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ تا بيامرزد شما را گناهان شما وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى و شما را با اجلهاى با درنگ افكند. إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ كه آن هنگام نام زد كرده اللَّه چون آيد با پس نيفكنند آن را لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) اگر دانيد.

قالَ رَبِّ گفت: خداوند من إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي من قوم خويش را باز خواندم لَيْلًا وَ نَهاراً بشبها در خانهاى ايشان و بروزها در انجمنهاى ايشان.

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً (5) نفزود ايشان را خواندن من مگر گريختن

وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ و من هر گاه كه خواندم ايشان را لِتَغْفِرَ لَهُمْ تا بيامرزى ايشان را جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ انگشتهاى خويش در گوش كردند وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ و جامها در سر كشيدند وَ أَصَرُّوا بستيهدند وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً (6) و گردن كشيدند گردن كشيدنى.

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (7) پس من ايشان را باز خواندم آشكارا

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ پس من ايشان را آشكارا كردم وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (8) و پنهان كردم ايشان را پنهان كردنى.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ و گفتم. خويشتن را با آن آريد كه سزاى آمرزش او گرديد إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً (9) كه اللَّه آمرزگاريست فراخ آمرز هميشه.

يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (10) فروگشايد بر شما باران را هموار و بهنگام.

وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ و شما را فراهم پيوندد مالها و پسران وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ و شما را درختستانها سازد و كند وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً (11) و شما را جويها روان سازد و كند.

ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (12) چه رسيد شما را كه از شكوه اللَّه نمترسيد؟

وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (13) و او بيافريد شما را چند بارها.

أَ لَمْ تَرَوْا نمىدانيد و نمىبينيد كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ كه اللَّه چون بيافريد هفت آسمان را طِباقاً (14) براست آفريدن و برابر داشتن.

وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً و ماه را روشنايى كرد در آسمانها وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (15) و آفتاب را چراغى كرد در آن.

وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (16) و اللَّه شما را رستنى كرد تا از خاك مىروئيد رستنى.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها آن گه شما را باز خاك گرداند در آن وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (17) و باز بيرون آرد شما را از خاك بيرون آوردنى.

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (18) و اللَّه شما را زمين بر آب گسترانيد.

لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً (19) تا مىرويد در آن و از آن در شاه راههاى فراخ

پیدا.
قالَ نُوحٌ رَبِّ گفت نوح خداوند من إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ایشان از من سر کشیدند وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً (20) و پی کسی میروند که نیفزاید او را مال او و فرزند او مگر زیان کاری.
وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبَّاراً (21) و کوششها کوشیدند و سازها ساختند سخت بزرگ.
وَ قالُوا و گفتند یکدیگر را: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ که پرستش خدایان خویش را بمگذارید وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً (22) وَ لا یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً (23) و فرومگذارید پرستش این پنج خدایان.
وَ قَدْ أَضَلُّوا کَثِیراً و خلق فراوان را بیراه کردند وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلَّا ضَلالًا (24) و مفزای این ستمکاران را بر خویشتن مگر گمراهی.
مِمَّا خَطِیئاتِهِمْ أُغْرِقُوا از بدیهای ایشان بود که ایشان را بآب بکشتند فَأُدْخِلُوا ناراً (25) و آن گه ایشان را در آتش کردند.
فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً (26) فرود از اللَّه خود را داوری دار و یار نیافتند.
قالَ نُوحٌ رَبِّ نوح گفت: خداوند من لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیَّاراً (27) مگذار بر زمین ازین کافران جهان گردی.
إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبادَکَ اگر ایشان را زنده گذاری این بندگان ترا که گرویدهاند بیراه کنند
وَ لا یَلِدُوا إِلَّا فاجِراً کَفَّاراً (28) و جز بدی ناسپاس را نزایند.
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ خداوند من بیامرز مرا و زاینده مرا. وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِيَ مُؤْمِناً و هر که در خانه من آمد گرویده وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ و گرویدگان مردان و زنان وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِینَ إِلَّا تَباراً (29) و مفزای ستمکاران را بر خود و ناگرویدگان را مگر تباهی و نیستی.
النوبة الثانیة
این سوره مکّی است به مکه فرو آمده باجماع مفسّران و بعدد کوفیان بیست و هشت آیت است، دویست و بیست و چهار کلمه، نهصد و بیست و نه حرف و درین سوره نه ناسخ است و نه منسوخ. و در فضیلت سوره ابی بن کعب روایت کند از مصطفی (ص) گفت: هر که این سوره برخواند، خدای عزّ و جلّ او را از آن مؤمنان کند که نوح پیغمبر ایشان را دعا کرد و دعای وی اندرو رساند. قوله إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ قال النّبي (ص): «هو اوّل نبیّ بعث»
و قال ابن عباس: بعث و هو ابن اربعین سنة و قیل: ابن ثلاثمائة و خمسین سنة. و قیل: ابن اربعمائة و ثمانین سنة. و لبث فیهم الف سنة الّا خمسین عاما و عاش بعد الطّوفان تسعین سنة. و نوح اسم عجمی صرف لخفّته. و معناه بالسّریانیّة السّاکن و قیل: سمّی نوحا لکثرة ما کان ینوح علی نفسه و معنی الآیة: أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ کما ارسلناك الی قومك أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ یعنی: بأن انذر قومك. ای خوّفهم عقاب اللَّه. مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ هو الطّوفان و الغرق. و قیل: هو عذاب الآخرة. قال قتادة ارسل من جزیرة فذهب الیهم و: قالَ یا قَوْمِ إِنِّي لَکُمْ نَذِیرٌ ای منذر مخوّف. مُبِینٌ ظاهر ابیّن لکم رسالة اللَّه بلغة تعرفونها.
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ای وحّدوه و اجتنبوا معاصیه. وَ أَطِیعُونِ فیما امرکم و انهاکم عنه و اسند الاطاعة إلی نفسه لانّ الاجابة کانت تقع له في الظّاهر و لانّ طاعة الرّسول طاعة اللَّه.

يَغْفِـرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُـوبِكُمْ قيـل: من هاهنـا للتّبـيين، كقولـه: فَـاجْتَنِبُوا الـرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ. و قيل: للتّبعيض اى يغفـر لكم مـا سـبق من ذنـوبكم. و قيـل: من هاهنـا صلة و المعنى يغفـر لكم ذنـوبكم وَ يُـؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَـلٍ مُسَـمًّى اى يعـافيكم الى منتهى آجـالكم و لا يعـاقبكم بقتـل او غـرق او نـوع من الاهلاك، ليس يريـد انّ الايمان يزيد في آجالهم و لكن خـاطبهم على المعقـول عنـدهم و كـانوا يحـوّزون الموت بهذه الاسـباب فـاخبر انّهم ان آمنـوا لم يمتهم بهـذه الاشـياء و يموتـوا اذا ماتوا غير ميتة المستأصلين بالعذاب و يدلّ على ذلك قوله: إِنَّ أَجَـلَ اللَّهِ إِذا جـاءَ لا يُـؤَخَّرُ لَـوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ ذلـك سـواء كنتم مؤمـنين او غـير مؤمـنين استوصـلتم بالهلاك او متّم على فراشكم قال: يعنى نوحا يشكو الى اللّه ما قاساه من قومه.
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً اى واصلت الدّعوة و قيل: دعوتهم احيانا باللّيل و احيانا بالنّهار. و قيل: كان يأتى بـاب احـدهم ليلا فيقـرع البـاب فيقـول صـاحب البيت: من على الباب؟ فيقول انا نوح قل لا اله الّا اللّه.
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً اى لم يزدادوا الّا تماديا في الغىّ و اعراضا.
وَ إِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ اى دعوتهم الى الايمان ليؤمنـوا فتغفـر لهم جَعَلُـوا أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ لئلّا يسمعوا دعوتى. وَ اسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ اى غطّوا بها وجـوههم لئلّا يرونى. وَ أَصَرُّوا على كفرهم وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً اى تكبّروا عن الحقّ تكبّـرا و ترفعوا عن الايمان بك ترفّعا، ف قالُوا: أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ.
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً ظاهرا يرى بعضهم بعضا. قـال ابن عبـاس مجـاهرة بـاعلى صوتى ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ الدّعاء لبعض وَ أَسْرَرْتُ لبعض. و قيـل: اعلنت احيانـا و اسررت احيانـا. و قيـل: اعلنت لمن اسـررت و اسـررت لمن اعلنت. و في بعض التّفاسير انّ نوحا لمّا آذوه إيذاء شديدا حتّى كانوا يضربونه في اليوم مـرّات عيـل صبره فسـأل اللّه ان يواريـه عن ابصـارهم و يسـتره عن اعينهم بحيث يسـمعون كلامه و لا يرونه، فينالوه بمكـروه ففعـل اللّه ذلـك بـه فـدعاهم كـذلك زمانـا فلم يؤمنوا فسأل اللّه ان يعيده الى مـا كـان و هـو قولـه: أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْـرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اى استدعوا مغفرتـه بطاعتـه. إِنَّهُ كـانَ غَفَّاراً كـان صلة و المعنى: انه غفّار لمن ترك معصيته و استغفره.
قال النّبي (ص): «من اعطى الاسـتغفار لا يمنـع المغفـرة لانّ اللّه سـبحانه قـال استغفروا ربّكم انّه كان غفّارا».
يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً و ذلك انّ قوم نوح لمّا كذّبوه زمانا طويلا حبس اللّه عنهم المطـر و اعقم ارحـام نسـائهم اربعين سـنة فهلكت امـوالهم و مواشـيهم فقال لهم نوح: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ من الشّرك اى استدعوا المغفرة بالتّوحيد، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً المدرار المطر الكثير الدرّ.
وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ اى و يعطكم زينة الدّنيا من الاموال و البنين.
وَ يَجْعَـلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ بسـاتين و اشـجارا وَ يَجْعَـلْ لَكُمْ أَنْهـاراً جاريـة وعـدهم اللّه سبحانه ان يردّ ذلك عليهم ان آمنوا. روى الشعبى انّ عمر (رض) خرج يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتّى رجع فقيل له ما رأيناك استسقيت. فقال عمـر لقـد طلبت المطر بمجاديح السّماء الّتى يستنزل بها المطر ثمّ قرأ: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً.
و روى انّ رجلا اتى الحسين بن على عليهما السّلام فشكا اليه الجدوبة. فقال لـه الحسين: استغفر اللّه. فآتاه آخر، فشكا اليه الفقر. فقال لـه: اسـتغفر اللّه. اتـاه آخر فقال
له: ادع اللّه ان يرزقنى ابنا. فقال له: استغفر اللّه. اتـاه آخـر فشـكا اليـه جفـاف

بساتينه.
فقال له: استغفر اللّه. فقيل له اتاك رجالا يشكون الوانا و يسئلون انواعا فامرتهم كلّهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت من ذات نفسى في ذلك شيئا، انّما اعتبرت فيه قول اللّه سبحانه: اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً الآية.
قوله: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً هذا الرّجاء بمعنى الخوف و الوقار: العظمة اى لا تخافون للّه عظمة، و قيل: معناه لا تشكرون للّه نعمة و لا تعرفون له حقّا. قال الزّجاج معناه ما لكم لا ترجون عاقبة الايمان و لا توحّدون اللّه و قد جعل لكم في انفسكم آية تدلّ على التّوحيد من خلقه ايّاكم اطوارا، اى تارات و مرّات حالا بعد حال نطفا ثمّ علقا ثمّ مضغا الى تمام الخلق.
و قيل: خلقهم اطوارا يعنى: خلقهم حين اخرجهم من ظهر آدم للعهد ثمّ خلقهم حين اذن بهم ابراهيم (ع) للحجّ ثمّ خلقهم ليلة اسرى برسول اللّه (ص) فاراه ايّاهم. و قيل: أَطْواراً اى اصنافا في الوانكم و لغاتكم.
أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً بعضها على بعض، و طباقا جمع طبق و هى صفة لسبع، اى خلق فيها سبعا ذات طباق، و قيل: نصب على المصدر يقال: طابقت مطابقة و طباقا اى طابق بينهما طباقا خلق بعضها فوق بعض يدلّهم بذلك على قدرته و مشيّته. وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً معناه في سماء منهنّ و هي السّماء الدّنيا هذا كقولك فلان متوار في دور بنى فلان و هو في دار واحدة منها. قال ابن عباس انّ الشّمس و القمر وجوههما الى السّماوات وضوء الشّمس و نور القمر فيهنّ واقفيتهما الى الارض و قال عبد اللّه بن عمرو العاص تضيء الشّمس في الشّتاء من السّماء السابعة عند عرش الرّحمن في الصّيف من السّماء الرّابعة و لو اضاءت من السّماء الدّنيا لم يقم لها شىء وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً اى مصباحا مضيئا.
وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً اى انبتكم فتبتم نباتا، يعنى: خلق اباكم آدم من التّراب و انتم اولاده.
ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها عند الموت وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً عند البعث دلّ بالنّشأة الاولى على جواز البعث في الثّانية.
وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً اى فرشها لكم لتتصرّفوا عليها مجيئا و ذهابا و قيل: لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا بيّنة من الارض و الفجاج جمع الفج و هو الطّريق الواسع، و قيل: سُبُلًا فِجاجاً اى طرقا مختلفة.
قالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي فيما امرتهم به من التّوبة و الايمان وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلَّا خَساراً اى اتّبعوا اغنياءهم الّذين لا يزيدون بانعام اللّه عليهم بالمال و الولد الّا عصيانا و نقصانا في الآخرة قرأ مدنى و شامى و عاصم «و ولده» بالفتح و قرأ الآخرون «و ولده» بضمّ الواو على الجمع نحو الاسد و الاسد بالضّمّ العشيرة و القوم.
وَ مَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً اى مكرا كبيرا عظيما، يقال: كبير و كبار و كبّار بمعنى واحد. و قيل: كبّار للمبالغة. و المكر في اللّغة غاية الحيلة و هو من فعل اللّه تعالى اخفاء التّدبير و معنى الآية: انّهم مكروا في دين اللّه عزّ و جلّ حيث افسدوا في الارض بالكفر و التّكذيب، و قيل: منع الرّؤساء اتباعهم عن الايمان بنوح (ع) و حرّشوهم على قتله. وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ اى لا تتركوا عبادة آلهتكم وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا قرأ اهل المدينة ودا بضمّ الواو و الباقون بفتحها. وَ لا سُواعاً وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسْراً هذه اصنام كانت لقوم نوح ثمّ اتّخذت العرب امثالها و عبدتها

فكانت ودّ لكلب و سواع لهمدان و يغوث لطى و يعـوق لكنانـة و نسـر لحمـير. و قيل: انّ «وَدًّا» كان على صورة رجل و «سواعا» على صورة امـرأة و «يغـوث» على صورة اسد و «يعوق» على صورة فرس و «نسرا» على صورة طائرة. قال محمد بن كعب: هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح فلمّا ماتوا كان لهم اتباع يقتـدون بهم في العبـادة فجـاءهم ابليس و قـال: لـو صـوّرتم صـورهم كـان انشط لكم و ادعى الى العبادة و ابعد من النّسـيان ففعلـوا ثمّ نشـأ قـوم بعـدهم فقال لهم ابليس: انّ الّذين قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتداء عبـادة الاوثـان كان من ذلك و سمّيت تلك الصّور بهذه الاسماء لانّهم صوّروها على صـور اولئـك القوم من المسلمين.

و روى عن ابن عباس: انّ تلك الاوثان لما كان ايّام الغرق دفنها الطّوفان و طمّها التّـراب فلم تـزل مدفونـة حتّى اخرجهـا الشـيطان لمشـركى العـرب فاخـذوها و عبـدوها و كـانت العـرب اصـنام اخـر فـاللّات كـانت لثقيـف، و العـزّى لسـليم، و غطفان، و مناة لهذيل، و اسـاف و نائلـة و هبـل لاهـل مكـة فكـان اسـاف حيـال الحجر الاسود و كانت نائلة جبال الرّكن اليمـانى، و كـان هبـل في جـوف الكعبـة ثمانية عشر ذراعا.

وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً اى ضلّ بسبب الاصنام كثير من النّاس كقوله: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْـلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ. و قال مقاتل: اضلّ كبراؤهم كثيرا من النّاس.

وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا هذا دعاء عليهم بعد ما اعلم اللّه نوحا انّهم لا يؤمنـون و هو قولـه: «أَنَّهُ لَنْ يُـؤْمِنَ مِنْ قَوْمِـكَ إِلَّا مَنْ قَـدْ آمَنَ». و جـاء في التّفسـير انّ الرّجل من قوم نوح ينطلق بولده الى نوح فيقول له: احذر هذا فانّـه كـذّاب و انّ والدى قد حذّرنيه فيموت الكبير على كفره و ينشأ الصّغير عليه.

مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ قرأ ابو عمرو خطاياهم، و كلاهما جمع خطيئة. اى من خطايـاهم و ما صلة و المعنى بسبب خطاياهم أُغْرِقُـوا فَـأُدْخِلُوا نـاراً دخـول الفـاء دليـل على اثبات عذاب القبر لانّهـا للتّعقيب قـال الضـحاك: هى في حالـة واحـدة في الـدّنيا كانوا يغرقون من جانب و قال مقاتل: ادخلوا نارا في الآخرة. فَلَمْ يَجِـدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصاراً اى لم ينفعهم اصنامهم الخمسة و لا غيرها من عذاب اللّه.

وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً اى احدا، يقال: ما في الدّار ديّار اى احـد، اى لا تـترك احـدا يـدور في الارض فيـذهب و يجيء و اصـله ديـوار فيعال من دار يدور و قال القتيبىّ اصله من الدّار اى ساكن دار.

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ اى يدعوهم الى الضّلال وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فـاجِراً كَفَّاراً اى الّا من سيفجر و يكفّر، قال محمد بن كعب و مقاتل و الربيع و غيرهم: انّمـا قـال نوح هذا حين اخرج اللّه كلّ مؤمن من اصلابهم و ارحام نسائهم، و اعقم.

ارحام نسائهم، و ايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب باربعين سنة و قيل: بسـبعين سنة و اخبر اللّه نوحا: انّهم لا يؤمنون و لا يلـدون مؤمنـا فحينئـذ دعـا عليهم نـوح فاجـاب اللّه دعـاه و اهلكهم كلّهم و لم يكن فيهم صـبىّ وقت العـذاب لانّ اللّه تعـالى قـال: وَ قَـوْمَ نُـوحٍ لَمَّا كَـذَّبُوا الرُّسُـلَ أَغْرَقْنـاهُمْ و لم يوجـد التكـذيب من الاطفال.

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ و اسم ابيه لمك بن متوشلخ و امّه هيجل بنت لآموش ابن متوشلخ بنت عمّه و كانا مسلمين على ملّة ادريس (ع). وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنـاً اى مسجدى. و قيل: سفينتى. و قيل: ملّتى و دينى وَ لِلْمُـؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنـاتِ هـذا عامّ في كلّ من آمن باللّه و صدّق الرّسل الى يوم القيامة و قيل: من امّة محمد (ص).

وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَباراً ای هلاكا و دمارا و كسرا. و التّبر دقاق الـذّهب. و قـال في الاولى ضلالا و في الثّانية تبـارا لانّ في الآيـة الاولى اضـلّوا كثـيرا ای جـازهم بالاضلال ضلالا ثمّ دمّرهم تدميرا.
النوبة الثالثة
قوله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم عزيز من عبده الف سهاده، من طلبه ودّع و سـاده، من عرفـه انكـر احبابـه، من صـحبه تـرك محابّـه، من ذكـره نسـى اسمه، من شهده فقد عقله و لبّه، من عرفه اعترف انّه وراء مـا وصـفه. بنـام او كه رستگاری بندگان در رضای او، دل مشتاقان بسـته بنـد وفـای او، بنـام او كـه سعادت سعدا بفـرّ فضـل او، شـقاوت اشـقيا از اثـر عـدل او، بنـام او كـه بقـای عالميان بمشيّت او، فنای آدميان بارادت او، هفت آسمان رفيـع ايـوان درگـاه او، هفت زمين باز گسترده مقرّ خاصـگيان او، خورشـيد عـالم آرا بحكمت او، هيكـل ماه گهی چون نعل زرين و گهی چون ورقه سيمين بقـدرت او. هـر كجـا عزيـزی است آراسته خلعت كرم او. هر كجا ذليلی است خسته تير قهر او.
پير طريقت در مناجات گفته: الهی در الهيّت يكتايی و در احديّت بی همتايی و در ذات و صفات از خلق جدايی، متّصف ببهايی، متّحد بكبريايی، مايه هر بينوا و پناه هر گدايی، همه را خدايی تا دوست كرائی:

در چشـــم مـــنی روی بمن ننمـــــــــــــــايی	و انـــــــدر دلمی هيچ بمن نگـــــــــــــــرايی
ای جــان و دل و ديــده و ای بينـــــــــــــايی	چون از دل و ديده در كنـارم نـــــــــــــــــايی.

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ حقّ جلّ جلاله و تقدّست اسماؤه و تعالت صفاته چــون بعلم قديم دانسته بود و تقدير كرده بود كه اعمال و افعال و احوال آدمی بعضی سبب شقاوت است و بعضی سبب سعادت و بعضی زيان جان و بعضی خسـران ايمان. و دانست كه آدمی بخرد خويش راه بمصـالح دين خـويش نـبرد و اسـباب سعادت از شقاوت باز نداند، بحكم فضل و كرم خويش پيغمبرانی را كــه در ازل بسعادت ايشان حكم كرده بود برگزيد و ايشان را ازين راز آگاه كرد و ايشـان را پيغام داد و بخلق فرستاد: «ليـبيّن لهم مـا يتّقـون» تـا راه خـوف و رجـا بايشـان نمايند و زهر و پازهر دين از هم جدا كنند و نفع و ضرّ ايمان بيان كننـد. قـومی را كه ايمان آرند، بفضل كبير بشارت دهنـد. قـومی را كـه از ايمـان سـر بـاز زننـد، بعذاب اليم نذارت كنند. چنان كه ربّ العزّة گفت: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْـذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُـلِ» تـا هيچكس را حجّت نمانـد. و اگـر اللّه خواستی همه خلـق را بی واسـطه و بی رسـول ايمـان دادی ليكن خواسـت كـه گروهی را از بندگان خود برسالت و نبـوّت گـرامی گردانـد و هـر يكی را بنـوعی كـرامت مخصـوص كنـد. آدم را صـفوت دهـد، نـوح را كـرامت، ابـراهيم را خلّت موسی را مكالمت، عيسی را رفعت، مصـطفی را (ص) محبّت و بـاين خصـايص عزّ و مرتبت ايشان خواست، نه نظام ملك خويش كه عـزّت و جلال او مسـتغنی است ان لم يكن ثمّ كان. حضـرت عـزّت او را از نبـود بس بـود، پيونـدی می در نبايد. دوام ملك او را آسمان و آسمانيان، زمين و زمينيان می درنبايد. كبريای او را عزّت او بس.
جلال او را جمال او بس:

فلوجههـــا من وجههـــا قمر	و لعينهـا من عينهـا كحل

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ جای دیگر گفت: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ یا محمد ما ترا پیغام دادیم چنان که نوح را پیغام دادیم امّا پیغام نوح تهدید عقوبت بود، و پیغام محمد بشارت رحمت بود. نوح را گفت: أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ. محمد را گفت: بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً. در پیغام نوح هم عقوبت فرا پیش داشت، گفت: أَنْذِرْ قَوْمَكَ آن گه بآخر حدیث مغفرت کرد گفت: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ و در پیغام محمد (ص) بشارت رحمت فرا پیش داشت و ذکر بیم وا پس داشت که: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً.
نوح قوم خود را وعده عذاب داد گفت: إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ایشان گفتند: «فَأْتِنا بِما تَعِدُنا» بیار آن عقوبت که ما را وعده میدهی و میترسانی.
ربّ العالمین وعده او راست کرد که: فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ اجمعین مصطفی عربی (ص) امّت خود را وعده مغفرت و فضل داد که: وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا مؤمنان گفتند: ربنا آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ خداوندا وعدهای که بر زبان پیغامبر ما را دادهای وفای آن را منتظریم. ربّ العالمین وعده راست کرد گفت: لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ نوح چون از قوم خود برنجید بتظلّم بدرگاه عزّت شد ایشان را سعایت کرد گفت: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلَّا فِراراً. مصطفی محمد (ص) چون از قوم خود برنجید، دست شفقت بر سر ایشان نهاد. ایشان را شفاعت کرد که: اللهم اهد قومی فانهم لا یعلمون.
لا جرم قوم نوح بسعایت نوح درین جهان هلاك شدند و در آن جهان بعقوبت رسیدند أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً و امّت محمد بشفاعت وی درین جهان هدایت یافتند: يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ و در آن جهان بمغفرت رسیدند. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ. چون نوح از قوم خویش بنالید و بدرگاه عزّت تظلّم کرد، ربّ العالمین لختی نعمت و تربیت خویش با یاد آن قوم داد و ایشان را بر کفران و ناسپاسی آن توبیخ و ملامت کرد که: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً چه رسید شما را که شکر نعمت نمیگزارید و حقّ تربیت ما نمیشناسید و خود میدانید که شما را از چه آفریدند و چون آفریدند حالا فحالا و طورا فطورا. اوّل نطفهای از صلب ضعیفی برحم ضعیفی آوردم اندر آن قرار مکین و مکان حصین بداشتم. بنگر که بقلم قدرت چون نگاشتم. آن قطرهای آب را خون گردانیدم آن خون را گوشت گردانیدم. آن گه استخوان در آوردم. بهم پیوند کردم چون قالب مصوّر مقدّر تمام گشت جان لطیف را فرمان دادم تا بتن درآمد چنان که سلطانی بقصری یا همایی به وکری، تا هر عضوی خلعتی داد. بینایی بچشم، گفتار بزبان، سماع بگوش، گرفتن بدست، رفتن بپای، ای بنده نیکوت بیاراستم فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. قد تو بپیراستم، از همه مکوّنات ترا نیکوتر آفریدم. و از همه موجودات ترا زیباتر نگاشتم:

چون صورت تو بت ننگارند بکشور	چون قامت تو سرو نکارند بکشمر
چون نقش تو پیش بت آزر بنگارند	از شرم فرو ریزد نقش بت آزر.

کردگار حکیم، خداوند کریم، جلّ جلاله که ترا جمال صورت افزود و بدایع قدرت در فطرت تو بنمود و دلت بتوحید بیاراست و زنگار انکار ازو بزدود، چه گویی از

حکمت او و رحمت او سزد که آراسته و پیراسته خود را بسوزد؟ کلّا و لمّا چــون درین حال تأمّل کنی و در صنع آفریدگار تدبّر کنی بزبان شکر بگوی:

از قطره آب نطفــه بنگاشــت مـــــــــــــــــــرا | بــــر خـــدمت خـــود بفضـــل بگماشـــــــــت مـــــــرا
از جمله خلق سر بر افراشت مـــــــــــــــــــرا | شــکر ایــزد را کــه بس نکــو داشـــــــــت مـــــــرا.

نوح چون آن همه نعمت و کرامت حقّ با یاد ایشان داد و از ایشان شکر نشنید و جز کفر و تکذیب ایشان را نیفزود، روی ازیشان بگردانیـد و گفت: رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً خداوندا مـرا بیـامرز و دو زاینـده من و هـر کـه بایمــان در آمــد در عهــد من وَ لِلْمُــؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنــاتِ و آن مؤمنــان امّت احمــد مردان و زنان ایشان که بآخر عهد در وجـود آینـد بهینـه همـه امم و پسـندیده تـو خداوند.

72- سورة الجن- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ بگـو يـا محمـد آگـاهى دادنـد مـرا أَنَّهُ اسْـتَمَعَ نَفَـرٌ مِنَ الْجِنِّ كـه نيوشيدند گروهى از پريان. فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (1) گفتند كه: مـا قـرآنى شنيديم شگفت.
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ كه راه مينمايد براسـتى. فَآمَنَّا بِـهِ بگرويـديم بـآن. وَ لَنْ نُشْـرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً (2) و انباز نگيريم با خداوند خويش هيچ كسى.
وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا برتر است و پاك و بزرگوارتر خداوند ما مَا اتَّخَـذَ صـاحِبَةً وَ لا وَلَداً (3) نه زن گرفت بزنى و نه فرزند.
وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً (4) و آن بيخرد نابكار گوى ما بر خـداى مى دروغ گفت.
وَ أَنَّا ظَنَنَّا و ما چنـان مىپنداشـتيم أَنْ لَنْ تَقُـولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَـذِباً (5) كه آدمى و پرى بر خداى دروغ نگويد.
وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ و مردانى بودند از مردمان يَعُـوذُونَ بِرِجـالٍ مِنَ الْجِنِّ كه فرياد ميخواستند بمردانى از پريان از شـرّ بـدان ايشـان. فَـزادُوهُمْ رَهَقـاً (6) پريان را غلط افزودند و فريب.
وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَما ظَنَنْتُمْ و پريان چنان پنداشتند كه شما پنداشتيد.
أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً (7) كه اللَّه هيچكس را بپيغام نخواهد فرستاد.
وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ و ما در آسمان جستيم فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَـدِيداً آسـمان را پر كرده يافتيم از گوشوانان بزور وَ شُهُباً (8) و شاخههاى آتش.
وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّـمْعِ و مـا بروزگـار نشسـتگاهها داشـتيم در درهـاى آسمان نيوشيدن را فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ هر كه اكنون نيوشد. يَجِدْ لَهُ شِـهاباً رَصَـداً (9) خويشتن را شاخ آتش ديدبان يابد و گوشوان.
وَ أَنَّا لا نَدْرِي و ما ندانيم اكنون أَ شَـرٌّ أُرِيـدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ كـه باهـل زمين بـدى خواستهاند. أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (10) يا خداوند ايشان بايشان نيكى خواسته.
وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ و از ما هست گروهى نيكـان. وَ مِنَّا دُونَ ذلِـكَ و هسـت از مـا جز از آن كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً (11) ما جوق جوق بوديم از هم جدا.
وَ أَنَّا ظَنَنَّا و ما درست بدانسـتيم و يقين. أَنْ لَنْ نُعْجِـزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ كـه از اللَّه پيش نشينيم در زمين. وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (12) و نتوانيم كه ازو گريزيم.
وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى و ما چون پيغام راست شنيديم آمَنَّا بِهِ بگرويديم بـآن فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ هر كه بگرويد بخداوند خويش. فَلا يَخافُ بَخْسـاً وَ لا رَهَقـاً (13) گـوى مترس از كاستن مزد و گرفتارى بگناه كسى يا فرمودن بكارى ناتوان.
وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ و هست از ما مسلمانان وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ و هست از ما كـژ راهان بر خويشـتن سـتمكاران فَمَنْ أَسْـلَمَ هـر كـه مسـلمان شـد و گـردن نهـاد فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (14) ايشان آنند كه بهينه گزيدند و راستى جستند.
أَمَّا الْقاسِطُونَ و امّا كژراهان و ستمكاران بر خودكائُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (15)
ايشان دوزخ را هيزماند.
وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ و اگر ايشان بايستند بر راه كفر لَأَسْـقَيْناهُمْ مـاءً غَـدَقاً (16) مـا ايشـان را آب دولت و نعمت روانيم و عيش فـراخ خـوش دهيم.
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ تا ايشان را در آن آزمايش كنيم. وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ و هـر كـه از ياد خداوند خويش و پرستش خداوند خويش روى گرداند يَسْلُكْهُ عَذاباً صَـعَداً (

17) او را در عذابى افكند سخت.
وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ و جاى نماز اللَّه راست.
فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (18) با اللَّه خداى ديگر مخوانيد.
وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ و چون بر پاى خاست بنده خداى و او را ميخواند كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (19) نزديك بوديد كه پريان ور افتادندى.
قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي بگو: من خداوند خويش را خوانم و پرستم وَ لا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً (20) و با او انباز نگيرم هيچكس.
قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً (21) گوى بدست من نيست، نه پادشاهم و نتوانم شما را نه گزندى و نه كارى راست در خور و بچم.
قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ (22) گوى مرا از خداى كس نگه ندارد وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (23) و نيابم فرود از او بازگشتنگاهى و زينهار جاى.
إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ مگر رسانيدن از اللَّه و آورد پيغام او وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ و هر كه سر كشد از خدا و رسول او فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ او راست آتش دوزخ خالِدِينَ فِيها أَبَداً (24) جاويدان در آن.
حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ تا آنچه ايشان را وعده ميدادند به بينند فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً آرى آگاه شوند كه كيست كه سستيارترست وَ أَقَلُّ عَدَداً (25) و اندك سپاهتر.
قُلْ إِنْ أَدْرِي گوى من ندانم أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ كه اين رستاخيز كه شما را وعده ميدهند نزديكست أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً يا اللَّه آن را هنگامى نهاده يا درنگى.
عالِمُ الْغَيْبِ آن داناى نهان فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (26) آگاه نكند از نهان خويش هيچكس را.
إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ مگر آن رسول پسنديده فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ اللَّه ميراند پيش آن رسول و از پس او رَصَداً (27) گوشوانان.
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ تا محمد بداند كه ايشان كه پيغام رسانيدند از خداوند او رسانيدند. وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ و اللَّه خود داناست بآنچه نزديك فريشتگانست و بآنچه نزديك شياطين است وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً (28).
و خود دانسته بود هر چيز پيش از آن چيز و چند آن و چون آن.
النوبة الثانية
اين سورة الجنّ بيست و هشت آيت است، دويست و سى و پنج كلمت و هشتصد و هفتاد حرف. جمله به مكه فرود آمد باجماع مفسّران. و درين سوره از ناسخ و منسوخ چيزى نيست. و در فضيلت سوره ابى كعب روايت كند از مصطفى (ص)، گفتا: «هر كه سورة الجنّ برخواند اللَّه تعالى او را ثواب آزاد كردن بردگان دهد، بعدد هر پريى كه به محمد بگرويد. و بعدد هر پرى كه بنگرويد باو.
«قل» يا محمد، اخبر قومك ما ليس لهم به علم ثمّ بيّن. فقال: أُوحِيَ إِلَيَّ اى اخبرت بالوحى من اللَّه أَنَّهُ اسْتَمَعَ القرآن نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ «الجنّ» جيل رقاق الاجسام، خفيّة، خلق من النّار على صورة تخالف صورة الملك و الانس، موصوف بالعقل كالانس و الملك. و لا يظهرون للانس، و لا يكلّمونهم الّا صاحب معجزة. بل يوسوسون سائر النّاس و هم اولاد ابليس في قول بعضهم، منهم مؤمن و منهم كافر. و الكافر منهم يسمّى شيطانا. و قال ابن عباس: الجنّ ولد الجانّ و ليسوا بشياطين و الشّياطين اولاد ابليس. و قد سبق الكلام فيهم في

غير موضع. قوله: نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قال ابن عباس: كانوا سبعة، و قيل: كانوا تسـعة من جنّ نصيبين من ارض الموصـل من ملـوكهم. و قيـل: من جنّ اليمن. و قيـل: كانوا هودا. و قيل: كـانوا مشـركين. و قيـل: سـبب اسـتماع هـؤلاء فيمـا ذكـر انّ الشّياطين قبل مبعث النّبي (ص) اتّخذت من السّماء مقاعد للسّمع فـاذا سـمعوا كلمة زادوا فيها تسعا فكانوا يلقون الى اوليائهم من الانس فلمّا بعث النّـبي (ص) منعوا مقاعدهم و رموا بالشّهب فمن استمع بعد مبعثه (ص) وجد له شهابا رصدا فاحرق فلمّـا منعـوا من ذلـك و حيـل بينهم و بين خـبر السّـماء بارسـال الشّـهب عليهم اجتمعوا و قالوا لابليس ذلك و قـالوا مـا حـال بيننـا و بين خـبر السّـماء الّا شـيء حـدث فاضـربوا مشـارق الارض و مغاربهـا فـانطلقوا يطلبـون ذلـك حتّى توجّهوا نحو تهامة فوجدوا رسول اللّه (ص) مع نفر من اصحابه ببطن النّخل و هو واد بين جبلين يقـال لـه: سـوق عكـاظ فوجـدوه يصـلّى باصـحابه صـلاة الصّـبح فاستمعوا لقراءته و قالوا: هـذا الّـذى حـال بيننـا و بين خـبر السّـماء. و قيـل: لم يزالوا يـدنون حتّى كـادُوا يَكُونُـونَ عَلَيْـهِ لِبَـداً. ثمّ رجعـوا الى قـومهم و قـالوا: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً مباينا لكلام الخلق في النّظم و المعنى لا يقدر احد على الإتيان بمثله. و العجب حكاية عن غايـة اسـتنكارا او استحسـانا. قـال عـيزار بن حـريث: كنت عند عبد اللّه بن مسعود فاتاه رجل فقال له: كنّا في سـفر فـاذا نحن بحيّـة جريحة تشحّط في دمها فقطع رجل منّا قطعـة من عمامتـه فلفّهـا فيهـا فـدفنها. فلمّـا امسـينا و نزلنـا اتانـا امرأتـان من احسـن نسـاء الجنّ فقالتـا: ايّكم صـاحب عمرو؟ قلنا: ايّ عمرو؟ قالتـا: الحيّـة الّـتى دفنتموهـا فاشـرنا لهمـا الى صـاحبها. قالتا: انّه كان آخر من بقى ممّن اسـتمع القـرآن من رسـول اللّه (ص). كـان بين كافرى الجنّ و مسـلميهم قتـال فقتـل فيهم. فـان كنتم اردتم بـه الـدّنيا ثوبنـاكم. فقلنا: لا انّما فعلنا ذلك للّه. فقالتا: احسنتم و ذهبتا. يقال: اسم الّـذى لـفّ الحيّـة صفوان بن معطل المرادى صاحب قصّة الافك و الجنّى عمرو بن جابر.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ اى الى الصّواب. و هو التّوحيد للّهِ و الايمان به و برسوله و خلع الانداد للّه فَآمَنَّا بِهِ صدقنا به وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً يعنى: ابليس لانّهم لم يرجعوا الى ابليس بعد الايمان و استماع القـرآن. وَ أَنَّهُ تَعـالى جَـدُّ رَبِّنـا اى عظمـة ربّنـا، جلال ربّنا، غنى ربّنا عن الصّاحبة و الولد. امـر ربّنـا، ملـك ربّنـا، و سـلطانه قـدرة ربّنا، ذكر ربّنا هذا كلّـه اقـوال المفسّـرين و الجـدّ: العظمـة و منـه قـول انس بن مالك: كان الرّجل اذا قرأ البقرة و آل عمـران جـدّ في اعيننـا، اى عظم، و الجـدّ: الغنى. و في الخبر: «لا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ»، اى لا ينفع ذا الغـنى منـك غنـاه، انّما ينفعه طاعتك و العمل بما يرضيك و منه

قولـه صـلّى اللّه عليـه و سـلّم: «وقفت على بـاب الجنّـة فـاذا اكـثر من يـدخلها الفقراء. و اذا اصحاب الجدّ محبوسون»

معناه: و اذا اصحاب الغنى في الـدّنيا محبوسـون. مَـا اتَّخَـذَ صـاحِبَةً وَ لا وَلَـداً اى تعالى جلال ربّنا و عظمته عن اتّخاذ زوجة او ولد.

وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ اختلفوا في هذا الالفات فمن نصبها كانت مـردودة الى الـوحى و هو قراءة اهل الشام و الكوفة و من خفضها كانت حكايـة عن الجنّ و هـو قـراءة الآخرين وَ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا هذا السّفيه ابليس عَلَى اللَّهِ شَـطَطاً اى جـورا و كذبا، يعنى كلمة الكفر، و قيل: الشّطط: البعيد اى يقول مـا هـو بعيـد من وصـف اللّه. تقول اشطّ الرّجل إتى بما هو بعيد.

وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُـولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ قـرأ يعقـوب: تقـول بفتح القـاف و تشـديد الـواو. و التّقـوّل، الافـتراء و الكـذب، اى كنّـا نظنّ انّ الكفّـار من الفـريقين غـير

كاذبين في دعويهم كلمة الكفر و انّ للّه صاحبة و ولدا حتّى سمعنا القرآن. و هذا اعتذار منهم، اى اتّبعناهم فيما قـالوا على ظنّ انّ احـدا لا يكـذب على اللّه. فلمّـا سمعوا القرآن ايقنوا انّ ابليس و من تبعه كـانوا كـاذبين فيمـا يزعمـون، تمّ كلام الجنّ هاهنا.
ثمّ استأنف فقال اللَّه عزّ و جلّ: وَ أَنَّهُ كانَ رِجـالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُـوذُونَ بِرِجـالٍ مِنَ الْجِنِّ كان الرّجل في الجاهليّة اذا نزل واديا باللّيل قال: اعـوذ بسـيّد هـذا الـوادى من شرّ سفهاء قومه فيبيت في امن حتّى يصبح. روى عن كردم بن ابى السّـائب الانصارى قال: خرجت مع الا بى الى المدينة في حاجة و ذلك اوّل ما ذكر رسول اللّه (ص) بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم، فلمّا انتصف النّهار جـاء ذئب فاخـذ حملا من الغنم، فوثب الرّاعى فقال: يا عامر الـوادى جـارك فنـادى منـاد لا نـراه يقول: يا سرحان ارسله فـاتى الحمـل يشـتدّ حـتى دخـل الغنم و لم تصبه كدمـة فانزل اللَّه عزّ و جلّ على رسوله (ص) بمكة: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً اى فـزاد الانس الجنّ بـذلك تكبّـرا و عظمـة عنـد انفسهم و قالوا: انّهم يخافوننا و قـد سـدّنا الانس و الجنّ فـازدادوا بـذلك اثمـا. و قيل: زاد الجنّ الانس رهقا، اى طغيانا و كفرا و جهلا و هلاكا و بعدا عن الحقّ.
وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا هذا ايضا من كلام اللّه، اى انّ الجنّ حسبوا كما حسـبتم ايّهـا الانس.
أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً بعد موته، و قيل: ان له يبعث اللّه احدا بالرّسالة الى خلقه ليدعوهم الى توحيده كما ظنّ بعض الانس ذلك.
وَ أَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ اى طلبنا المصير الى السّماء لاستراق السّمع و منه الحـديث الّذى ورد انّ رجلا قال لرسول اللّه (ص): انّ امرأتى لا تدع عنها يـد لامس، اى لا تردّ يد طالب حاجة صفرا يشكو تضييعها ماله. قال اهل اللّغـة لمسـت الشّـىء و التمست، اى طلبت كما يقال: كسب و اكتسب، و قال الشّاعر:

الام على تبكيه و المســـه فلا اجد

فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً هذا كلام الجنّ بعضهم لبعض، اى طلبنا خبر السّماء فوجدنا ابواب السّماء و طرقها مُلِئَتْ من الملائكة الّذين يحرسون من الاسـتماع.
وَ شُهُباً جمع شهاب و هو المضيء المتوقّد من النّار يرمون بها.
وَ أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها اى من السّماء مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ اى مواضع لاسـتماع الاخبـار من السّماء كـان لكـلّ حىّ من الجنّ بـاب في السّـماء يسـتمعون فيـه و كـانت هـذه الشّهب في الجاهليّة. فاذا جاء الاسلام شدّدت و امّدت و زيد فيها. قال الزهـرى: كان يرمى بالنّجوم و ترجم بها الشّياطين في الجاهليّـة لكن غلّـظ و شـدّد امرهـا حين بعث النّبي (ص) فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ اى يقصدان يسمع من ذلك شـيئا يَجِـدْ لَـهُ شِهاباً رَصَداً اى نجما قد ارصد له يزجره عن الاستماع.
وَ أَنَّا لا نَدْرِي حين منعنا من السّماء. أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ام هو لاجـل خـير اراد اللّه بهم و اضــافوا الخــير الى اللّه بالتّخصــيص تادّبــا بــادب اوليــاء اللّه و المؤمنين.
حيث لم يضيفوا الى اللّه بالتّفريد الاكل رفيع من الامـور. و قيـل: معنـاه لا نـدرى اراد اللّه رشدا ببعث هذا الرّسول فيرشدهم أَمْ أَرادَ ان يكفروا به فيهلكهم.
وَ أَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ اى المؤمنون وَ مِنَّا دُونَ ذلِكَ اى الكافرون.
و قيل: الصَّالِحُونَ اصحاب الخير و مِنَّا دُونَ ذلِكَ اصـحاب الشّـرّ كُنَّا طَرائِقَ قِـدَداً اى كنّـا ذوى مـذاهب متفرّقـة و اديـان مختلفـة. قـال الحسـن و السـدى: الجنّ امثـالكم فمنهم قدريّـة و مرجئـة و رافضـة، و يقـال: لشـريف القـوم الطّريقـة و الطّريقة المثلى مشايخ البلد. و القدد جمع القدّة و هي الاجناس المختلفـة يقـال:

صار القوم قددا اذا اختلفت حالاتهم و اصلها من القدّ و هو القطع.
وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً الظّنّ هاهنا بمعنى اليقين، لانّهم وصفوا اللّه بالقدرة عليهم حيث كانوا. و هذا من دلائل الايمان و المعنى: انّا علمنا و ايقنّا ان لن نسبق اللّه في الارض و لن نفوته و لا يمكننا ان نهرب منه ان اردنا الهرب.
وَ أَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدى يعنى القرآن و دعوة الرّسول الّذى يؤدّى الى الهدى. آمَنَّا بِهِ اى صدّقنا به و لم يبعث اللّه نبيّا الى الجنّ الّا محمد (ص). و قيل: آمَنَّا بِهِ اى باللّه و تمّ الكلام هاهنا ثمّ قال: فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ هذا جوابهم و العدة فَلا يَخافُ بَخْساً وَ لا رَهَقاً البخس: نقص الاجر، و الرّهق: تحميل وزر آخر و هذا خبر يراد به النّهى. و قيل: فَلا يَخافُ بَخْساً اى نقصا من حسناته و لا رَهَقاً زيادة في سيّآته. و قيل: كلّ مكروه يغشى الانسان فهو رهق.
وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ المؤمنون، المستسلمون لامر اللّه، المخلصون له.
وَ مِنَّا الْقاسِطُونَ الكافرون، الجائرون، الّذين كتب اللّه عليهم الشّقاء تمّ الكلام.
فَمَنْ أَسْلَمَ هذا جواب وعدة و تصديق فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً اى قصدوا قصد الخير و اتّبعوا طريق الرّشد و توجّهوا صوابا من القول و الفعل.
أَمَّا الْقاسِطُونَ الجائرون، العادلون عن الحقّ. قال اهل اللّغة قسط عدل.
عن الحقّ و اقسط عدل الى الحقّ.كانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً
توقد بهم النّار يوم القيامة ثمّ رجع الى كفّار مكة فقال: وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ اختلفوا في تأويلها، فقال قوم: لو استقاموا على طريقة الحقّ و الايمان و الهدى فكانوا مؤمنين مطيعين. لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً كثيرا واسعا ينبت زروعهم. قال عمر بن الخطاب: حيث ما كان الماء كان المال، و حيث ما كان المال كانت الفتنة. و المعنى: اعطيناهم مالا كثيرا و عيشا رغيدا و وسّعنا عليهم في الرّزق و بسطنا لهم في الدّنيا.
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خوّلوا و هذا قول سعيد بن المسيّب و عطاء بن ابى رباح و الضحاك و مقاتل و الحسن، و دليل هذا التّأويل قوله عزّ و جلّ: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ و قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ و قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً و قال تعالى: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً الآية... و قال الرّبيع بن انس و زيد بن اسلم و الكلبى: معنى الآية و ان لو استقاموا على طريقة الكفر و الضّلالة فكانوا كفّارا كلّهم لاعطيناهم مالا كثيرا و لوسّعنا عليهم لِنَفْتِنَهُمْ فيه عقوبة لهم و استدراجا حتّى يفتتنوا بها فنعذّبهم كما قال تعالى: فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ الآية و قال تعالى: وَ لَوْ لا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ. و قال تعالى: وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ و قال تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى قوله: وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ اى عن القرآن و التّوحيد يَسْلُكْهُ قرأ اهل الكوفة و يعقوب: يَسْلُكْهُ بالياء و قرأ الآخرون بالنّون اى ندخله.
عَذاباً صَعَداً يعنى: ذا صعد، اى ذا مشقّة لا راحة فيه و لا فرج فيه، اخذ من الصّعداء و هو الشّدّة و نفس الصّعداء هو نفس الكظيم الّذى اشتدّ عليه الغمّ و منه قوله: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً اى عذابا شاقّا. و منه قوله كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ اى يصعد صعودا شاقّا و قيل: الصّعد صخرة ملساء في جهنّم يكلّف صعودها فاذا

انتهى الى اعلاها انحدر الى اسفلها نزلت في الوليد بن المغيرة. قوله: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ يعنى: المواضع الّتى بنيت للصّلوة و ذكر اللّه. فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً قال قتادة كانت اليهود و النّصارى اذا دخلوا كنا يسهم و بيعهم اشركوا باللّه فامر اللّه المؤمنين ان يخلصوا الدّعوة للّه اذا دخلوا المساجد، و اراد بها المساجد كلّها و قال الحسن اراد بها البقاع كلّها لانّ الارض جعلت كلّها مسجدا للنّبى (ص).
و قال سعيد بن جبير قالت الجنّ للنّبى (ص): كيف لنا ان نأتى المسجد و نشهد معك الصّلاة و نحن ناؤون عنك؟ فنزلت: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ: و يروى عن كعب، قال: انّى لاجد في التّوراة ان اللّه تعالى يقول: انّ بيوتى في الارض المساجد، و انّ المسلم اذا توضّأ فاحسن الوضوء ثمّ اتى المسجد فهو زائر اللّه تعالى و حقّ على المزور ان يكرم زائره و روى عن سعيد بن جبير ايضا: انّ المراد بالمساجد الاعضاء الّتى يسجد عليها الانسان و هي سبعة: الجبهة، و اليدان، و الرّكبتان، و القدمان، يعنى: هذه الاعضاء الّتى يقع عليها السّجود مخلوقة للّه فلا تسجدوا عليها لغيره.
قال رسول اللّه (ص): «امرت ان اسجد على سبعة اعضاء: الجبهة و اشار بيده اليه، و اليدين، و الرّكبتين، و اطراف القدمين، و ان لا اكفّ شعرا و لا ثوبا».
و في رواية العباس بن عبد المطلب: انّ رسول اللّه (ص) قال: «اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب: وجهه، و كفّاه، و ركبتاه، و قدماه»
و هذا الحديث يدلّ على انّ كلّ عضو من هذه الاعضاء اصل في السّجود و له حظّ من العبادة و نصيب من الخدمة و الطّاعة. فاذا لم يستعمل بعضها اورث ذلك العضو حرمانا و اوجب في السّجود نقصانا. و عن نافع عن ابن عمر مرفوعا قال: انّ اليدين تسجدان كما يسجد الوجه، فاذا وضع احدكم وجهه فليضع يديه و اذا رفعه فليرفعهما.
و امّا الحكمة في ايجاب السّجود على هذه الاعظم انّ هذه الاعضاء الّتى عليها مدار الحركة، هى المفاصل الّتى تنفتح و تنطبق في المشى و البطش و اكثر السّعى، و يحصل بها اجتراح السيّئات و ارتكاب الشّهوات فشرع اللّه تعالى بها السّجود للتّكفير و محو الذّنب و التّطهير و اللّه اعلم. و امّا المساجد ان جعلتها مواضع الصّلاة فواحدها المسجد بكسر الجيم و ان جعلتها الاعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم.
قوله: وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ قرأ نافع و ابو بكر و انّه بكسر همزه، و قرأ الباقون بفتحها. لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يعنى النّبي (ص) «يدعوه» اى و يعبده، و يقرأ القرآن في صلوته و ذلك حين كان يصلّى ببطن النّخلة و يقرأ القرآن «كادوا» يعنى: الجنّ.
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً اى يركب بعضهم بعضا و يزدحمون حرصا على استماع القرآن و رغبة في الاسلام، هذا قول الضحاك و رواية عطية عن ابن عباس قال مكحول: انّ الجنّ بايعوا رسول اللّه في هذه اللّيلة و كانوا سبعون الفا و فرغ عن البيعة عند انشقاق الفجر. و قال سعيد بن جبير: هذا من كلام الجنّ الّذين رجعوا الى قومهم اخبروهم: انّا رأينا اصحاب محمد (ص) و يركعون بركوعه، و يسجدون بسجوده، و كانوا ينثالون عليه مجتمعين. و قال الحسن و قتادة: لمّا قام رسول اللّه (ص) باظهار الدّعوة تلمّذت الإنس و الجنّ عليه ليبطلوا الحقّ الّذى جاءهم به «يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» و ينصر دينه و قوله: «لبدا» جمع لبدة و هي الطّائفة المزدحمة يركب بعضهم بعضا. و

قيل: اللّبدة هى الرّجل من الجراد و منه سمّى اللّبد الّذى يفرش لتراكمـه و تلبّـد الشّعر اذا تراكم.
قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي قرأ ابـو جعفـر و عاصـم و حمـزة: «قـل» على الامـر، و قـرأ الآخرون: «قال» يعنى: رسـول اللَّه إِنَّمـا أَدْعُـوا رَبِّي في صـلوتى وَ لا أُشْـرِكُ بِـهِ أَحَداً من الاوثان فكونوا انتم كذلك.
قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا في دينكم و لا دنياكم وَ لا رَشَداً ارشدكم.
و قيل: لا املك لكم ضلالا و لا هداية لانّى عبد مثلكم بل ذلك الى اللَّه القادر على كلّ شيء.
قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ اى لن يمنعنى من عذابه مانع ان عصـيته و جـاء في التّفسير ان جنّيّا من اشراف الجنّ ذا تبع قال: انّ محمدا يريد ان يجـيره احـد فانا اجيره فانزل اللَّه هذه الآيـة. و روى عن ابن مسـعود قـال: لمّـا تقـدّم النّبي (ص) الى الجنّ ازدحموا عليه فقال سيّد لهم يقـال لـه وردان: انـا ارحلهم عنـك، فقال له: لن يجيرنى من اللَّه احد.
قوله: وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً اى مدخلا في الارض و ملجأ و موئلا.
إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ فذلك الّذى املكه بعـون اللَّه و توفيقـه. و قولـه: «بلاغـا» نصـب على البدل من قوله: «ملتحدا» و المعنى: لا ينجينى شىء الّا ان ابلّغ عن اللَّه مـا ارسلت به و قيل: معنـاه: لا املـك لكم ضـرّا و لا رشـدا. لكن ابلّـغ بلاغـا من اللَّه فانّما انا مرسل لا املك الّا ما ملكت. و البلاغ واقع موقع التّبليغ. قال الفراء: هـذا شرط و جزاء ليس باستثناء و ان منفصلة من لا و تقديره: ان لا بلاغـا و المعـنى: ان لم ابلّغ فلا مجير لى وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فيما يـدعوه اليـه من التّوحيـد. فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً مقيمين لا يخرجون.
حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ في الآخرة. و قيل: يوم بـدر فَسَـيَعْلَمُونَ عنـد ذلـك. مَنْ أَضْعَفُ ناصِـراً وَ أَقَـلُّ عَـدَداً اهم ام المؤمنـون؟ هـذا جـواب لمشـركى مكـه حين استعجلوا بالعذاب و قـالوا: هم بالاضـافة الينـا كالحصـاة من جبـال، و قيـل: هـذا جواب قولهم محمد صنبور.
قُلْ إِنْ أَدْرِي اى ما ادرى. أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ من العذاب في الدّنيا.
و قيل: يوم القيامة أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً اجلا و غاية تطول مـدّتها يعـنى: انّ علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الّا اللَّه.
عالِمُ الْغَيْبِ رفع على نعت قوله: «رَبِّي». و قيل: هو عالم الغيب، قيل: الغيب ما هو كائن لم يكن، و قيل: هو امر القيامة «فَلا يُظْهِرُ» اى لا يطلع عَلى غَيْبِهِ أَحَداً.
إِلَّا مَنِ ارْتَضـى مِنْ رَسُـولٍ اى الّا رسـول قـد ارتضـيه لعلم بعض الغيب ليكـون اخباره عن الغيب معجزة له و قيل: هذا الرّسول هو جبرئيـل عليـه السّـلام «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ» الهاء راجعة الى اللَّه عزّ و جلّ، و المعنى: اذا ارسـل الـوحى الى رسـول ارتضاه و اراد ان يطلعه على غيبه فانّه يبعث ملائكـة بين يديـه يحفظـون الـوحى من استماع الشّياطين. و قيل: يحفظون الرّسول من الشّياطين. و قوله: مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ اى من امامه و ورائه «رصدا» اى حرسا و قيل: لئلّا يطّلـع عليـه الكهنة قبل الوصول الى النّبي المرسل اليـه فيكـون الرّسـول هـو اوّل من يتكلّم به. و قيل: كـان جبرئيـل (ع) اذا بعث الى نـبىّ من الانبيـاء انحـدر معـه اهـل كـلّ سماء الى الّتى تليها و انحدر معه ملائكة السّماء الدّنيا الى الارض فيحيطون به و بالوحي و بالنّبي حتّى يفرغ من ادائه.
لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا قال الزّجاج: ليعلم اللَّه ان رسله قد بلّغوا عنه رسـالاته يعـنى: اذا بلّغوها علم اللَّه ذلك. و قيل: ليعلم اللَّه انّ الملائكـة قـد بلّغـوا الى الرّسـل. و

انّ الرّسل قد بلّغوا إلى الامم. علم اينجا بمعنى رؤيت است و هذا في القرآن كثير كقوله: لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ. معنى آنست كه: تا بيند اللّه كه پيغامهاى او بر امّت رسانيدند. و قيل: ليعلم محمد ان قد ابلغوا تا محمد بداند كه ايشان كه پيغام رسانيدند. از خداوند او رسانيدند. و قيل: ليعلم الشّيطان أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ تا شيطان بداند كه فريشتگان پيغام اللّه رسانيدند و سخن او نرسانيدند، يعقوب «ليعلم» بضمّ يا خواند، اى ليعلم النّاس، تا مردمان را آگاه كنند كه فريشتگان پيغام اللّه رسانيدند. وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ اى و علم اللّه ما عند الرّسل فلم يخف عليه شىء. وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً. قال ابن عباس: احصى ما خلق و عرف عدد ما خلق، لم يفته علم شىء حتّى مثاقيل الذّرّ و الخردل و نصب عددا على الحال و ان شئت على المصدر، اى عدّ عددا.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللّه كلمة سلّابة غلّابة نهّابة وهّابة. تسلب العقول، و تغلب الالباب و تنهب الارواح من الاحباب، و تهب الارتياح لقوم مخصوصين من الطّلّاب نام خداوندى كه عالمان در وصف جلالش حيران، عارفان در شهود جمالش گدازان، واجدان در وجود افضالش نازان، دوستان در شوق وصالش سوزان، طالبان در باديه نيازش خروشان محجوران در زاويه فراقش نالان.

هر عزيزى نام و نشانش را جويان، هر طالبى حمد و ثنايش را گويان، هر ذاكرى نسيم وصلش را بويان، هر سائلى بر اميد فضلش پويان:

پويان و دوانند و غريوان بجهان در	در صومعه و كوهان، در غار و بيابان
يكسر همه محوند بدرياى تفكّر	بر خوانده بخود بر همه لاخان و لامان.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ كان رسول اللّه مبعوثا الى كافّة الخلق، و كان مبعوثا الى الجنّ كما كان مبعوثا الى الانس. آن مهتر عالم و سيّد ولد آدم، سرور اشراف، و مركز عدل و انصاف، فرستاده باهل زمين از قاف تا قاف.

روزى بمنبر شرف بر آمد، بر سبيل خطبه باصحابه خطاب كرد كه: يا مجتمعان مسجد، و يا مستمعان مجلس، بدانيد و آگاه باشيد كه ما را رقم مهترى و بهترى كشيدند. و ساده سيادت رسولان بنام ما كردند. و ما را از حضرت ربّ العزّة به پيغامبرى بكلّ عالم فرستادند هم بعالم انس و انسيان، هم بعالم جنّ و جنّيّان.

همه را در حكم ما كردند و همه را شرع ما فرمودند. آن جنّيان چون بحضرت آن مهتر عالم رسيدند، ببطن نخله، با يكديگر وصيّت ميكردند كه: «انصتوا»، خاموش باشيد، بادب باشيد، حرمت حضرت نبوّت بجاى آريد، حقّ او بشناسيد، قدر او بدانيد. اين آن مهتر است كه خاك قدم او مقرّبان آسمان را توتيا شد. خدمت خطوات او بزرگى و شرف را كيمياء شد. صورت او سورت كمال شد. متابعت او ذخيره خيرت و اقبال شد. قواعد عقايد سنّت ببيان او ممهّد شد. آسمان ايمان باشارت او مشيّد شد. آيين شرع مقدّس بعزّت او مؤبّد شد. آن جنّيان رسالت آن مهتر بپذيرفتند و قرآن قديم نامه خداوند كريم از وى بجان و دل بشنيدند. بقبائل و عشائر خويش باز گشتند و بزبان افتخار بنعت ابتهاج ايشان را گفتند: إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً ما قرآنى شنيديم كه از فصاحت و ملاحت

آن عجب بماندیم. قرآنی که چراغ روشنایی آشنایی است، روح توانایی و دانـایی است، شاهراه اسـتقامت و منهـاج سـلامت اسـت. معـراج کـرامت و راحت هـر جراحت و قانون هر خیرت است.
خنك مر آن کسـی کـه قـرآن رهـبر اوسـت، توفیـق رفیـق او و دار السّـلام مقـرّ اوسـت. او کـه قـرآن قـدیم انیس اوسـت، یقین دان کـه خداونـد کـریم جلیس اوست. میگوید جلّ جلاله: انا جلیس من ذکـرنی و انیس من اسـتأنس بی حـبیب من احبّنی و مطیع من اطاعنی».
این خطاب با موسی کلیم رفت هنگـام مناجـات. موسـی گفت: خداونـدا میـدان مواصلت کجاست؟ خلوت گاه مناجات کجاست؟ این اجدك؟ کجات یابم؟
بکجات جویم؟ فرمان آمد که یا موسی در خلوت. و هو معکم بـا ذاکـران نشـینم بر بساط انبسـاط دوسـتان خـود را نـوازم. یـا موسـی، من انس جـان او ام کـه انسش با نام من، من یادگار دل او ام کـه یادگـارش کلام من، من دوسـت او ام که او دوست من.
وَ أَنَّهُ تَعـالی جَـدُّ رَبِّنـا جلال و عظمت او، کبریـا و عـزّت او از اوهـام و افهـام بیرونست و کس نداند کـه چونسـت. سـزای ثنـاء خـود خـود دانـد، قـدر عـزّت و عظمت خود خود شناسد. صفات صـمدیّت او از اشـراف اسـرار متعـالی اسـت، نعت احدیّت او بر صیغت عبارت و اشارت مستولیست. عرش عظیم در عظمت و جلال قدرت او ذرّهای است.
وجود کلّ عالم از بحـر جـود او قطرهای اسـت. از دور آدم تـا انتهـاء عـالم همـه خواطر و اوهام و افهام در بحر صفات سرمدی او غوص همی کنند تا بـر نشـانی از نشانهای آثار صمدیّت او مطّلع گردند. هر زمانی و هـر لحظهای ایشـان را نـو حیرتی پدید آید که راه طلب بر ایشان بسته گردد، بزبان عجز و حیرت گویند:

وصّاف تـرا وصـف چـه دانـد کـــــــــــــــــردن؟   تو خود بصـفات خـود چنـانی کــــــــه تــــــــــویی!

73- سورة المزمل- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان

يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) اى جامه در خود پيچيده.

قُمِ اللَّيْلَ بشب خيز نماز را إِلَّا قَلِيلًا (2) مگر اندكى.

نِصْفَهُ نيمى از شب. أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) يا چيزى كاه از نيمى اندك.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ يا چيزى افزاى بر نيمى. وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) و قرآن را گشاده حروف خوان.

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) ما مىافكنيم بر تو سخنى گرانمايه سنگى.

إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ اين ساعتهاى شب و اين خاستن بشب هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً سازندهتر است. وَ أَقْوَمُ قِيلًا (6) و موافق ترست و راستر انديشيدن و خواندن را.

إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا (7) ترا در روز خواب را و شغل را پرداختى است دراز.

وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ خداوند خويش را نام مبر و ياد مىكن. وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8) و باز و گسل باز گسستنى او را.

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ خداوند دو نيمه جهان لا إِلهَ إِلَّا هُوَ نيست خداى جز او. فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) او را ميانجى گير و كارسازى بسنده.

وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ و شكيبايى كن بر آنچه دشمنان ميگويند.

وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا (10) و فرا بر ازيشان فرابريدنى نيكو بى مداهنة و بى مداجات.

وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ و با من گذار اين دروغ زن گيران أُولِي النَّعْمَةِ كه خداوندان نازند و تن آسانى وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11) و فرا گذار ايشان را اندكى از روزگار.

إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا نزديك ما در غيب ايشان را بندهاست وَ جَحِيماً (12) و آتشى عظيم.

وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ و خورشى گلوگير وَ عَذاباً أَلِيماً (13) و عذابى درد نماى

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ آن روز كه زمين بجنبد و كوهها از جاى وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا (41) و كوهها ريگ شود روان.

إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ما فرستاديم بشما رسولى شاهِداً عَلَيْكُمْ تا بر شما گواه بود كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) چنان كه فرستاديم به فرعون رسولى.

فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ سر كشيد فرعون از آن رسول فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا (16) فرا گرفتيم او را فرا گرفتنى گران.

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ اگر كافر شويد و بر كفر باز ايستيد چون پرهيزيد؟

يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً (17) از بد آن روز كه نوزادگان را از مادر بر جا پير كند.

السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ آسمان شكافتنى است آن روز بصعبى آن روز كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18) وعده اللَّه بودنى است و كردنى.

إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اين پيغام و سخن پندى است فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (19) تا هر كه خواهد بسوى خداوند خويش راه گيرد.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ ميداند خداوند تو أَنَّكَ تَقُومُ كه تو مىخيزى أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ كم از دو بهر از شب وَ نِصْفَهُ و كم از نيمى از شب وَ ثُلُثَهُ و كم از سه يكى از شب وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ و گروهى ازينان كه با تواند وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ و اللَّه شب و روز باندازه ميداند و مىدارد. عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ دانست اللَّه كه شما

این نماز شب نتوانید فَتابَ عَلَيْكُمْ از شما فرو نهاد و عذر شما بعجز شما بپذيرفت فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ميخوانيد آنچه از قرآن آسانست بر خوانندگان عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى دانست اللَّه كه از شما بيماران بود وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ و دانست كه از شما ديگران بود كه در زمين ميروند يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ و فضل اللَّه ميجويند. وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و ديگران بود غازيان كه در سبيل اللَّه با دشمنان او كشتن ميكنند فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ چندان كه بر شما آسان آيد ميخوانيد از قرآن وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ و نماز بپاى داريد. وَ آتُوا الزَّكاةَ و زكاة ميدهيد. وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً و كردار نيكو نزديك اللَّه وام منهيد وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ و هر چه پيش فرا فرستيد از نيكى خويشتن را. تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ آن را نزديك او باز يابيد هُوَ خَيْراً آن به از آنكه كرديد وَ أَعْظَمَ أَجْراً و مزد آن مه از آنكه بيوسيديد وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ و آمرزش خواهيد از اللَّه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20) كه اللَّه آمرزگارست و بخشاينده.

النوبة الثانية

اين سوره از شمار كوفيان بيست آيت است، دويست و هشتاد و پنج كلمه، هشتصد و سى و هشت حرف، جمله به مكه فرو آمد و در مكّيّات شمرند. ابن عباس گفت: مگر در آيت إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ الى آخر السّورة. و درين سوره سه آيت منسوخ است.

در اوّل سوره نماز شب فرض كردند بر رسول خدا (ص) و بر مسلمانان و ذلك في قوله: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا الآية... پس آخر سوره منسوخ شد و ذلك قوله: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.

ديگر آيه: وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا منسوخ است بآيت سيف.

سديگر آيت فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اين قدر از آيت منسوخ است بآنچه ربّ العزّة گفت: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و در فضيلت سوره ابى بن كعب روايت كند از

مصطفى (ص) قال: «من قرأ سورة يا ايها المزمل رفع عنه العسر في الدّنيا و الآخرة».

قوله: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ معناه المتزمّل ادغمت التّاء في الزّاى و مثله المدّثّر اى المتدثّر ادغمت التّاء في الدّال. يقال تزمّل و تدثّر بثوبه اذا تغطّى به. قال ابن عباس: رجع النّبي (ص) من جبل حراء لما نزل عليه جبرئيل (ع) مذعورا مرتعدا فرائصه، يقول: زمّلونى زمّلونى، فزمّل بقطيفة. فنزلت: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ اى المتلفّف بثيابه، قيل: كان متلفّفا في ثياب نومه، و قيل: كان متلفّفا بثيابه للصّلوة. قال عكرمة: الزّمل بمعنى الحمل و منه الزّاملة، و المعنى: يا ايّها المتحمّل باعباء النّبوّة و قال السدى: هو كناية عن النّائم كانّه عزّ و جلّ يقول: ايها النائم الليل كله قم فصل قال بعض الحكماء: كان هذا الخطاب للنّبى (ص) قبل تبليغ الرّسالة و لم يكن قد شرع في الامر بعد فلمّا شرع خاطبه بالنّبوّة و الرّسالة. و قيل: هذا بدا ايناس و ازالة وحشة كما قال: «وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى». و قيل معناه: يا خامل الذّكر سنرفع لك ذكرك.

قُمِ اللَّيْلَ اى صلّ اللّيل إِلَّا قَلِيلًا اى الا شيئا يسيرا تنام فيه و كان قيام اللّيل فريضة في ابتداء الاسلام و بيّن قدره فقال: نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا الى الثّلث أَوْ زِدْ على النّصف الى الثّلثين خيّره بين هذه المنازل فكان النّبي (ص) و اصحابه يقومون على هذه المقادير، فكان الرّجل لا يدرى متى ثلث اللّيل و متى النّصف

و متى الثّلثان فكان يقوم حتّى يصبح مخافة ان لا يحفـظ القـدر الـواجب و اشـتدّ ذلك عليهم حتّى انتفخت اقدامهم فرحمهم اللّه و خفّفـه عنهم بعـد سـنة و نسـخ وجـوب التّقـدير بقولـه: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُـوهُ فَتـابَ عَلَيْكُمْ فَـاقْرَؤُا مـا تَيَسَّـرَ مِنَ الْقُرْآنِ اى صلّوا ما تيسّر من القـرآن، اى صـلّوا مـا تيسّـر من الصّلاة و لـو قـدر حلب شاة ثمّ نسخ وجوب قيام اللّيل بالصّلوات الخمس بعد سنة اخرى فكان بين الوجوب و التّخفيف سنة و بين الوجوب و النّسخ بالكلّيّة سنتان.
وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا اى بيّن الحـروف و وفّ حقّهـا من الاشـباع كانّـك تفصـل بين الحرف و الحرف مشتقّ من قول العـرب ثغـر رتـل و رتـل اذا كـان فيـه فـرج. و التّرتيل اداء الحروف و حفظ الوقـوف. و قيـل: معنـاه اقـرأ على ترتيبـه لا تقـدّم مؤخّرا و لا تؤخّر مقـدّما. و قيـل: فصّـله تفصـيلا و لا تعجـل في قراءتـه. و قيـل: معناه: ضعّف صوتك و اقرأه بصوت حزين، و قـالت امّ سـلمة: كـان رسـول اللّه (ص) يقطع قراءته آية آية.
و قال ابن مسعود: لا تنثروه نثر الدّقل. و لا تهذّوه هذّ الشّعر. قفوا عنـد عجائبـه. و حرّكوا به القلوب.
و لا يكن همّ احدكم آخر السّورة.
سئل انس: كيف كانت قراءة النّبي (ص)؟ فقـال: كـانت مـدّاء ثمّ قـرأ بسـم اللّه الرّحمن الرّحيم يمدّ ببسم اللّه و يمدّ بالرّحمن يمدّ بالرّحيم.
روى انّ عمـر ان بن حصـين مـرّ على قـاصّ يقـرأ ثمّ يسـأل فاسـترجع ثمّ قـال سمعت رسول اللّه (ص) يقول: «من قرأ القرآن فليسـأل اللّه بـه فانّـه سـيجيء اقوام يقرءون القرآن يسألون به النّاس.
إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ اى سننزل عليـك قَـوْلًا ثَقِيلًا يعـنى القـرآن فـالقرآن رزين كـريم رصين، ليس بهزل و لا سفساف، له وزن و خطـر في صـحّته و بيانـه كمـا يقـال: هذا قول له وزن و خطر. قال جعفر: ما ثقله في تلاوته انّما ثقله في العمل به. و قيل: ثقله بالأمر و النّهى و الحدود و الاحكام. و قيل: ثقيلا لثقله في الميزان يـوم الحساب.
و قيل: ثقيلا على الكفّار و المنافقين و يحتمـل ان يكـون ثقيلا صـفة للمصـدر اى القاء ثقيلا لما
روى عن عائشة قـالت: لقـد رأيتـه يـنزل عليـه الـوحى في اليـوم الشّـديد الـبرد فينفصم عنه و انّ جبينه ليرفضّ عرقا
و قال ابن عباس: نزلت سـورة الانعـام فـبركت ناقـه رسـول اللّه (ص) من ثقـل القرآن و هيبته. و معنى ثقل القرآن هيبة القـرآن. و روى: انّ الحـارث بن هشـام سأل رسول اللّه (ص) فقال: يا رسول اللّه كيـف يأتيـك الـوحى؟ فقـال: «احيانـا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو اشدّ علىّ فينفصـم عنّى و قـد وعيت مـا قـال و احيانا يتمثّل لى الملك رجلا فيكلّمنى فاعى ما يقول».
قوله إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ اى ساعاته كلّها و كلّ ساعة منها ناشئة سـمّيت بـذلك لانّهـا تنشأ بعد النّهار اى تبدو فكلّ ما حدث باللّيل و بدا فقد نشأ و هو ناشـئ و الجمـع ناشئة. قال ابن ابى مليكة: سألت ابن عباس و ابن الزبير عنها، فقالا: اللّيـل كلّـه ناشئة. قال سعيد بن جبير و ابن الزبير ایّ ساعة قام من اللّيل فقـد نشـاء و هـو بلسان الحبش نشأ فلان اى قام فقالت عائشة: النّاشئة: القيام بعد النّوم. و قـال ابن كيسان: هى القيام من آخر اللّيل. و قال عكرمة: هى القيام من اوّل اللّيل.
روى عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام انّه كان يصلّى بعد المغرب و العشـاء و يقول: هذا ناشئة اللّيل.

و قال الازهرى: ناشئة اللّيل قيام اللّيل. مصدر جاء على فاعلة كالعافيـة بمعـنى: العفو، اى ما ينشئه الرّجل باللّيل من القراءة و الصّلاة. هِيَ أَشَدُّ وَطْئـاً قـراء ابن عامر و ابو عمرو و طاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطاة و الموافقـة. يقـال: واطأت فلانا مواطاة و وطأ اذا وافقته و ذلك ان مواطاة القلب و السّمع و البصر و اللّسان باللّيل يكون اكثر ممّا يكون بالنّهار، اى أجدر أن يواطأ اللّسـان القلب و القلب العمل لانّ اللّيل تهـدأ فيـه الاصـوات فلا يحـول دون تفهّمـه شـيء. و قـرأ الآخرون أَشَدُّ وَطْئاً بفتح الواو و سكون الطّاء اى اشدّ على المصلّى و اثقـل على البدن من صلاة النّهار لانّ اللّيل للنّـوم و الرّاحـة، فـاذا ازيـل عن ذلـك ثقـل على البدن ما يتكلّف فيه. و منه
قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «اللّهم اشدد وطأتك على مضر»
اى اشدد ثقل الأمـر عليهم. و قيـل: «أَشَـدُّ وَطْئـاً» اى اثبت في القلب، و احفـظ للقراءة و ابلغ في الثّواب، و اسهل على المصـلّى من سـاعات النّهـار لانّ النهـار خلق لتصرّف العباد فيه و اللّيـل خلـق للنّـوم و الخلـوة من العمـل فالعبـادة فيـه اسهل. وَ أَقْوَمُ قِيلًا اى اصوب قراءة، و اصحّ قولا، و اشدّ استقامة لفـراغ البـال و هداة النّاس و سكون الاصوات. يقال: قال قيلا و قـولا و مقـالا و مقالـة و قـالا. و قال الحسن اذا قام احدكم من اللّيل فليسمع نفسه.
فانّ الملائكة لا يقرءون القـرآن و هم يحبّـون ان يسـمعوه من بـنى آدم. و قيـل: أَقْوَمُ قِيلًا اى اعجل اجابة للدّعاء.
إِنَّ لَكَ فِي النَّهـارِ سَـبْحاً طَـوِيلًا لـه معنيـان: احـدهما: انّ لـك في النّهـار فراغـا و تصرّفا و تقلّبا طويلا تقدر أن تسبح في حوائجك و اشغالك بالنّهار. و اصل السّـبح سرعة الذّهاب و منه السّباحة في الماء. و المعنى الثّاني إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَـبْحاً طَوِيلًا اى فراغا للنّوم فقم اللّيل و نم بالنّهار. و قيل: معنى الآيـة مـذاهبك بالنّهـار فيما يشغلك كثيرة و اللّيل، اخلى لك و اعون على وعى ما يـوحى اليـك فقم من نومك باللّيل. و قرأ يحيى بن يعمر: سبخا بالخاء المعجمة، اى اسـتراحة و تخفيفـا للبدن و منه
قول النّبي (ص) لعائشة و قد دعت على سارق لا تسبّخى عنه بدعائك عليه.
وَ اذْكُرِ اسْـمَ رَبِّكَ بالتّوحيـد و التّعظيم و ادعـه باسـمائه الحسـنى و قيـل: معنـاه: اذكر: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» اذا اردت قراءة القرآن او الصّـلاة وَ تَبَتَّلْ إِلَيْـهِ تَبْتِيلًا اى انقطع اليه انقطاعا و اخلص له العبادة اخلاصا. و توكّل عليه توكّلا.
و قيل: التّبتّل رفض الدّنيا و ما فيها و التماس ما عنـد اللّه. اصـل التّبتّـل القطـع. يقال: تصدّق فلان صدقة بتلـة، اى قطعهـا من مالـه، و اخرجهـا من يـده. و قيـل لمريم: البتول، لقطعها الدّنيا و اسبابها و انقطاعهـا عن النّـاس. و القيـاس تبتّلا و لكن لمّا كان التّبتيل من حروفه عدل اليه لموافقـة رؤس الآى، لانّ حـظّ القـرآن من حسن النّظم و الرّصف فوق كلّ حـظّ و يحتمـل انّ المعـنى تبتّـل اليـه يبتّلـك تبتيلا، كما قال تعالى: وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً اى و تنبتون نباتا.
رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ يريد به جنس المشارق و المغارب في الشّتاء و الصّـيف اى خالقهما و مالكهما. قرأ اهل الحجاز و ابو عمرو و حفص «ربّ» برفع الباء.
على الابتداء و قرأ الآخرون بالجرّ على نعت الرّبّ في قوله: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ.
لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا اى توكّل عليه و ثق به و استكفه جميع المهمّات.
و قيل: وكيلا اى كفيلا بما وعـدك قيّمـا بـامورك، ففوّضـها اليـه: وَ اصْـبِرْ عَلى مـا يَقُولُـونَ للّه من الصّـاحبة و الولـد و الشّـريك و لـك من السّـاحر و الكـاهن و المجنون. وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا الهجر الجميل ترك الجفوة من غير ترك الـدّعوة

الى الحقّ كقوله: «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» و قوله: «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ» و هى منسوخة بآية السّيف.
وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ لك يا محمّد «أُولِي النَّعْمَةِ» اى الثّروة و التّنعّم و المال وصفهم بالنّعمة توبيخا لهم على ترك الشّكر و تبيينا انّه اطغاهم استغناؤهم.
وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا اى انظرهم و اخّرهم قليلا و لا تهتمّ بهم و كل امرهم الىّ فانّى اكفيك شأنهم. قيل: نزلت في صناديد قريش المستهزئين. و قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر و كان بين نزول هذه الآية و بين بدر سنة.
إِنَّ لَدَيْنا اى ان عندنا لاهل النّار «أَنْكالًا» قيودا و اغلالا اهانة لهم لا خوفا من فرارهم «وَ جَحِيماً» اى نارا جاحمة حارّة متناهية، يقال: يوم جاحم شديد الحرّ.
وَ طَعاماً ذا غُصَّةٍ اى الضّريع و الزّقّوم يغصّ في الحلق و لا يسوغ. وَ عَذاباً أَلِيماً يخلص وجعه الى القلب. و جاء في التّفسير انّه لمّا نزلت هذه الآية خرّ النّبي (ص) مغشيّا عليه.
يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ اى تتحرّك الارض حركة شديدة و تزول الجبال عن اماكنها. وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا اى رملا سائلا.
قال الكلبى: هو الرّمل الّذى اذا اخذت منه شيئا تبعك ما بعده يقال هلت الرّمل اهيله هيلا اذا حركت اسفله حتّى انهال من اعلاه.
إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولًا يعنى محمد (ص) شاهِداً عَلَيْكُمْ يوم القيامة بالاجابة و الامتناع. كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا يعنى موسى (ع).
فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ اى جحد رسالة موسى و لم يؤمن به. فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلًا اى شديدا ثقيلا.
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً باللّه و لم تؤمنوا عذاب يوم يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً لصعوبته و شدّة اهواله. قيل: هذا على ضرب المثل، و قيل: بل يصير الولدان في القيامة شيبا لما يرون من اهوالها. و قيل: انّما يصيرون شيبا اذا قال اللّه لآدم: «قم فابعث من ذرّيّتك بعث النّار» فيقول: «يا ربّ من كم كم». فيقول: «من كلّ الف تسع مائة و تسعة و تسعين الى النّار و واحدا الى الجنّة فحينئذ يشيب الولدان من الفزع». و قيل معنى الآية: كيف لكم بالتّقوى يوم القيامة اذ كفرتم في الدّنيا اى لا سبيل لكم الى التّقوى اذا وافيتم القيامة و قوله: السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ اى السّماء منشقّ بذلك اليوم و شدّته. و قيل: الباء بمعنى في، اى في ذلك اليوم. و قيل «مُنْفَطِرٌ بِهِ» اى باللّه عزّ و جلّ حين ينزل سبحانه في ظلل من الغمام و لم يقل منفطرة لانّ السّماء يذكّر و يؤنّث. و قيل: لانّ السّماء في المعنى السّقف و قيل: معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مرضع اى ذات رضاع على النّسبة و كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا اى ينجز لاوليائه ما وعد و لاعدائه ما اوعد. و قيل: وعده بان يظهر دينه على الدّين كلّه.
إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اى هذه الآيات وعظ و عبرة فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اى طريقا الى رضاه بطاعته لأمره. و المعنى: انّ الوصول الى طاعاته ممكن و الى معرفته لما نصب من الدّلائل و اثبت من الشّواهد و انزل من الآيات و السّور. و قيل: فيه اضمار و معناه: فمن شاء اللّه ان يتّخذ الى ربّه سبيلا اتّخذ. قوله: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى اى اقلّ. مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ قرأ اهل مكة و الكوفة: نصفه و ثلثه بفتح الفاء و الثّاء و اشباع الهاءين ضمّا، اى و تقوم نصفه و ثلثه و قرأ الآخرون بكسر الفاء و الثّاء و اشباع الهاءين كسرا عطفا على ثلثى اللّيل وَ طائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ يعنى المؤمنين و كانوا يقومون معه. قال عطاء: يريد لا يفوته علم ما تفعلون انّه يعلم مقادير «الليل و النهار» فيعلم القدر الّذى

تقومون.
عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ هذا نسخ اوّل السّورة اى علم ان لن تطيقوا قيام اللّيل في النّصف و الثّلث و الثّلثين. فَتابَ عَلَيْكُمْ فخفّف عليكم و وضع عنكم فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ اى فصلّوا ما خفّ عليكم في اللّيل من الصّلاة. قال الحسن: و لو قدر حلبة شاة، و قيل: فاقرؤا ما تيسّر من القرآن اى ما احببتم و اردتم من السّور القصار الّتى تقرأ في صلاة المغرب و العشاء الّتى عدّها رسول اللَّه (ص) على معاذ يريد في الصّلاة النّافلة. و قيل: في الفرض. و قيل: خارج الصّلاة. قال ابن عباس: ما تيسّر مائة آية و قال السدى مائتا آية و قيل: ثلاث آيات كاقصر سورة.
قال رسول اللَّه (ص): انّ اللَّه تعالى انزل الآيتين من خاتمة سورة البقرة من كنز تحت العرش من قرأهما في ليلة كفتاه
و عن قيس بن حازم قال: صلّيت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في اوّل ركعة بالحمد و اوّل آية من البقرة ثمّ قام في الثّانية فقرأ بالحمد و الآية الثّانية من البقرة ثمّ ركع فلمّا انصرف اقبل علينا فقال: انّ اللَّه تعالى يقول: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ. و عن انس بن مالك انّه سمع رسول اللَّه (ص) يقول: «من قرأ خمسين آية في يوم او في ليلة لم يكتب من الغافلين و من قرأ مائة آية كتب من القانتين. و من قرأ ماتى آية لم يحاجّه القرآن يوم القيامة. و من قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر».
و عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال لى رسول اللَّه (ص): «اقرأ القرآن في كلّ شهر» قال قلت: انّى لا اجد قوّة. قال: «فاقرءه في عشرين ليلة» قال: قلت انّى لا اجد قوّة؟ قال: «فاقرأه في سبع و لا تزد على ذلك».
ثمّ ذكر سبب التّخفيف، فقال: عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى فيشقّ عليهم قيام اللّيل. وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ اى يسافرون فيها.
يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ اى يطلبون من رزق اللَّه بالتّجارة وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فسوّى بين درجة المجاهدين و المكتسبين المال للنّفقة على نفسه و على العيال و الاحسان و الافضال. روى ابراهيم عن ابن مسعود قال: ايّما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند اللَّه منزلة الشّهداء ثمّ قرأ عبد اللَّه: وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و عن ابن عمر قال: ما خلق اللَّه عزّ و جلّ موتة اموتها بعد القتل في سبيل اللَّه احبّ الّتى من ان اموت بين شعبتى رجل اضرب في الارض ابتغى من فضل اللَّه.
فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ اى من القرآن تطوّعا حثّهم على التّطوّع بالتّهجّد ترغيبا و نسخ افتراضه ترفيها.
وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ هذا نسخ صلاة اللّيل بالصّلاة الخمس. وَ آتُوا الزَّكاةَ القصّة للصّلوة و لكن لم يفرّق بين القرينتين وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً كلّ ما يعبد اللَّه عزّ و جلّ به قرض للعبد عند اللَّه. وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ اى ما تسلفوه لانفسكم من عمل صالح و صدقة. تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ اى تجدوا ثوابه عند اللَّه هُوَ خَيْراً لكم من متاع الدّنيا، و قيل: خيرا لكم من الشّحّ و التّقصير و خيرا نصب مفعول ثان لقوله: «تجدوه، و دخلت هو فصلا. وَ أَعْظَمَ أَجْراً» لانّ اللَّه تعالى يعطي المؤمن اجره بغير حساب وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من تقصير و ذنب وقع منكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن تاب «رَحِيمٌ» لمن استغفر.
عن الحارث بن سويد قال: قال عبد اللَّه: قال رسول اللَّه (ص): «ايّكم ماله

احبّ الیه من مال وارثه»؟ قالوا: یا رسول اللَّه ما منّا من احد الّا ماله احبّ الیه من مال وارثه قال: «إعملوا ما تقولون» قالوا: ما نعلم الّا ذلك یا رسول اللَّه قال: «ما منكم رجل الّا مال وارثه احبّ الیه من ماله قالوا كیف یا رسول اللَّه؟ قال: «انّما مال احد كم ما قدّم و مال وارثه ما اخّر
وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ من ذنوبكم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

النوبة الثالثة

قوله تعالی: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ «بسم اللَّه» كلمة سماعها نزهة قلوب الفقراء، بهجة اسرار الضّعفاء، راحة ارواح الاولیاء، قوّة قلوب الانبیاء، سلوة صدور الاصفیاء، قرّة عیون اهل البلاء. نام خداوندی كه اشباح طالبان سوخته جلال او، ارواح قاصدان افروخته جمال او، انفاس عزیزان بسته نوال او، حواسّ مقرّبان سرگشته اقبال او، اسرار عارفان تشنه وصال او، ابصار محبّان خسته دلال او. بسا رویها كه برو كرد نایافت او، بسا دلها كه درو درد ناخواست او:

بایّ نواحی الارض ابغی وصالكم ... و انتم ملوك ما لنحوكم قصد
بسیار خلایقند جویان رهت ... كشته شده عالمی بهول سپهت
تا بر مه چهارده نهادی كلهت ... بینم كله ملوك در خاك رهت

يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ای پیغمبر مطهّر، ای سیّد اطهر، ای رسول اكبر، ای مقتدای بشر، ای برج جلالت را ماه انور، ای درج رسالت را درّ اظهر، ای بر سر سیادت افسر، ای بر افسر سعادت گوهر، ای عنوان نامه جلالت نام تو، ای طراز جامه رسالت احكام تو، سرمایه دین كلام تو، پیرایه شریعت اعلام تو، ای ناظم قلاده نبوّت، ای ناشر اعلام رسالت، ای مؤیّد اركان هدایت، ای كاشف اسرار ولایت، ای واضع منهاج شریعت، ای رافع معراج حقیقت.
قُمِ اللَّيْلَ خیز نماز شب كن، لختی از شب بیدار باش شفاعت امّت را، و لختی خواب كن آسایش نفس را. یا سیّد اگر همه شب در خواب باشی امّتت ضایع مانند، ور همه شب بیدار باشی رنجه شوی، و من رنج تو نخواهم. چون بیدار باشی بسبب بیداری تو بعضی عاصیان را بیامرزم تصدیق شفاعت را. چون خواب كنی بحرمت خواب تو باقی بیامرزم تحقیق رحمت را. ای سیّد تو خلعت قربت ما كه یافتی در شب یافتی، هم در شب خدمت ما بجای آر تا چنان كه خلعت در شب یافته باشی شكر خلعت بخدمت هم در شب گزارده باشی.
ای جوانمرد بنده را هیچ كرامت چنان نبود كه در شب تاری از بستر گرم برخیزد متواری، بر درگاه باری، با تضرّع و زاری، در مناجات شود و قصّه درد خود بدو بردارد، گوید بزبان نیاز در حضرت راز: الهی بارم ده تا قصّه درد خود بتو بردارم، بر درگاه تو منزارم و در امید بیم آمیز منازم. الهی فاپذیرم تا وا تو پردازم، یك نظر در من نگر تا دو گیتی بآب اندازم. عزیز من در شب بیدار و هشیار باش كه شب بوستان دوستان است و بهار عارفان، شب مرغزار محبّان است و نور صادقان، شب سرور مشتاقان است و راحت ارواح مطیعان.
قوله: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا یا محمد بشب قرآن بترتیب و ترتیل خوان و در نماز بشب قراءت بلند خوان تا دوستان ما در میادین قدس بالحان انس در لذّت سماع كلام ما و در راحت پیغام ما جانهای خویش میپرورند و اسرار خویش معطّر و مروّح میگردانند. یا محمد با دوستان ما بگوی: چون خواهید كه با ما راز

كنيد روى بقبله شرع آريد و قدم و در حضـرت نمـاز نهيـد. المصلّى ينـاجى ربّـه. نماز راز گفتن است و در اميد كوفتن، نماز سبب نجاتست و با دوست مناجــات، نماز نهايت مجاهدت است و بدايت مشاهدت. نمـاز خويشـتن را از دسـت نفس ربودن است، و جهد بندگى نمودن و دوست را ستودن. بنمـاز دوسـت از دشـمن پيدا گردد و آشنا از بيگانه جدا شود بين الكفر و العبد ترك الصّلاة. مثل مؤمن كه نماز كند چون درخت گل است، معرفت در وى چون بوى و نماز بر وى چون گل هر كسى تواند كه گل از درخت باز كند و برگش بركند اما نتوانـد كـه بـويش كم كند و نسيمش ببرد. همچنين شيطان توانـد كـه در نمـاز ظـاهر وسوسـه كنـد تـا چيزى از وى بربايد، امّا نتواند كه معرفت از باطن ببرد.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا تبتّل مقامى است از مقامات روندگان، ايشـان كه در منازلات و مكاشفات خويش بدان رسيدند كه بهشت با همه اشجار و انهار در جمال خيال ايشان نيايد، دوزخ با همه اغلال و انكال از نهيب احتراق سينههاى ايشان بلرزد، افعى حرص دنيا هرگز دندانى بر روزگار عيش ايشان نتواند نهاد. خارى از بيشه حسد و كبر بدامن ايشان باز نگيرد. گردى از بيابان نفس امّاره بر گوشه رداء اسلام ايشان ننشيند. دودى از هاويه هوا بديده ايشان نرسد و بچشم عبرت بخلق نگرند. بزبان شفقت سخن گوينـد، بـدل رحمت الفت گيرنـد. ملكى صفتاند و گدا صورت. سلاطين راهند در لباس مساكين روندگاناند و مسـافت در ميان نه، پرندگاناند و علّت پـر و بـال نـه، مسـتاناند از شـراب عشـق، زندگانانـد بحياة قرب:

قومى كه ز هـر چـه دون مـا پــــــــــــاك زدند	آتش ز غمــان دل در افلاك زدند
از هر چه برون ماست چون دور شـــــــــــــدند	بر عرش رسيده خيمــه بــر خـــــــاك زدنــــــد.

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا چون ميدانى كه خداى جهـان و جهانيـان اوسـت، دارنـده بنـدگان و پرورنـده ايشـان اوسـت، كـاردان و نگهبـان اوست، او را وكيل و كارساز خود دان كه بسندهتر از همه كار سازندگان اوست. از تكاپوى خود و شغل خود يكسر بيرون آى و خود را يكسـر بـدو سـپار، روى از همه بگردان و تكيه بر ضمان او كن، و دل از خلـق بـردار و تـدبير بگـذار، همگى خود در دست تقدير او نه تا راه طلب بر تو روشن شود. او خداوند يگانه اســت، بنده يك همّت يك طلب خواهد، از مرد هـر جـايى و هـر درى اين حـديث درسـت نايد: فكن رجلا رجله في الثّرى و هامة همّته في الثّريا:

مــرد يگانــه را ســر عشــق ميانـــــــــــه نيست	عشـق ميانـه در خـور مـرد يگانـــــــــــه نيست
يا عشـق، يـا ملامت، يـا راه عــــــــــــافيت	جــز جــان مــرد تــير بلا را نشـــــــــانه نيست

آن مهتر عالم و سيّد ولد آدم (ص) در نگر تا چه خطاب بدو رسيد: وَ اصْــبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا «وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِـيقُ صَـدْرُكَ بِمـا يَقُولُـونَ» «فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلًا» «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «وَ اصْـبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا». چند جايگاه در قرآن آن مهتر عالم را صـبر فرمـود، زيـرا كـه ترياق زهر بلا صبر است. و نشان اهل محبّت و لا صبر است، آن صـبر در محنت بس كارى نيست كه آن خود خلق را عادتست، مرد مردانـه آنسـت كـه در نعمت

صبر كند و قدم بر جادّه عبوديّت نگاه دارد و از رقم خويش در نعمت پـاى بـرون ننهد. آن نمرود و قارون و فرعون و هامان و امثال ايشان كه غرقه دريــاى هلاك شدند، همه نتيجه بى صـبرى بـود در نعمت آدمى كفـور و كنـود اسـت، در نعمت قدمش بر جاى بنماند و از حدّ خويش درگذرد و اشر و بطر پيش آرد. اينست كه ربّ العزّة گفت: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى. لا جرم در دنيا سرانجام كارشان اين بود كه: وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِـرَتْ مَعِيشَـتَها... الآيـة، و در عقـبى آنچه ربّ العالمين گفت درين سوره: إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَ جَحِيماً. وَ طَعاماً ذا غُصَّـةٍ وَ عَذاباً أَلِيماً.

74- سورة المدثر- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشایش مهربان.
يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) ای جامه در خویشتن کشیده.
قُمْ فَأَنْذِرْ (2) خیز و مردمان را آگاه کن.
وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) خداوند خویش را بزرگ دان.
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ (4) جامه خویش پاك دار.
وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) و از بدنامی دوری جوی.
وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) و چیز مده تا ترا به از آن دهند، سپاس منه بکردار خـویش بآنكه فعل خويش پسندى و آن را فراوان دارى.
وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) و از بهر خداوند خویش شکیبایی کن.
فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) آن گه که دردمند در صور.
فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ آن روز هن يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) روزى دشوار است.
عَلَى الْكافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10) بر کافران نه آسان است.
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (11) گذار مرا و آن مرد که او را بیافریدم و او تنها بود بی کس و بی چیز.
وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً (12) و مال دادم پیوسته در زیادت و بر افزونی.
وَ بَنِينَ شُهُوداً (13) و پسران دادم پیش او بهم.
وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (14) و او را مهتری دادم و کار ساختم کار ساختنی
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) و آن گه بس می اومید دارد که تا افزایم.
كَلَّا نيفزايم إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً (16) او از سخن و پیغام ما باز نشسـت و گـردن کشید.
سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (17) آری فرا سر او نشانم عذابی سهمگین سخت.
إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (18) او در اندیشید و باز انداخت با خود.
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) بنفریدند او را چون باز انداخت با خود.
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) و باز نفریدند او را چون باز انداخت با خود.
ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (22) پس نگرست
و روى ترش كرد و ناخوش.
ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (23) انگه پشت برگردانید و گردن کشید.
فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) و گفت: این نیست مگـر جـادویی کـه از کسـی می و از گویند و میآموزند.
إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) نیست این مگر قول مردمان.
سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) آری سوختن را بسقر رسانیم او را.
وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ (27) و چه دانا كرد ترا و چون نيك دانى كه سقر چيست؟
لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ (28) نه گوشت گذارد ناسوخته و نه استخوان.
لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) روی و پوست و دست و پای سیاه میکند و مسوزد.
عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ (30) بر تاویدن دوزخ و عذاب کردن اهـل آن را از فریشـتگان نوزده سالار است.
وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً و دوزخ سازان جـز از فریشـتگان نیافریـدیم وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ و این شماره نوزده ایشـان نکـردیم. إِلَّا فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَـرُوا مگـر شـورانیدن دل ناگرویـدگان را. لِيَسْـتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتـابَ تـا بیگمـان گردنـد ایشان كه ایشان را تورات دادند. وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً (31) و مؤمن بپـذيرد

تا بر ایمان ایمان افزاید. وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ (32) و نه تورات خوانان را گمان ماند و نه قرآن خوانان را وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكافِرُونَ و تا منافقان بیماردلان گویند و ناگرویدگان ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا (33) این سخن بر چه سان است که اللّه میگوید كَذلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ آری چنان گمراه کند آن را که خواهد و راه نماید آن را که خواهد. وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ و شمار سپاه خداوند تو جز از خداوند تو نداند. وَ ما هِيَ إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ (34) و نیست دوزخ و سخن آن مگر پند مردمان را.
«كَلَّا» براستی که نه چنانست که ایشان میگویند وَ الْقَمَرِ (35)
وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (36) بماه و بشب تاريك كه از پس روز میآيد.
وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (37) و بامداد که روشن شود.
إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ (38) باین سوگندان که دوزخ از بزرگها و مهینها یکی است.
نَذِيراً لِلْبَشَرِ (39) بیم نمودنی مردمان را.
لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ هر کس را که خواهد از شما أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (40) هر که پای فرا پیش نهد یا پای با پس نهد.
كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ هر تنی بکرد خویش گروگان است.
إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ (41) مگر اصحاب راست دست.
فِي جَنَّاتٍ ایشان در بهشتهااند يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ (42) می پرسند از دوزخیان.
ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (43) چه چیز شما را در دوزخ کرد.
قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (44) گویند: ما از نماز گران نبودیم.
وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (45) و درویش را طعام ندادیم.
وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ (46) و با خداوندان باطل در باطل میرفتیم.
وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (47) و روز شمار دروغ زن میگرفتیم.
حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ (48) آن گه که کی بی گمان بما آمد.
فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ (49) فردا سود ندارد ایشان را شفاعت شفاعت خواهان.
فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (50) چه رسیدست ایشان را که از چنین پند روی گردانیده دارند
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (51) گویی خرانند رمانیده و ترسانیده
فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (52) که از شیر گریخته یا در دشت از صیاد گریخته.
بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ بلکه میخواهد هر یکی از مشرکان قریش أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (53) که ببالین هر یکی نامهای بنهند گشاده و مهر برگرفته.
«كَلَّا» نبود و نکنند این بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ (53) بلکه ایشان از رستاخیز نمیترسند.
كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ براستی که این پند دادنی است و در یاد دادنی.
فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (54) تا هر که خواهد آن را یاد دارد و یاد کند.
وَ ما يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و یاد نکنند و یاد ندارند مگر که اللَّه خواهد، هُوَ أَهْلُ التَّقْوى او بجای آنست و سزای آنست که بپرهیزند از معصیت او وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (55) و بجای آنست و سزای آنست که بیامرزد او را که معصیت کند.
النوبة الثانية
این سوره هزار و ده حرفست، دویست و پنجاه و پنج کلمت، پنجاه و شش آیت.

جمله به مكّه فرو آمده باجماع مفسّران. و درين سوره يك آيت منسوخ است: ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً در شأن وليد بن المغيرة فرو آمد، على الخصوص، پس حكم آن عام گشت در وليد و در غير او، آن گه منسوخ گشت بآيت سيف. و عن ابىّ ابن كعب قال: قال رسول اللّه (ص): «من قرأ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمّد و كذّب به».
يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ هذا خطاب النّبي (ص) و الْمُدَّثِّرُ المتدثّر ادغم التّاء في الدّال لقرب مخرجيهما. و السّبب فيه
انّ رسول اللّه (ص) كان يذهب الى حراء قبل النّبوّة، فلمّا رأى جبرئيل (ع) في الهواء اوّل ما بدا له رجع الى بيت خديجة و قال: «دثّرونى دثّرونى» فتدثّر بثوبه. قيل: القى عليه قطيفة فنزل جبرئيل و قال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ بثيابه.
و هذه السّورة من اوائل ما انزل من القرآن. قال يحيى بن ابى كثير: سألت ابا سلمة بن عبد الرّحمن عن اوّل ما نزل من القرآن. فقال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قلت: يقولون: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؟!
فقال ابو سلمة: سألت جابر بن عبد اللّه عن ذلك. قلت له: مثل الّذى قلت، فقال جابر: لا احدّثك الّا ما حدّثنا رسول اللّه (ص)، قال: جاورت بحراء شهرا فلمّا قضيت جوارى هبطت فنوديت، فنظرت عن يمينى فلم ار شيئا. و نظرت عن شمالى فلم ار شيئا. و نظرت خلفى فلم ار شيئا، فرفعت رأسى فاذا هو على العرش في الهواء.
قال اهل التّفسير يعنى جبرئيل (ع). و في بعض الرّوايات رفعت رأسى فاذا الرّبّ عزّ و جلّ على العرش فاتيت خديجة فقلت: «دثّرونى دثّرونى» قال: فدثّرونى فنزلت يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ و عن ابن شهاب قال: سمعت ابا سلمة، قال: اخبرنى جابر بن عبد اللّه انّه سمع رسول اللّه (ص) يحدّث عن فترة الوحى: «فبينا انا امشى سمعت صوتا من السّماء فرفعت بصرى، فاذا الملك الّذى جاءنى بحراء قاعد على كرسىّ بين السّماء و الارض فجئت منه رعبا حتّى هويت الى الارض، فجئت اهلى فقلت: زمّلونى زمّلونى، فزمّلونى فانزل اللّه يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ الى قوله: فَاهْجُرْ.
قيل: معناه لا تنم عمّا امرتك به و لا تستعمل الهوينا فيه بل قم و ارفض الرّاحة و بلّغ الرّسالة و انذر الكفرة موضع المخافة ممّا هم عليه ليتّقوه بطاعتى و انذرهم عذاب اللّه و وقايعه في الامم الخالية. و قيل: اشتقاق المدّثّر من الدّثار و هو الثّوب على البدن و الشّعار ما تحته، فكانّه لمّا آذاه قريش رجع الى بيت خديجة فتدثّر بثيابه استراحة الى النّوم من الغمّ. فقيل له: ايّها الطّالب صرف الاذى بالدّثار اطلبه بالانذار. و قال عكرمة: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ بالنّبوّة و اثقالها قد تدثّرت هذا الامر فقم به.
وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ ايّاه فقدّس و شأنه فعظّم حتّى يصغر عندك في عظمته العدوّ و كيده و ما يعبد دونه.
وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ قال قتادة و مجاهد: اى نفسك فطهّر من الذّنب، فكنى عن النّفس بالثّوب و هذا في كلام العرب كثير. يقال في وصف الرّجل بالصّدق و الوفاء: انّه طاهر الثّياب، و لمن غدر: انّه لدنس الثّياب. قال الشّاعر:

و انّى بحمد اللّه لا ثوب فاجر ... لبست و لا من غدرة اتقنّع

و قال آخر يمدح رسول اللّه (ص):

ضخم الدّسيعة من ذوابة ... قدما تازر بالمكارم و

و من هذا الباب
قول رسول اللّه (ص): «الكبرياء رداؤه، و العظمة ازاره»، و قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «سبحان من تعطّف بالعزّ»
و العطاف الرّداء. و سئل ابن عباس عن قوله تعالى: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ فقال: لا تلبسها على معصية و لا على غدر. و قال ابىّ بن كعب لا تلبسها على غدر و لا على ظلم و لا اثم، البسها و انت برّ طاهر و قال الضّحاك: وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ اى عملك فاصلح، و في الخبر عن النّبي صلّى اللّه عليه و سلّم: «يحشر المرء في ثوبيه اللّذين مات فيهما»
يعنى: عمله الصّالح او الطّالح. و قال سعيد بن جبير: كنى بالثّياب عن القلب، و المعنى: و قلبك و نيّتك فطهّر عمّا سوى اللّه. و قال الحسن: معناه: و خلقك فحسّن، و في الخبر: «حسّن خلقك و لو مع الكفّار تدخل مداخل الأبرار».
و قيل: معناه: و اهلك فطهّرهم من الخطايا بالوعظ و التّأديب، و العرب تسمّى الاهل ثوبا و لباسا، قال اللّه تعالى: هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ. و قال ابن سيرين و ابن زيد امر بتطهير الثّياب من النّجاسات الّتى لا يجوز الصّلاة معها و ذلك انّ المشركين كانوا لا يتطهّرون و لا يطهّرون ثيابهم. و قال طاوس: معناه: و ثيابك فقصّر. فانّ تقصير الثّياب تطهير لها. قوله: وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ. قرأ ابو جعفر و حفص عن عاصم و يعقوب وَ الرُّجْزَ بضمّ الرّاء و قرأ الآخرون بكسرها. و هما لغتان بمعنى واحد، و المراد بالرّجز: الاوثان، اى اهجرها و لا تقرّبها. و قيل: الرُّجْزَ بالضّمّ: الاوثان، و بالكسر: العذاب، اى اجتنب المعاصى و كلّ ما يقضى الى العذاب. و قيل: الرّجز الشّيطان اى لا تطعه.
وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ اى لا تعط عطيّة لتعطى اكثر منها و هذا نهى تحريم للنّبى (ص) خاصّة و لغيره على جهة النّدب و الاستحباب: و قيل: معناه: لا تستكثر عملك فتكون منّانا به، انّما عملك من اللّه منّة عليك، و قيل: لا تمنن بالنّبوة على النّاس فتأخذ عليها اجرا و عرضا من الدّنيا. و قيل: لا تضعف ان تستكثر من الخير. دليله قراءة ابن مسعود: و لا تمنن ان تستكثر.
وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ اى فاصبر على طاعته و اوامره و نواهيه لاجل ثواب اللّه. و قيل: فاصبر على ما اوذيت في ذات اللّه، و قيل: لوعد اللّه و لوجه اللّه. فاصبر على اداء الرّسالة و تعليم الحقّ. و قيل: فاصبر تحت موارد القضاء لاجل اللّه.
فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ اى نفخ في الصّور و هو القرن الّذى ينفخ فيه اسرافيل يعنى النّفخة الثّانية الّتى يحيى عندها النّاس فذلك يعنى ذلك النّفخ.
يَوْمَئِذٍ يعنى: يوم القيامة يَوْمٌ عَسِيرٌ شديد على الكافرين يعسر فيه الامر عليهم غير يسير غير هيّن.
ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومى، اى لا تهتمّ لاجله و كل امره الىّ و قوله: خَلَقْتُ وَحِيداً. فيه وجهان. احدهما: خلقته وحدى لم يشاركنى في خلقه احد فيكون وَحِيداً نصبا على الحال. و الثّاني، خلقته وحده لا ناصر له معه و لا مال له و لا ولد. فيكون نصبا بوقوع الخلق عليه. و قيل: وحيدا لغير رشدة كما نزل فيه زنيم اى ملحق بالقوم ليس منهم. و قال «الحسن» كان يسمّى الوحيد في قومه.
وَ جَعَلْتُ لَهُ مالًا مَمْدُوداً اى كثيرا له مدد يأتى شيئا بعد شىء من العروض و الذّهب و بساتينه الّتى بالطّائف. قال مقاتل: كان له بستان بالطّائف لا تنقطع ثمارها شتاء و لا صيفا. و قيل: المال الممدود: الانعام تنمى بالنّتاج و تمدّد في

الارض بالرّعي. و قيل: ارض مغلّة لا تنقضى لها غلّة حتّى تأتى لها اخرى.
وَ بَنِينَ شُهُوداً اى حضورا معه بمكّة يستمتع برؤيتهم و يستمتعون به لا يغيبون عنه في طلب المعاش لغناه. و قيل: «شهودا» اى نجباء يشهدون مواضع الفخار و بقاع النّزال اذا ذكر ذكروا معه و كانوا عشرة. و قال مقاتل: كانوا سبعة، و هم الوليد بن الوليد، و خالد، و عمارة، و هشام، و العاص، و قيس، و عبد شمس اسلم منهم ثلاثة: خالد، و هشام، و عمارة.
وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً اى بسطت له من العيش و طول العمر في صحّة من البدن مع الرّياسة في قومه. و قيل: التّمهيد تسهيل التّصرف في الامور.
ثُمَّ يَطْمَعُ تقديره فعاند و كفر ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ فحذف لان اوّل الكلام يدلّ عليه، اى يطمع ان ادخله الجنّة، و قيل: يطمع ان أزيده من المال و الولد.
«كَلَّا» ردع و زجر، اى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر و المزيد من النّعم فلم يزل بعد نزول هذه الآيات في نقصان من المال و الجاه و الولد و مات فقيرا.
إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً معاندا جاحدا لها.
سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً الارهاق التّحميل و التّكليف و الصّعود العذاب الشّاقّ، و المعنى: ساكلّفه مشقّة من العذاب لا راحة فيها. و في الخبر يكلّف ان يصعد عقبة في النّار ملساء، فاذا وضع يده عليها ذابت، فاذا رفعها عادت، و اذا وضع رجله ذابت، و اذا رفعها عادت. و قيل: يجذب من امامه بسلاسل الحديد. و يضرب من خلفه بمقامع الحديد، فيصعدها في اربعين عاما، فاذا بلغ ذروتها رمى به الى اسفلها فذلك دابه ابدا.
إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ سبب نزول اين آيات بقول مفسّران آن بود كه: جبرئيل (ع) فرو آمد و سورة حم تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ الى قوله: إِلَيْهِ الْمَصِيرُ فرو آورد، و رسول خدا (ص) در مسجد باز ميخواند و وليد مغيرة قراءت رسول (ص) مشنيد. رسول چون بدانست كه وليد منيوشد آواز بركشيد و آيت باز ميخواند. وليد را آن عجب آمد، بقوم خويش بنى مخزوم باز گشت، سرگردان و متحيّر، ايشان را گفت: و اللّه كه از محمّد اين ساعت سخنى شنيدم كه نه سخن آدميان بود و نه سخن پريان، نه هيچ بشر طاقت دارد كه چنان سخنان گويد، انّ له لحلاوة و انّ عليه لطلاوة و انّ اعلاه لمثمر و ان اسفله لمعذق و انّه يعلو و ما يعلى.
شيرين سخنى پر آفرين! سخنى كه آن را شكوهى است و رونقى. بالاش چون درخت ميوه دار زيرش چون چشمه آب حيات. بر هر سخنى بالا افتد و هيچ سخن بر بالاى وى نرسد. آن گه سرگردان بخانه خويش باز شد. قريش گفتند: و اللّه كه وليد صابى گشت، و او مهتر قريش است، اكنون همه قريش صابى شوند، دين خود بگذارند و بدين محمّد باز گردند. و كان يقال للوليد ريحانة قريش. اين خبر به بو جهل رسيد، برخاست و بيامد غمگين و اندوهگن. وليد گفت: ما لى اراك حزينا يا بن اخى؟ چه افتادست كه ترا بس حزين و غمگين مبينم؟ بو جهل گفت: و ما يمنعنى ان لا احزن؟
چرا غمگين نباشم و قريش ميگويند: تو سخنان محمّد را پسند ميدهى و آن را بزرگ ميدارى و ثنا مگويى تا از فضله طعام ايشان بهرهاى بردارى! اگر چنين است تا هم قريش فراهم شوند و ترا كفايتى حاصل كنند، تا از طعام ايشان بى نياز شوى؟! وليد چون اين سخن از بو جهل بشنيد، در خشم شد گفت: الم تعلم قريش انّى من اكثرهم مالا و ولدا؟ قريش را معلوم نيست كه در عرب از من توانگرتر بمال و فرزند كس نيست؟ ده فرزند دارم هر يكى كان سخاوت و

معدن جود و این اصحاب محمّد خود هرگز از طعام سیر نشوند و از فقـر وفاقـه هرگز نیاسایند، چه صورت بندد که ایشان را فضله طعام بـود تـا بـدیگری دهنـد! پس هر دو برخاستند و بانجمن قـریش شـدند. ولیـد گفت: شـما کـه قـریش ایـد بدانید که حال و کار این محمّد در عـرب منتشـر گشـت و موسـم نزدیـك اسـت. عرب آیند و از حال وی پرسند، جواب ایشان چه خواهید داد؟ اگـر گوئیـد دیوانـه است، شما را دروغ زن کنند، که سـخن وی سـخن عـاقلان اسـت و از جنـون در وی هیچیز نیست، و اگر گوئید شاعر اسـت، عـرب شـعر نیکـو داننـد و شناسـند، دانند که سخن وی شعر نیست و شما دروغ زن شوید. و اگر گوئید کاهن اسـت، ایشان دانند که در سخن کاهنان ذکر اللّه نبود و ان شاء اللّه نگوینـد و محمّـد ان شاء اللّه بسیار گوید. و اگر گوئید کذّاب است ایشـان قبـول نکننـد کـه از محمّـد هرگز دروغ نشنیدهاند و در عرب معروفست که هرگز دروغ نگویـد، پس قـریش گفتند: اکنون رای تو چیست؟ یا ابا المغیرة؟ تو چه گـویی و سـخنان وی بـر چـه نهی؟ او در خود افتاد و تفکّر میکرد و با خود میانداخت که در کار وی چـه تقـدیر کند و چه گوید؟! اینست که ربّ العالمین گفت: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَـدَّرَ تفكّـر في نفسـه ما يقول فيه و قدّر في نفسه ما ذا يمكنه ان يقـول فيـه. و في القـرآن قـال اللّه عزّ و جلّ: فَقُتِلَ ای لعن و عذّب و عوقب كَيْفَ قَدَّرَ.

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ استفهام على وجه التّعجيب و الانكار، و التّكرار للتّأكيد.

و قيل: احدهما لتقديره القول في محمّد و الثّاني لتقديره و القول في القـرآن. و قيل احدهما لنفيه عنه الجنون و الكهانة و الشّعر و الكذب لا على وجـه قصـد بـه الايمان و الثّاني لاثبات صفة السّحر له.

ثُمَّ نَظَرَ فيما قدّر معجبا بذلك نظرة تفكّر.

ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ ای قبض ما بين عينيه و اظهر الكراهية في وجهه حيث عجز عن القول فيهما. و قيل: تكرّها في وجوه المؤمنين.

ثُمَّ أَدْبَرَ ای ولّى الى قومه وَ اسْتَكْبَرَ ای تكبّر عن الايمان.

فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ای ما هذا الّذى يقوله محمّدا الّا سحر يروى، ای يأثره قوم عن قوم. قالوا له: و مـا السّـحر؟ قـال: شـىء يكـون في النّـاس عن علمـه فرّق به بين المرء و زوجه، اما رأيتموه فرّق بين فلان و اهله، و بين فلان و ولـده و بين فلان و اخيه و بين فلان و مواليه، فذلك قوله: إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُـؤْثَرُ. و ابـو نهيكة يأتيه به من مسيلمة الكذّاب. و قيل: يرويه محمّد عن جبير و يسـار و قيـل عن اهل بابل.

إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ای ما هذا الّا قول البشـر تعلّمـه من غلام رومى يكـنى ابـا نهيك كقوله: «إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» قال اللّه تعـالى: سَأُصْـلِيهِ سَـقَرَ سـقر اسـم من اسماء جهنّم. و قيل: اسم للدّرك الرّابع منها و اشتقاقه من سقرته الشّـمس، ای اذا بته.

وَ ما أَدْراكَ ما سَقَرُ تفخيم لشأنها.

لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ ای لا تبقى لحما و لا تذر عظما الّا اكلته و حطمته.

و قيل: لا تبقى حيّا و لا تذر ميّتا كقوله: «لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى».

لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ای مسـوّدة لهـا. و قيـل: تحـرق الجلـد حتّى تسـوّده و البشـر جمـع بشرة و هي ظاهر الجلد. يقال: لاحته الشّمس و لوّحته اذا غيّرته.

قـال ابن كيسـان: تلـوح لهم جهنّم حتّى يروهـا عيانـا كقولـه: «وَ بُـرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ».عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ ای على سقر من الخزنة تسعة عشر، و قيـل: تسـعة عشر صنفا من الملائكة، و قيل: تسـعة عشـر صـنفا منهم. و قيـل: تسـعة عشـر

ملكا مالك و معه ثمانية عشر جاء في الاثر اعينهم كالبرق الخاطف و انيابهم كالصّياصى يخرج لهب النّار من افواههم ما بين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرّحمة، يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم. و قال عمرو بن دينار: انّ واحدا منهم يدفع بالدّفعة الواحدة في جهنّم اكثر من ربيعة و مضر. فلمّا نزلت هذه الآية قال ابو جهل: زعم ابن ابى كبشة انّ خزنة النّار تسعة عشر و انتم الدّهماء أ فيعجز كلّ عشرة منكم ان يبطشوا بواحد من خزنة جهنّم. فقال ابو الاشدّين كلدة بن خلف الجمحىّ، و كان يوصف بالقوّة: انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى و سبعة على بطنى فاكفونى انتم اثنين، و روى انّه قال: انا امشى بين ايديكم على الصّراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن و تسعة بمنكبى الايسر في النّار و نمضى ندخل الجنّة فانزل اللّه عزّ و جلّ: وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ اى خزنة اصحاب النّار، فحذف المضاف الى ملائكة لا رجالا آدميّين فمن ذا الّذى يغلب الملائكة و الواحد منهم يأخذ ارواح جميع الخلق. و للواحد منهم قوّة الثّقلين، هذا كقوله: «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ» وَ ما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ اى عددهم في القلّة إِلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اى ضلالة لهم حتّى قالوا فيهم ما قالوا. و قيل: محنة ليظهر ما يقول كلّ واحد منهم و يعتقده.
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لانّه مكتوب في التّورات و الانجيل انّ خزنة جهنّم تسعة عشر. و قيل: ليستيقنوا انّ محمّدا نبىّ صادق حين اخبرهم بما يوافق كتبهم و هو امّىّ لا يكتب و لا يقرأ من الكتاب. وَ يَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيماناً يعنى: من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد (ص) و يزدادوا يقينا الى يقينهم وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ اى لا يشكّوا في انّ عددهم على ما اخبر به محمّد (ص) عن الوحى و انّ القرآن وافق ما في كتابهم.
وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اى شكّ و نفاق. و قال الحسين بن الفضل: المرض في هذه الآية الخلاف لا النّفاق لانّ السّورة مكيّة و لم يكن حينئذ نفاق. وَ الْكافِرُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلًا انّما قالوا مشركو مكة و ليس في الآية مثل و لكنّهم استغربوا هذا العدد فقالوا: لعلّه مثل مضروب و في تخصيص خزنة النّار بهذا العدد اقوال، احدها: انّ جهنّم اطباق سبعة و مالك خازن النّار في الطّبقة الاولى و فيها المذنبون من المؤمنين فيرفق بهم الى ان يخلّصهم اللّه منها ثمّ في كلّ طبقة منها ثلاثة منهم يعذّبون اهلها بانواع العذاب و مجموعهم تسعة عشر، الثّاني بسم اللّه الرّحمن الرّحيم تسعة عشر حرفا. و عدد الزّبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكلّ حرف منها واحدا منهم و قد سبقت رحمته غضبه. الثّالث انّ ساعات اللّيل و النّهار اربع و عشرون ساعة، خمس منها جعلت للصّلوات الخمس و بقيت تسع عشرة ساعة فمن ضيّعها عذّب بتسعة عشر ملكا في النّار و من حفظها بذكر اللّه ذبّت كلّ ساعة عنه ملكا منهم. الرّابع جعل اللّه اوتاد الارض و هى الجبال تسعة عشر جبلا كذلك جعل اوتاد النّار تسعة عشر ملكا. و زعم هذا القائل انّ جبال الارض تسعة عشر و الباقى تشعّب عنها و قد عدّت جبال الارض المتشعّبة عنها فبلغت مائة و تسعين جبلا.
كَذلِكَ اى كما اضلّ اللّه من انكر عدد الخزنة و هدى من صدّق.
كَذلِكَ يُضِلُّ اللّهُ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ قال مقاتل: هذا جواب ابو جهل حين قال: اما لمحمّد اعوان الّا تسعة عشر.
قال عطاء: وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ، يعنى: من الملائكة الّذين خلقهم لتعذّب اهل النّار لا يعلم عدّتهم الّا اللّه، و المعنى: انّ تسعة عشرهم خزنة النّار و لهم من الاعوان و الجنود من الملائكة ما لا يعلمهم الّا اللّه عزّ و جلّ، و قيل: لا يعلم

جميـع الخلائـق كنههم و كيفيّتهم و كمّيّتهم الّا اللَّه عـزّ و جـلّ. يـروى في بعض الاخبار: انّ الآدميّين مائة و خمسة و عشـرون صـنفا: مائـة منهم في بلاد الهنـد و منهم يأجوج و مـأجوج و تـاريس و منسـك. لا يعلم عـددهم الّا اللَّه. كلّهم كفّـار و مصـيرهم الى النّـار. و اثنـا عشـر صـنفا في بلاد الـرّوم. منهم: النسـطوريّة، و اليعقوبيّة و الملكائيّة كلّهم كفّار و مصـيرهم الى النّـار و سـتّة اصـناف في ناحيـة المشرق منهم: التّرك خاقان و خلج و خزر و صقلاب و الرّوس و غور كلّهم كفّـار و مصيرهم الى النّار و ستّة اصناف في ناحية المغـرب، منهم الـزّنج و الحبش، و النّوبـة و النّبطيـة كلّهم كفّـار و مصـيرهم الى النّـار. و بقى جـزء واحـد و هم المؤمنون فالمؤمنون في الكفّـار كشـعرة بيضـاء في جنب ثـور اسـود، ثمّ جميـع الآدميّين في الجنّ جـزء واحـد من عشـرة اجـزاء ثمّ جميـع الآدميّين و الجنّ في الشّياطين جزء واحد من عشرة اجزاء ثمّ جميع الآدميّين و الجنّ و الشّياطين في ملائكة السّماء الدّنيا جزء من عشرة اجزاء. ثمّ جميع ما ذكرنا مع ملائكة السّـماء الدّنيا في ملائكة السّماء الثّانية جزء من عشرة اجزاء حتّى يبلغ سبع سماوات ثمّ جميع الآدميّين و الجنّ و الشّياطين و ملائكة سبع سماوات في الزّبانيـة جـزء من عشرة اجزاء ثمّ هؤلاء كلّهم في ملائكة الرّحمة جزء من عشـرة اجـزاء ثمّ هـؤلاء في الكرّوبيّين جزء من عشرة اجزاء ثمّ في الرّوحانيّين جـزء من عشـرة اجـزاء، ثمّ في الحـافّين جـزء من عشـرة اجـزاء ثمّ هـؤلاء في الـرّوح، و هم جنس من الملائكة جزء من عشرة اجزاء. هذا قول كعب الاحبار فقيل لكعب: ذكـرت جنـود اللَّه. و قال تعالى: وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ فضحك كعب و قال: اين انت؟ من قوله تعالى: وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ فخلق فوقنا خلقـا لا يـراهم احـد و خلـق تحتنـا خلقا لا يراهم احد، و في البر و البحر خلق لا يراهم احـد ثم رجـع الى ذكـر سـقر فقال. وَ ما هِيَ يعنى: النّار إِلَّا ذِكْرى لِلْبَشَرِ اى: الّا تذكرة و عظة للخلـق. و قيـل: يريد بها النّار الّتى في الدّنيا اى خلقت النّـار في الـدّنيا عـبرة و تـذكرة تـذكر بهـا النّار في الآخرة.

و قيل: يعنى الجنود ذكرى للبشـر ليس انّ اللَّه يحتـاج الى ناصـر و معين، تعـالى عن ذلك.

كَلَّا ردع لمن زعم انّ جنوده لحاجته اليهم. و قيـل: ردع لمن زعم انّـه يكفى امـر الخزنة فيخرج منها و هو ابو جهل و ابو الاشدّين. و قيل: معنى «كلّا» اى حقّـا «وَ الْقَمَرِ» اقسم بالقمر يعنى: الهلال بعد ثالثه.

وَ اللَّيْـلِ إِذْ أَدْبَـرَ قـرأ نـافع و حمـزة و حفص و يعقـوب «اذ» بغـير الـف «ادبـر» بالالف. و قرأ الآخرون «اذا» بالالف «دبر» بلا الـف. و دبـر و ادبـر لغتـان. يقـال: دبر اللّيل و ادبر اذا ولّى ذاهبا. و قيل: دبر انقضـى و ادبـر اى اخـذ في الادبـار. و قيل: دبر جاء بعد النّهار و في دبره يقال: دبرنى فلان و خلفنى، اى جـاء بعـدى و خلفى.

وَ الصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ اى أضـاء و تـبيّن انّهـا، يعـنى: انّ سـقر لاحـدى الكـبر و الكـبر العظائم واحدتها الكبرى و هي جماعة اطباق النّار جهنّم ثمّ لظى، ثمّ الحطمة، ثمّ السّعير. ثمّ سقر، ثمّ الجحيم، ثمّ هاوية، و قيل: انّ دركة سـقر و النّـار المـذكورة لاحد الدّواهى و انّها لكبيرة العذاب و قيل: انّ هذه الآيـة لاحـدى الكـبر بـذكر اليم عذاب اللَّه. و قيل: انّ تكذيبهم لمحمّد (ص) لاحدى الكبر، اى لكبيرة من الكبائر.

نَذِيراً لِلْبَشَرِ اى النّار لاحدى الكبر في حال الانذار و التّخويـف للبشـر و انّمـا ذكـر النّذير لانّه اراد به العذاب و يجوز ان يكون من بـاب النّسـبة، اى ذات انـذار لهم، كقولهم: امرأة طالق. و قيل: انّ نذيرا متعلّق باوّل السّـورة على معـنى: يـا أَيُّهَـا

الْمُدَّثِّرُ قم نذيرا اى منذرا للبشر.
لِمَنْ شاءَ بدل من قوله للبشر مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ في الخير و الطّاعة أَوْ يَتَـأَخَّرَ عنهـا في الشّرّ و المعصية و المعنى: انّ الانذار قد حصل لكلّ واحد ممّن آمن او كفـر.
و قيل: المشيّة متّصلة باللّه، اى لمن شاء اللّه أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ.
و هذا تهديد من اللّه و اعلام انّ من تقدّم الى الايمان لمحمد (ص) جوزى بثـواب لا ينقطع و من تأخّر عن الطّاعة و كذب محمدا عوقب عقابا لا ينقطع.
كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ اى مرتهنة في النّـار بكسـبها مـأخوذة بعملهـا و قيـل: عنـد الحسـاب مرهونـة بعملهـا امّـا يخلّصـها و امّـا يوبقهـا ثمّ اسـتثنى فقـال: إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ فانّهم ليسوا مرتهنين بذنوبهم في النّـار و لكن يغفرهـا اللّه لهم و هم الّذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق حين قال لهم اللّه: هـؤلاء في الجنّـة و لا ابالى. و قيل: هم الّذين يعطون كتبهم بايمانهم. و قال الحسن: هم المسـلمون المخلصون. و قال على بن ابى طالب (ع): هم اطفال المسلمين.
و قال ابن عباس: هم الملائكة. و قيل: كلّ نفس مأخوذة بكسبها من خير او شـرّ الّا من اعتمد على الفضل.
فكلّ من اعتمد على الكسب فهو رهين بـه. و من اعتمـد على الفضـل فهـو غـير مأخوذ.
فِي جَنَّاتٍ يَتَسـاءَلُونَ عَنِ الْمُجْـرِمِينَ اى يسـألون الملائكـة. و الملائكـة يسـألون المجرمين: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ اى ما ادخلكم في سقر فاجابوا.
و قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ للّه يعنى. الصّلوات المفروضة اى لم نعتقد وجوبهـا و فرضها.
وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ كانوا يقولون: «أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ».
وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ اى كنّا نشرع في الباطل مع الشّارعين فيـه، اى كلّمـا غوى غاو بالدّخول في الباطل غوينا معه. قـال عبـد اللّه: اكـثر النّـاس ذنوبـا يـوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل. و قـال النّـبي (ص): «اكـثر النّـاس ذنوبـا يـوم القيامة اكثرهم خوضا في معصية اللّه».
وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ اى بيوم الجزاء.
حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ و هو الموت، و قيل: البعث و اليقين: العلم الّذى معه يوجـد ثقـة القلب. و قيل: اصحاب النّار يومئذ اربعة اصناف و كلّ واحد من هذه الاربعة كلام صـنف منهم. قـال اللّه تعـالى: فَمـا تَنْفَعُهُمْ شَـفاعَةُ الشّـافِعِينَ اى ليس لهم من الملائكة و النّاس شفيع. قـال عبـد اللّه بن مسـعود: يشـفع الملائكـة و النـبيّون و الشّهداء و الصّالحون و جميع المؤمنين فلا يبقى في النّـار الّا اربعـة ثمّ تلا: قـالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الى قوله: بِيَوْمِ الدِّينِ و قال عمـران بن الحصـين: الشّـفاعة نافعة لكـلّ احـد دون هـؤلاء الّـذين تسـمعون و عن انس قـال: قـال رسـول اللّه (ص): «يصف اهل النّار فيعذّبون، قال: فيمرّ بهم الرّجـل من اهـل الجنّـة فيقـول الرّجل منهم: يا فلان اما تعرفنى؟ انا الّذى سقيتك شربة، و قال بعضهم: انا الّذى وهبت لك وضوءا فيشفع له فيدخله الجنّة يوم القيامة».
و في رواية اخرى قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «يقول الرّجل من اهل الجنّة يـوم القيامة»
اى ربّ عبدك فلان سقانى شربة من ماء في الدّنيا فيشفّعنى فيه فيقـول: اذهب فاخرجه، فيذهب حتّى يخرجه منهـا» و قـال ابن عبـاس: انّ محمـدا (ص) يشـفع ثلاث مرّات ثمّ تشفع الملائكة ثمّ الانبياء، ثمّ الآبـاء ثمّ الأبنـاء ثمّ يقـول اللّه عـزّ و جلّ: بقيت رحمتى و لا يدع في النّار الّا من حرمت عليه الجنّة.

فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ اى عن تذكيرك ايّاهم بالقرآن معرضين و الاعراض عن القرآن من وجهين: احدهما: الجحود و الانكار، و الآخر: ترك العمل بما فيه و قيل: التّذكرة الاسلام و النّبي عليه الصّلاة و السّلام. و «معرضين» نصب على الحال.
كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ جمع حمار مُسْتَنْفِرَةٌ قرأ نافع و ابن عامر بفتح الفاء و قرأ الآخرون بكسرها، فمن فتح فمعناه منفّرة مذعورة و من كسر فمعناه نافرة نفر و استنفر، بمعنى واحد، كما يقال: عجب و استعجب.
فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ يعنى: الاسد. و قيل: كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ يعنى: العير في البرّيّة نافرة فرّت من الرّماة الّذين يتصيّدون. و عن ابن عباس قال: القسورة ركز النّاس اى صوتهم و حسّهم. و قيل: القسورة سواد اوّل اللّيل و لا يقال لسواد آخر اللّيل قسورة. و قيل: كلّ ضخم شديد عند العرب، فهو قسورة و بهذا فسّر زيد بن اسلم اى فرّت من رجال اقوياء. و قيل: القسورة حبال الصّيادين.
قوله: بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً هذا جواب الّذين قالوا: لن نؤمن لرقيّك حتّى تنزل علينا كتابا نقرأه كما سألته اليهود ان ينزّل عليهم كتابا من السّماء. و قال ابن عباس: كان المشركون يقولون: ان كان محمّد صادقا فلتصبح عند رأس كلّ رجل منّا صحيفة فيها براءة من النّار كما كان عند رأس كلّ رجل من بنى اسرائيل صحيفة فيها براءة من النّار كما كان عند رأس كلّ رجل من بنى اسرائيل صحيفة فيها ذنبه و كفّارته اذا اصبح. قال مطر الورّاق: كانوا يريدون ان يؤتوا براءة بغير عمل. و قيل: كانوا يقولون: يا محمّد ان سرّك ان نتّبعك فاتنا بكتب من اللّه فيها من اللّه الى فلان بن فلان ان اتّبع محمّدا و الصّحف: الكتب، و هى جمع الصّحيفة و منشّرة: منشورة مبسوطة، فقال اللّه عزّ و جلّ: كَلَّا ردع عن اقتراح الكتب. و قيل: اعلام انّهم لا يؤمنون و ان جاءهم الكتاب كقوله: وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ... الآية. بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ اى لا يخافون عذاب الآخرة و لا يقدّرون وقوعها و كونها، و المعنى: انّهم لو خافوا النّار و عذاب الآخرة لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلّة. كَلَّا ردع و قسم، اى حقّا انّه تذكرة، اى القرآن تذكير للخلق وعظة.
فَمَنْ شاءَ اتّعظ به و ذَكَرَهُ اذ يسّره للخلق.
وَ ما يَذْكُرُونَ قرأ نافع و يعقوب تذكرون بالتّاء، و الآخرون بالياء، اى لا يؤمنون الّا بمشيّة اللّه و ارادته. قال مقاتل: لا يذكرون الا ان يشاء اللّه لهم الهدى هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ اى اهل ان تتّقى محارمه و اهل ان يغفر لمن اتّقاه. و قيل: اهل ان يتّقى فلا يعصى و اهل ان يغفر لمن عصى.
روى عن ثابت عن انس: انّ رسول اللّه (ص) قال في هذه الآية: هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ قال ربّكم عزّ و جلّ: انا اهل ان اتّقى و لا يشرك بى غيرى و انا اهل لمن اتّقى ان يشرك بى ان اغفر له.
و روى عن عبد القدّوس بن بكر قال: سمعت محمد بن النضر الحارثى يذكر في قوله عزّ و جلّ هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ قال: انا اهل ان يتّقينى عبدى فان لم يفعل كنت انا اهلا ان اغفر له.

النوبة الثالثة

قوله تعالى، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ:

محوت اسمى و رسم جسمى	و غبت عنّى و دمت انتا
و في فنايى فنى فنايى	و في ورائى وجدت انتا
	در نفى تو اثبات تو مرتد

تا خاك تو از باك تـو مفـرد نشـــــــــــود توحيـد تـو از شـرك مجـرّد نشـــــــــــود
تا فقر و غنا هـر دو تـرا ردّ نشـــــــــــود.

از هر دو سراى سرّ خويش مجـرّد كن، تـا گـردى از ميـدان درگـاه بسـم اللَّه بـر رخسار روزگارت نشيند و سعيد ابد گردى هر چه معانى بشريّت است و انديشـه طبيعت در آتش محبّت بسوزد، تا چون نام او گـويى سـينه تـو از حـديث او خـبر دارد. يك قدم از خود فرا نه، تـا جمـال اين نـام نقـاب عـزّت بگشـايد و بـر دلت متجلّى شود.
اندوه و شادى اين نام بود كـه بـر تخت سـليمان تـافت تـا جنّ و انس و طيـور و وحوش كمر خـدمت وى بربسـتند شـطيّهاى از حقيقت اين نـام بـر كنگـره طـور تافت. طبق طبق از هم فرو ريخت. حشمت اين نام روز قيـامت رسـول خـدا را گويد: تو با شفاعت گرد ايشان گرد كه با ما شمار ندارند و اينان را بما بگذار كه ما ايشان را جمله در حمايت خود ميـداريم. آن سـوختگان اهـل توحيـد، عاصـيان مفلس، قدم در آتش نهند و گويند: «بسم اللَّه» آتش ميگريزد و ميگويد: «جز يـا مؤمن فقد اطفأ نورك نارى».
قوله يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ اى مركز اقبال و منبـع افضـال، اى مطلـع جمـال و مختـار ذو الجلال، اى چادر بشريّت در سر كشيده و در گليم انسانيت پوشيده شده، اگـرت قرب ما آرزوست «قُمْ» بنا و اسقط عنك ما سوانا، از خود برخيز و از برخاستن خود برخيز در حريم عزّت ما گريز. چادر بشريّت از خود بـاز كن. گليم انسـانيّت از راه دل بردار تا دل صـحرايى شـود، مـرغ وار در عـالم ارادت بـر هـواء طلب پرواز كند، بآشيان قرب رسد.
بزرگى را پرسيدند كه: معنى قرب چيست؟ اگر قرب بنده مـر حـق را مىگـويى، عبارت از او آسانست و اشارت بدو روان، خدمتى است در خلوت از خلق نهان، مكاشفتى در حقيقت از فريشته نهان، استغراقى در صحبت از خود نهان. و اگـر قرب حقّ مر بنده را مىگويى، آن نه بطاقت گفتارست و نه عبـارت و اشـارت را بدو راهست جز آن نيست كه خود ميگويد جلّ جلاله: «فَإِنِّي قَرِيبٌ» من ناجسـته و ناخوانده و نادريافته نزديكم در نزديكى من سياهى چشم از سپيدى دور اسـت و من از آن نزديكـترم نفس از لب دور اسـت، و من از آن نزديكـترم نـه بحـرز عقل تو نزديكم كه بنعت خود در اوّليت خود در صفت خود نزديكم.
پير طريقت گفت: «اگر مردمان نـور قـرب در عـارف بيننـد، همـه بسـوزند، ور عارف نور قرب در خود بيند بسوزد. علم قرب در ميان زبان و گوش نگنجد، كـه آن راهى تنگ است و از همراهى آب و گل زبان قرب را ننگ است، هـر گـه كـه قرب روى نمود عالم و آدم را چه جاى درنگ است:

تا با تو تويى، ترا بـدين حـرف چـــــــــه كـــــــــار؟ كين عين حياتسـت وز عـالم بـــــــــــــــيزار!.

يا أَيُّهَا الْمُـدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْـذِرْ اى جبرئيـل امين و اى كرّوبيـان سـماوات و اى مقرّبـان درگاه، آفرينش را بشارت دهيد كه محمد مصطفى را (ص) لباس نبوّت پوشيدند و بر مركب رسالت نشاندند. اى آسمان تو قنديلها بيفـروز. اى بيت المعمـور تـو محراب اهل ايمان گرد. اى كعبه معظّم محترم تو قبله سپاه اهل اسلام شو. اى خاك زمين تو مسجد اهل «لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» شو كـه آن مهـتر عـالم را و سـيّد ولـد

آدم را باین خطاب تشریف مخصوص کردند که: یا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ و نگر تـا ظنّ نبری که پیش ازین خطاب پیغمـبر نبـود کـه میگویـد، صـلوات اللّه و سـلامه علیه: «کنت نبیّا و آدم بین الماء و الطّین و الرّوح و الجسد».
هنوز نه آب و نه خاك که تخت عهد دولت نبوّت نهاده و مهـتر صـلّی اللَّه علیـه و سلّم بر آن تخت نشسـته، و ارواح صـد و بیسـت و چهـار هـزار پیغـامبر بخـدمت ایستاده و این چهار سرهنگ که خاصـگیان درگـاه نبوّتانـد، صـدّیق و فـاروق و ذو النّورین و مرتضی (ع) صف کشیده پیش خدمت آن مهتر، و گفت: یا ایمـان پـاك بحجره دل صدیق فرو آی و پوشیده مباش تا او در اصـلاب میگـردد. و چـون مـا سر از میان خاك حجاز برآریم، تو از حجره سینه صدّیق بر بالای زبان او آی و بـا ما عهد درست کن، پیش از آنکه جهانیان بدانند تـا مـا این تـاج کـرامت بـر فـرق صدّیق نهیم که «خلقت انا و ابو بکر من طینة واحدة فسبقت بـالنّبوة فلم یضـرّه و لو سبقنی بها لم یضرّنی».
و یا عزّ اسلام تو کمر شجاعت بر بند و بسینه عمر فرو آی و با ما باش صـلح ده تا این طغرا بر روزگار او کشیم که: «لو لم ابعث لبعثت یا عمر».
و یا اخلاص تو تاج حیا بر سر نه و کمر رضا بر بند و بسینه عثمان فرو آی تا بدار دنیا در عالم بیعت بـداریم و این رقم کشـیم کـه: أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُـونَ حَقًّا. و ای علم تو لباس عقل درپوش و در صومعه دل علی شو، بر قدم انتظـار مبـاش تـا فردا که عقل انبیاء از در حجره ما درآید، ما درو نگاه کنیم، او از علم آیینه سازد و از عقل دیده، و درین آیینه نگاه کند، ما را باز شناسد و ما او را این توقیع زنیم که: «انت منّی بمنزلة هارون من موسی».
قوله: وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ یا محمّد خداوند خود را بزرگوار دان و بزرگوار شـناس، بـذات از همه چیزها و بقدر از همه نشانها برتر، و بعزّ از همه انـدازهها زبـر. یـا محمـد همه قدرها در مقابله قـدر او غـدر بین، همـه جلالهـا در عـالم جلال او زوال دان، همه کمالها در جنب کمال او نقصان و همه دعویها تاوان، که بـا کمـال او کس را کمال نیست، و با جمال او کس را جمال مسلّم نیست الا کـلّ شـیء مـا خلا اللَّه باطل. برهان کبریاء او هم کبریـای او. دلیـل هسـتی او هم هسـتی او، عبـارت از مدح و ثناء او بدستوری او، یادداشت و یـاد کـرد او بفرمـان او، طلب او بکشـش او، یافت او بعنایت او.
جوانمردی از عزیزان راه حقّ گفته که درگاه ربوبیّت نظاره گاه ارواح است.
و آن درگاه را بسیار معارف فروگرفته، عزّت از یمین و جلالت از یسار، و قهر و کبریا و عظمت در ساحت آن حضـرت فـرو آمـده تـا هـر نـامحرمی را زهـره آن نباشد که قصد وصال آن حضرت کند:

هر که او را دلی و جـانی بـود	شد بمیدان عاشـقی کـویش
کشته گشتند عاشقان و هنـوز	نشنیدسـت هیچکس بـویش
رحلت عاشـقان ز هـر سـویی	نیسـت از قصـد دل مگـر سـویش.

وَ ثِيابَكَ فَطَهِّرْ یك قول از اقوال مفسّران آنست کـه: و قلبـك فطهّـر عمّـا سـوی اللَّه. ای محمد دل خود را از اغیار صافی دار و از هر چه ما دون اللَّه بیزار شو و دوست را یکتا شو، با خلق عاریت باش، و بـا خـود بیگانـه، و از تعلّـق آسـوده. و سبب این خطاب آن بود که چون وحی آمد از حقّ جلّ و علا که: قُمْ فَأَنْذِرْ خیز و خلق را بدرگاه ما دعوت کن، بر خاطر وی بگذشت که الحمـد للّه کـه مـا را این منزلت میان عشیرت خود آمد که همه بامانت و دیـانت من مقـرّ آمدهانـد و مـرا

تصدیق کنند چون بر خاطرش این قدر بگذشت و این مقدار اعتمـاد افتـاد، قصّـه برگشت. هر چند دعوت بیش کرد خویشان از وی نفورتر بودند و از قبول دورتر. ای عجبا تا دعوت نبود بنزدیك شما امین بودم، و اکنون کـه علم رسـالت بـدرگاه دولت ما زدند خائن گشتم!

اشاعوا لنا في الحیّ اشــنع قصّــــــــــــــــــة و کانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا

آری ما آن کنیم که خود خواهیم، از عین خوف رجا برآریم، و در عین رجـا خـوف تعبیه کنیم کن لما لا ترجو ارجی منك لما ترجو. ای محمد آنها کـه دل بـر ایشـان نهادی که بدعوت تو آشنا گردند، میان تو و ایشان صد هزار خیمه هجران بــزنیم، و آنها که بایشان امید نداشتی میان تو و ایشان صد هزار قبّه وصال بربنـدیم. ای محمد خویشان و تبار را بر تو بیرون آوریم تا چون از نزدیکـان جفـا بیـنی دل بـر دوران ننهی.

ما نپسندیم که در هر دو کون اعتماد تو جز بر ما بود، همه را بر تو بیرون آوردیم تا در هر دو کون جز از مات یاد نیاید. همین است حـدیث یعقـوب (ع)، چـون دل بر پسر نهاد و اعتماد بر وی کرد، ربّ العزّة خویشان و نزدیکان را برگماشـت تـا از پیش پدرش بربودند و بچاه افکندند و بفروختند، و این همه بآن کردیم تـا سـرّ وی از همـه بریـده گـردد و بدانـد کـه چـون از خویشـان وفـایی نیایـد از دوران و بیگانگان اولی تر که نیاید، یکسر دل و اما دهد و اعتماد بر ما کنـد: پـیر طـریقت گفت: الهی وا درگاه آمدم بنده وار، خواهی عزیز دار خـواهی خـوار. ای مهربـان فریاد رس، عزیز آن کس کش با تو یك نفس، ای همه تو و بس. با تو هرگــز کی پدید آید کس.

75- سورة القيمة- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (1) سوگند ميخورم بروز رستاخيز.
وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) و سوگند ميخورم بتن نكوهنده.
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (3) كه مـا فـراهم نيـاريم اندامان و استخوانهاى او ؟
بَلى قادِرِينَ آرى كنيم و آن را توانايانيم عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (4) بر آنكـه راسـت كنيم اندامان او تا بندهاى انگشتان او هم چنان كه بود.
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (5) آرى ميخواهد اين مردم كه دروغ شمرد هر چه فرا پيش اوست.
يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (6) ميپرسد كه روز رستاخيز كى؟
فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) آن گاه كه چشم در چشم خانه روشن بتاود.
وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (8) و در چشم او ماه تاريك گردد.
وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (9) و روز و شب باو يكسان.
يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ مردم ميگويد آن روز أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كجا گريزم؟
كَلَّا نگريزد و نتواند لا وَزَرَ (11) پناه جاى نيست او را.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12)
 با خداوند تو است آن روز شدن و آراميدن و باز گشتن.
يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ آگاه كنند آن روز مـردم را بِمـا قَـدَّمَ وَ أَخَّرَ (13) بهـر چـه از پيش فرستاد از كرد و كار، يا از پس خويش گذاشت از نهاد بد يا نيك.
بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) اين آدمى خود را نيك شناسد و در خود نيـك داند.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ (15) و هر چند كه خود را محجّت و عذر آرد و مسازد.
لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) زبان خود مجنبان شتابيدن را به قرآن.
إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (17) بر ما كه قرآن بر تو خوانيم و در ياد تو داريم.
فَإِذا قَرَأْناهُ چون ما بر تو خوانديم فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) آن گه تو از پس وا ميخوان.
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (19) و آن گاه بر ما كه احكام آن پيغام خويش ترا پيدا كنيم.
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ (20) آرى شما مىدوستـ داريد اين جهان نزديـك فرادسـت و شتابنده بخلق.
وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21) و جهان پسين مىگذاريد.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ (22) رويهاست آن روز از شادى تازه.
إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ (23) بخداوند خويش نگران.
وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ (24) و رويهاست آن روز از اندوه گرفته و فراهم كشيده.
تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ (25) كه درست ميداند كه هر چه بتر بود باو ببود.
كَلَّا إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ (26) براستى آن وقت كه جان بچنبر گردن رسد
وَ قِيلَ مَنْ راقٍ (27) و مىگويند كدام پزشك است كه افسون كند؟
وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ (28) و بدانست مردم كه از دنيا مىجدا شود.
وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) و پاى او در كفن مىپيچيدند و گور را بساختند.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ او را بسوى خداوند تو راندند و با او بردند.
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى (31) صدقه و زكاة نداد و نماز نكرد.
وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (32) لكن دروغ زن گرفت و از پذيرفتن برگشت.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33) آن گه با كسان خويش شد خرامان.
أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (34) در رسيد آنچه از آن ميترسيدى گريز.
ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى (35) باز در رسيد آنچه از آن مترسيدى گريز.
أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ ميپندارد مردم أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (36) كه او را فرو گذارند ناانگيخت و ناپرسيد؟
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (37) نه نطفهاى بود نخست كه بيفكندند.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً آن گه پس از آن خونى بسته فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) خداوند تو آن را بيافريد و صورت و اندام راست كرد.
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (39) و از آن دو همتا آفريد نر و ماده.
أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى (40) او كه آن را كرد نه توانا است و قادر بر آنكه مردگان را زنده كند.

النوبة الثانية

اين سوره بعدد كوفيان چهل آيت است، صد و نود و نه كلمت، ششصد و پنجاه و دو حرف جمله به مكه فرو آمد باتّفاق مفسّران. و درين سوره يك آيت منسوخ است: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ
نسخ ذلك بقوله: «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى» و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة القيامة شهدت انا و جبرئيل له يوم القيامة انّه كان مؤمنا بيوم القيامة و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».
لا أُقْسِمُ لا خلاف بين النّاس انّ معناه: اقسم، و اختلفوا في تفسير لا فقيل: هى تأكيد للقسم كقول العرب: لا و اللَّه لأفعلنّ كذا. لا و اللَّه ما فعلت كذا. و قيل: انّها صلة كقوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ اى لان يعلم اهل الكتاب و قيل: هى ردّ على منكرى البعث، فانّها و ان كانت رأس السّورة فالقرآن متّصل بعضه ببعض كلّه كالسّورة الواحدة و المعنى: ليس الأمر كما قلتم: اقسم بيوم القيامة أنّكم تبعثون. قرأ الحسن و الاعرج و ابن كثير في رواية القوّاس عنه لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ بلا الف قبل الهمزة.
وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ على معنى انّه اقسم بيوم القيامة و لم يقسم بالنّفس اللّوّامة. و الصّحيح انّه اقسم بهما جميعا و لا صلة فيهما، قال الشّاعر:

تذكّرت ليلى فاعترتنى صبابة	و كاد ضمير القلب لا يتقطّع

اى يتقطّع. قال المغيرة بن شعبة: يقولون القيامة القيامة و انّما قيامة احدهم موته. و شهد علقمة جنازة فلمّا دفن قال: اما هذا فقد قامت قيامته و النفس اللوامة هى الّتى تلوم نفسها على ما جنت و تأتى يوم القيامة كلّ نفس برّة او فاجرة تلوم نفسها البرّة على ما قصّرت و لم تستكثر كقوله تعالى: يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي و الفاجرة على ما جنت كقوله: «يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ». قال سعيد ابن جبير و عكرمة تلوم على الخير و الشّرّ و لا تصبر على السّراء و الضّرّاء و قال الحسن: هى النّفس المؤمنة. قال: انّ المؤمن و اللَّه ما تراه الّا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت بأكلتى ما اردت بحديث نفسى و انّ الفاجر يمضى قدما لا يحاسب نفسه و لا يعاتبها.
و قال مقاتل: هى النّفس الكافرة انّ الكافر يلوم نفسه في الآخرة على ما فرّط في امر اللَّه في الدّنيا.
قوله: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ أ يظنّ الكافر ان لن نجمع عظامه عند البعث بعد ما صار رميما. أ يظنّ ان لا نقدر على ذلك. نزلت في عدى بن ربيعة

حليف بنى زهرة ختن الاخنس بن شريق الثّقفى. و كان رسـول اللّه (ص) يقـول: «اللّهم اكفنى جارىّ السّوء»
يعنى عديّا و الاخنس و ذلك
انّ عدى بن ربيعة اتى النّبي (ص) فقال: يا محمد حـدّثنى عن يـوم القيامـة مـتى يكون و كيف امره و حاله؟ فاخبره النّبي (ص) فقـال: لـو عـاينت ذلـك اليـوم لم اصدّقك يا محمد و لم اومن بك او يجمع اللّه العظام
فانزل اللّه تعالى: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى الكافر أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بعـد تفرّقهـا و بلاها فنحييه و نبعثه بعد الموت. ذكر العظام و اراد نفسه كلّها، لانّ العظام قـالب النّفس لا يستوى الخلق الّا باستوائها. و قيل: هو خارج على قول المنكر او يجمـع اللّه العظـام كقولـه: «قـالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظـامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ: بَلى قـادِرِينَ اى نقـدر استقبال صرف الى الحال و المعنى: بلى نقدر على جمـع عظامـه و على مـا هـو اعظم من ذلك و هو أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ فنجعل اصابع يديه و رجليه شيئا واحدا كخفّ البعير او كحافر الحمار فلا يمكنه ان يعمـل بهـا شـيئا و لكنّـا فرقنـا اصـابعه حتّى يأخذ بها ما شاء و يقبض اذا شاء و يبسط اذا شاء فحسّنّا خلقه. هـذا قـول عامـة المفسّرين و قال الزجاج و ابن قتيبـة: معنـاه ظنّ الكـافر انّـا لا نقـدر على جمـع عظامه بلى نقدر ان نعبد السّلاميات على صغرها فنؤلّف بينها حتّى نسوّى البنـان فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها اقدر.
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ يقول تعالى ذكره: مـا يجهـل ابن آدم ان ربـه قـادر على جمع عظامه بعد الموت و لكنه يريد ان يفجر امامهاى يمضى قدما قدما في معاصى اللّه راكبا رأسه لا ينزع عنها و لا يتوب. اين مردم نه از آنست كه نمىداند كه اللّه قادرست كه مرده زنـده كنـد، لكن ميخواهـد كـه بباطـل و معصـيت سـر درنهد، هميشه در ناپسند مرود روى نهاده چنان كه ميآيد و هر چه آيد و هر جاى كه رسد بى هيچ واگشتن. و قيل: يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ ليقدّم الذّنب و يؤخّر التّوبة، يقول: سوف اتوب، حتّى يأتيه المـوت على شـرّ احوالـه و اسـوأ اعمالـه. ميخواهد اين مردم كه همـه گنـاه فـرا پيش دارد و توبـه وا پس ميـدارد، هميشـه توبه در تأخير مينهد و وعده ميدهد كه: سوف اتوب، تا ناگاه مرگ آيد و او بر سر معصيت بر بتر حالى و زشتر عملى.
و قيل: لِيَفْجُرَ أَمامَهُ اى ليكذّب بما امامـه من البعث و الحسـاب يقـال للكـاذب و المكذّب فاجر. قال الشّاعر: «اغفر له اللّهم ان كان فجر». اى كذب.
ميخواهد اين مردم كه هر چه فرا پيش است از بعث و نشـور و حسـاب و جملـه احوال رستاخيز دروغ شمرد. و قال الضحاك: هو الآمل يأمل. و يقـول اعيش من الدّنيا كذا و كذا و لا يذكر الموت.
يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ اخذ «ايّان» من اين فاذا شدّدت و زيد فيها الالف وضـعت موضع مـتى، اى مـتى تكـون السّـاعة؟ و مـتى يكـون البعث؟ يسـأله اسـتبعادا و استهزاء و تكذيبا به. قال اللّه تعالى: فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ بكسر الرّاء على معنى فزع و تحيّر و قرأ نـافع بفتح الـرّاء من الـبريق اى شـخص بصـره عنـد النّـزع و وقـوع الهول به حتّى لا يكاد يطرف و قال الكلبى: عند رؤية جهنّم برق ابصـار الكفّـار و في هذا جواب هذا السّائل اى انّما تكون السّاعة اذا برق البصر.
وَ خَسَفَ الْقَمَرُ اظلم و ذهب ضوءه.
وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ اى جمعـا في ذهـاب ضـوءهما. و قيـل: يجمعـان كانّهمـا ثوران عقيران ثمّ يقذفان في البحـر فيكـون نـار اللّه الكـبرى. و قـال على (ع) و ابن عباس: يجعلان في نور الحجب. و قيل: يكوّران من قوله: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ

و لم يقل: جمعت الشّمس لانّ معناه: جمع بينهما و قيل: المراد بهما اللّيل و النّهار فكنى عن النّهار بآيته و عن اللّيل بآيته. باين قول معنى آنست كه كافر را بوقت جان كندن چشم وى در چشم خانه خيره بماند و ماه در چشم وى تاريك گردد و روز و شب او را يكسان نمايد.
يَقُولُ الْإِنْسانُ اى الكافر يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ اى المهرب لشدّة ما يراه من العقوبة.
كَلَّا ردع عن تمنّى الفرار لا وَزَرَ اى لا حصن و لا حرز، و الوزر ما لجاء اليه الانسان من ملجاء او منجى او جبل.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ
اى المنتهى اذا جعلته مصدرا كقوله: و انّ الى ربّك المنتهى. انّ الى ربّك الرّجعى و ان جعلته مكانا فالجنّة و النّار، اى لا ينزل احدا منزلة الّا اللّه.
يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ
قال ابن مسعود و ابن عباس: بما قدّم قبل موته من عمل صالح و سيّئ و اخّر بعد موته من سنّة حسنة او سيّئة يعمل بها، و في رواية عطيّة عن ابن عباس: بما قدّم من المعصية و اخّر من الطّاعة. و قيل: بما قدّم من الذّنب و اخّر من التّوبة. و قيل: بما قدّم من ماله لنفسه و ما اخّر منه لورثته. و قيل: ما قدّم لدنياه و ما اخّر لآخرته و هو مسئول عن الجميع لانّ اللّفظ عامّ. و في الحديث الصّحيح: «ما منكم من احد الّا سيكلّمه ربّه ليس بينه و بينه ترجمان و حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الّا ما قدّم من عمله و ينظر اشأم منه فلا يرى الّا ما قدّم و ينظر بين يديه فلا يرى الّا النّار تلقاء وجهه فاتّقوا النّار و لو بشقّ تمرة.
بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
اى هو على نفسه بصير بعمله شاهد على نفسه.
و التّاء دخلت للمبالغة كما يقال: رجل نسّابة و علامة. و قيل: معناه على نفسه عين بصيرة فحذف الموصوف و اثبتت الصّفة. و قيل: على نفسه ذو بصيرة فحذف المضاف، اى يعلم انّه في الدّنيا جاحد كافر مذنب مسىء و في الآخرة يعلم انّه ایّ شىء فعل و ان اعتذر. ميگويد: آدمى بخود سخت داناست و از خود سخت آگاه است، ميداند كه در دنيا كافر و جاحد و بدكردار بوده و در عقبى ميداند كه چه آورده از فعل بد.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ و اگر چه خود را حجّت ميآرد و عذر باطل ميسازد.
و گفتهاند: معاذير جمع معذار است. و المعذار: السّتر، لغة حميريّة. يعنى آدمى خود را نيك شناسد و هر چند كه پيش خويش مورايستد و پرده فريب بر چشم خويش افكند. و گفتهاند: و او زيادتست. المعنى. عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ يعنى: اين مردم در خويشتن نيك داند، اگر بهانه بيفكند و عذر باطل بگذارد و پرده فريب از پيش خويش بيفكند. قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
اى على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله و يشهدون عليه به و هي سمعه و بصره و يداه و رجلاه و جميع جوارحه، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ... الآية.
وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ اى يشهد عليه الشّاهد و لو اعتذر و ادلى بكلّ حجّة و عذر فلا ينفعه ذلك، فله من نفسه شهود و حجّة. ميگويد: اين آدمى بر وى رقيبى است و نگهبانى بس بينا و آگاه تا گوش بوى ميدارد و فردا بر وى گواه بود، اگر چه عذر باطل آرد و گويد: «إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» اين عذر او را سود ندارد و عذاب از وى باز ندارد. كقوله: «يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ». و قيل: وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ

اى و لو اسبل السّتر ليخفى ما يعمل فانّ نفسه شاهدة عليه. و قيل: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ اى من يبصر امره يعنى الملكين الكاتبين، كقوله: «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ». قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ اى لا تحرّك بالقرآن لسانك استعجالا بتلقّنه. كان جبرئيل (ع) يقرأ عليه القرآن فيقرأه رسول اللّه (ص) معه مخافة ان لا ينفلت منه و كان يناله منه شدّة فنهاه اللّه عن ذلك. و قال: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ اى جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك.
فَإِذا قَرَأْناهُ اى اذا جمعناه في قلبك. و قيل: اذا قرأه جبرئيل و اضافه الى نفسه على جهة التّخصيص فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
اى اتّبع قرآنه، اى اذا فرغ جبرئيل من قراءته فاقرأ انت على اثره.
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ هذا مردود على الكلام الاوّل، انّ علينا جمعه و قرآنه، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اى علينا ان نبيّن لك احكامه من الحلال و الحرام و نبيّن لك معناه اذا حفظته. و قال الحسن: انّ علينا ان نجزى به يوم القيامة على ما قلنا في الدّنيا من الوعد و الوعيد و القرآن مصدر كالرّجحان و الغفران، تقول: قرأت قراءة و قرآنا و كان رسول اللّه (ص) بعد نزول هذه الآية اذا اتاه جبرئيل اطرق فاذا ذهب قراه كما وعده اللّه عزّ و جلّ. و قيل: هذا خطاب للعبد يوم القيامة و الهاء تعود الى كتاب العبد، اى لا تعجل فانّ علينا ان نجمع افعالك في صحيفتك و قد فعل و علينا ان نقرأ عليك كتابك.
فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ هل غادر شيئا او احتوى على زيادة ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ اظهار جزاء عليه.
«كَلَّا» افتتاح كلام بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ قرأ اهل المدينة و الكوفة تحبّون و تذرون بالتّاء فيهما و قرأ الآخرون بالياء، اى يختارون الدّنيا على العقبى و يعملون لها، يعنى كفّار مكة. و من قرأ بالتّاء، فعلى تقدير قل لهم يا محمد تحبّون الدّنيا و شهواتها و تذرون الدّار الآخرة و نعيمها.
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ يعنى: يوم القيامة، «ناضرة» ناعمة مشرقة حسنة نضرت بنعيم الجنّة. قال مقاتل: بيض يعلوها النّور، يقال: نضر وجهه ينضر نضرة و نضارة. قال اللّه تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ. قال ابن عباس: تنظر الى ربّها عيانا بلا حجاب. قال الحسن: تنظر الى الخالق و حقّ لها ان تنظر و هي تنظر الى الخالق
روى عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه (ص): «انّ ادنى اهل الجنّة منزلة لمن ينظر الى خزّانه و ازواجه و سرره و نعيمه، و خدمه مسيرة الف سنة و اكرمهم على اللّه لمن ينظر الى وجهه تبارك و تعالى. غدوة و عشيّة». ثمّ قرأ رسول اللّه (ص) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ.
و عن جابر قال: قال رسول اللّه (ص): «يتجلّى ربّنا عزّ و جلّ حتّى ينظروا الى وجهه فيخرّون له سجّدا، فيقول: ارفعوا رؤسكم فليس هذا بيوم عبادة.
و عن عمّار بن ياسر قال: كان من دعاء النّبي (ص) «اسألك النّظر الى وجهك و الشّوق الى لقائك في غير ضرّاء مضرّة و لا فتنة مضلّة».
و قال اهل العلم: النّظر اذا قرن بالوجه و عدّى بحرف الجرّ و هو الى لم يعقل منه الّا الرّؤية و العيان.
وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ عابسة، كالحة، كريهة.
«تَظُنُّ» اى يتيقّن أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ داهيه عظيمة من العذاب و الفاقرة الدّاهية العظيمة و «الأمر الشّديد الّذى يكسر فقار الظّهر و منه سمّى الفقر فقرا لانّه يكسر الفقار لشدّته. قال ابن زيد: هى دخول النّار. و قال الكلبى: هى

ان تحجب عن رؤية الرّبِّ عزّ و جلّ.
«كَلَّا» افتتـاح كلام إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ اى بلغت الـرّوح عنـد المـوت الى التّـراقى، كنى عنها و لم يتقدّم ذكرها لانّ الآيـة تـدلّ عليهـا. و التّـراقى جمـع ترقـوه و هى العظم المشرف على الصّدر و هما ترقوتان.
وَ قِيلَ مَنْ راقٍ اى يقول اهله هل من راق يرقيه و هل من طبيب يداويه، مشتقّ من الرّقية. و قيل: انّ ملائكة الرّحمة و ملائكة العذاب اذا اجتمعوا، يقول بعضـهم لبعض من الّذى يـرقى بروحـه أ ملائكـة الرّحمـة ام ملائكـة العـذاب. مشـتقّ من الرّقى.
وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ اى و تيقّن انّه مفارق للدّنيا.
روى انس بن مالك قال: قال رسول اللَّه (ص): «انّ العبد ليعالج كرب المــوت و سكراته و انّ مفاصـله يسـلم بعضـها على بعض يقـول عليـك السّـلام تفـارقنى و افارقك الى يوم القيامة».
قوله: وَ الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ اى التصقت احديهما بالآخرى عند الموت.
قال قتادة: أ ما رأته اذا ضرب برجله رجله الأخرى، و قال الحسن: هما ساقاه اذا التفّتا في الكفن و قيل: ماتت رجلاه فلم تحملاه الى شىء و كان عليهما جوّالا، و قيل: كنى عن شدّة الأمر بالسّاق اى اتاه اوّل شدّة امر الآخرة و آخـر شـدّة امـر الدّنيا، فالنّاس يجهزون جسـده و الملائكـة يجهـزون روحـه فـاجتمع عليـه أمـران شديدان.
و قال ابن عطاء: اجتمع عليه شدّة مفارقة الـوطن من الـدّنيا و الاهـل و الولـد و شدّة القدوم على ربّه عزّ و جلّ، لا يدرى بماذا يقدم عليه لذلك. قال عثمـان: مـا رأيت منظرا الّا و القبر افظع منه لانّه آخر منـازل الـدّنيا و اوّل منـازل الآخـرة. و قال يحيى بن معاذ: اذا دخل الميّت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك و احد عند رأسه و الثّاني عند رجلـه. و الثّـالث عن يمينـه و الرّابـع عن يسـاره، فيقـول الّذى عند رأسه: يا بن آدم ارفضّت الآجال و انضيت الآمال، ارفضّت، اى تفـرّقت و انضيت، اى هزلت و يقـول الّـذى عن يمينـه: ذهبت الامـوال و بقيت الاعمـال و يقول الّذى عن يساره: ذهب الاشـغال و بقى الوبـال و يقـول الّـذى عنـد رجليـه: طوبى لك ان كان كسبك من الحلال و كنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال.
إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ اى مرجع العباد الى حيث امر اللَّه امّا الى جنّة و امّا الى نار و امّا الى علّيّين و امّـا الى سـجّين، و قيـل: تسـوق الملائكـة روحـه الى حيث امرهم اللَّه.
فَلا صَدَّقَ وَ لا صَلَّى نزلت في ابى جهل و لا بمعنى لم، اى لم يصـدّق بكتـاب اللَّه و لا بنبيّه و لم يصل للَّه عبادة، و قيل: هو من التّصـدّق. و قـال الحسـن: هـو من الصّدقة و حسن دخول لا على الماضى تكراره، كما تقول: لا قام و لا قعد و قلّما تقول العرب لا وحدها حتّى تتبعها اخرى تقول: لا زيد في الدّار و لا عمرو.
وَ لكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى اى كذّب باللَّه و اعرض عن الايمان و الطّاعة له.
ثُمَّ ذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى اى مضى يتبختر و يختال في مشيه حين وعظـه النّـبي (ص) بالقرآن. يتمطّى اصله يتمطّط اى يتمدّد و المطّ هو المدّ و يقال: اصـله من المطا، اى يلوى مطاه تبخترا و في الخـبر اذا مشـيتم المطيطـاء يعـنى التّبخـتر و الخيلاء و خدمتكم فارس و الرّوم فقد اقتربت السّاعة.
قوله: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى هى كلمة تهديد و وعيد يقـال للمشـرف على الهلكـة، روى انّ رسول اللَّه (ص) لقى ابا جهل فاخذ ببعض جسده و قال له: أَوْلى لَـكَ فَـأَوْلى فنزل به القرآن

و روى انّ ابا جهل قال: أ تخوّفنى يا محمد؟ و اللَّه ما تستطيع انت و لا ربّك ان تفعلا بى شيئا و انّى لا عزّ من مشى بين جبليها فلمّا كان يوم بدر صرعه اللَّه شرّ مصرع و قتله اسوأ قتل، اقصعه ابنا عفراء، و اجهز عليه ابن مسعود
و كان نبىّ اللَّه (ص) يقول: «انّ لكلّ امّة فرعونا و انّ فرعون هذه الامّة ابو جهل».
و اصل الكلمة من الولى و هو القرب تأويله ما ربحك ما تكره فاحذره، و التّكرار تأكيد للوعيد و قيل: معناه انّك اجدر بهذا العذاب و احقّ و اولى، يقال للرّجل يصيبه مكروه و يستوجبه. و قيل: معناه الويل لك حين تحيى و الويل لك حين تموت و الويل لك حين تبعث و الويل لك حين تدخل النّار. قالت الخنساء:

همممت بنفسى بعض الهموم	فاولى لنفسى اولى لها

أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ يعنى ابا جهل أَنْ يُتْرَكَ سُدىً اى مهملا لا يؤمر و لا ينهى و لا يبعث و لا يجازى بعمله، و قيل: أ يظنّ انّه لا يعاقب على معاصيه و كفره و ايذاء الرّسول (ص) و المؤمنين، و قال الحسن: يُتْرَكَ سُدىً اى سرمدا في الدّنيا دائما لا يموت. الاسداء: من الاضداد. يقال اسدى الىّ معروفا و في الخبر من اسدى اليه معروف فليكافئه فان لم يستطع فليشكره. و تقول: اسديت حاجتى و شدّيتها، اى اهملتها و لم تقضها.
أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى اى يصبّ في الرّحم. قرأ ابو عمرو و حفص و يعقوب بالياء لاجل المنيّ و قرأ الآخرون بالتّاء لاجل النّطفة.
ثُمَّ كانَ عَلَقَةً اى صار المنىّ قطعة دم جامد بعد اربعين يوما. فَخَلَقَ فَسَوَّى خلقه في الرّحم فجعل منه الزّوجين، اى خلق من مائه اولادا ذكورا و اناثا، أَ لَيْسَ ذلِكَ الّذى فعل هذا بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى.
روى: انّ رسول اللَّه (ص) كان يقول عند قراءة هذه الآية: بلى و اللَّه بلى و اللَّه.
و روى عن ابن عباس قال: من قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى اماما كان او غيره، فليقل: سبحان ربّى الاعلى. و من قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فاذا انتهى آخرها، فليقل: سبحانك اللّهم و بلى اماما كان او غيره. و عن ابى هريرة قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ منكم وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ فانتهى الى آخرها «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ» فليقل: بلى و انا على ذلك من الشّاهدين. و من قرأ: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ فانتهى الى أَ لَيْسَ ذلِكَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى فليقل: سبحانك بلى و من قرأ: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فبلغ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» فليقل: «آمنّا باللَّه».
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم جليل، جلاله بلا اشكال و جماله لا على احتذاء و مثال، و افعاله لا باغراض و اعتلال، و قدرته لا بجلادة و احتيال و علمه لا بضرورة و استدلال، فهو الّذى لم يزل و لا يزال، و لا يجوز عليه الفناء و الزّوال. عزيز صمدىّ الذّات، قديم سرمدىّ الصّفات، مرئيّ الذّات بالابصار، نعمة منه و لطفا بالابرار في دار القرار:

تعاليت معبودا، تعاليت قاهرا	تعاليت قدّوسا، تعاليت خالقا
تعاليت من ربّ رفيع مكانه	تعاليت رزّاقا وسعت الخلائقا
تعاليت اوسعت البريّة برّها	و فاجرها رزقا تعاليت

رازقا

بنام او كه عالى ذات است و صافى صفات، مقدّس و منزّه از بنين و بنات، كاشف الظّلمات، ساتر السيّئات، مجيب الدّعوات، مقيل العثرات، خالق الارض و السّماوات، رازق الوحوش و الحشرات:

ای زهر غم تو در دلم آب حيات — و ای عشوه عشق تو مرا راه نجات
گفتى: ببرم جان تو ای حور صفات؟ — جان از تو مرا دريغ باشد؟ هيهات!

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ ربّ العالمين قسم ياد ميكند بروز رستاخيز، آن روز كه سرادقات استحقاق ربوبيّت باز كشند و بساط جلال و عظمت بگسترانند، و علم جبّارى بصحراء قهّارى برون آرند ايوان كبريا بر كشيده، ميزان عدل در آويخته، و سياست جبروت عزّت همه را مدهوش و بيهوش كرده انبيا با كمال حال خود ميآيند و حديث علم خود در باقى كرده كه: «لا عِلْمَ لَنا»، ملائكه ملكوت ميآيند و صومعههای عبادت خود آتش در زده كه: «ما عبدناك حقّ عبادتك»
عارفان و موحّدان مىآيند و از معرفت خود بيزار گشته كه: «ما عرفناك حقّ معرفتك».
ای بزرگا حسرتا اگر آن روز فضل او ترا دست نگيرد. ای عظيما: مصيبتا اگر در آن مجمع كرم او ترا فرياد نرسد. اگر عنايات او دستگير نبود، از طاعت تو چه آيد؟ ور عدل او روی نمايد هلاك از تو برآيد.
پير طريقت گفت: «الهى دانى كه نه بخود باين روزم و نه بكفايت خويش شمع هدايت ميافروزم، از من چه آيد و از كرد من چه گشايد؟ طاعت من بتوفيق تو، خدمت من بهدايت تو، توبه من برعايت تو، شكر من بانعام تو، ذكر من بالهام تو، همه تويى من كه ام اگر فضل تو نباشد، من بر چه ام؟! وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ از اقوال مفسّران يكى آنست كه: نفس لوّامه نفس بنده مومن است كه پيوسته بروزگار خود تحسّر ميخورد و بر تقصيرها خود را ملامت ميكند و خويشتن را مترساند و بيم ميدهد و بچشم حقارت و مذلّت در خود منگرد و ميگويد:

ای نفس خسيس همّت سودايى — بر هر سنگى كه بر زنم قلب آيى!

ای در راه طلب حقّ باوّل قدم فرو مانده، ای با هزار مركب ميان باديه تكليف منقطع شده، ای با هزار شمع و چراغ سر يك موی دولت ناديده، ای در خزانه تبّت افتاده و بوی مشك بمشامت نارسيده، ای با همه غوّاصان بدريا فرو شده و هيچ چيز بدست نياورده و خويشتن را نيز از دست بداده. ای دير آمده و زود بازگشته، ای بجای شراب سرور سراب غرور خريده و دل و دين ببها داده «اسْتَحَبُّوا الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ»:

سوف ترى اذا انجلى الغبار — أ فرس تحتك ام حمار
تا كى از دار الغرورى سوختن دار السّرور — تا كى از دار الفرارى ساختن دار القرار
باش تا از صدمه صور سرافيلى شود — صورت خوبت نهان و سيرت زشت آشكار

یـــك تپانچــه شــير و، زين مــردار خـــــواران يـــــك جهـــــان
ك صــداى صــور و، زين فرعــون طبعـــــان صـــــد هــــــزار.

بزرگى را پرسيدند: كه راه از كدام جانب است؟ گفت: از جانب تو نيست، چـون از تو درگذشت از همه جانبها را هست. روزى نگذرد كه نه از عـالم بينهـايت اين ندا مىآيد كه: اى ما ترا خواسته و تـو روى از مـا بگردانيـده، اى مـا تـرا بامـداد و شبانگاه با دولت صحبت خوانده و تو قدم از كوى ما باز گرفته، ناگزيرت مــائيم، با ما بنسازى با كه سازى؟! اگر پيل نتوانى بود، بارى از پشهاى كم مباش كه در صورت پيل است، گويد: اگر بقوّت پيل نيستم كه بارى كشم، بارى بصـورت پيلم كه بار خويش بر كس نيفكنم. چون بنده مؤمن نفس لوّامه را برياضـت در كشـد و حقّ وى از روى عتاب و نصيحت بتمـامى در كنـار وى نهـد و توفيـق او را مـدد دهد، عن قريب آن نفس لوّامه نفس مطمئنّه گردد تا خطاب ربّـانى بنعت اكـرام و اعزاز او را استقبال كند كـه: «يـا أَيَّتُهَـا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ» اى نفس مطمئنّه و بصحبت ما آراميده و آسوده، تا امروز از راه نفس آمدى اكنــون از راه دل در آى تا بما رسى. بر درگاه ما دل را بارست و نـيز هيچ چـيز ديگـر را بار نيست:

خون صدّيقان بپالودنـد و زان ره ســــــــــــاختند
جز بدل رفتن در آن ره يـك قـدم را بـــــــــار نيســـــــــت.

آن گه چون بما رسيدى اين خلعت يابى كه: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّهـا نـاظِرَةٌ مثل بنده مؤمن مثل بازست. باز را چـون بگيرنـد و خواهنـد كـه شايسـته دسـت شاه گردد مدّتى چشم او بدوزند، بندى بر پايش نهند، در خانهاى تاريك باز دارند، از جفتش جدا كنند، يك چندى بگرسنگيش مبتلا كنند تـا ضـعيف و نحيـف گـردد و وطن خويش فراموش كند و طبع گذاشتگى دست بدارد. آن گه بعاقبت چشمش بگشايند، شمعى پيش وى بيفروزند، طبلى از بهر وى بزنند، طعمه گوشــت پيش وى نهند، دست شاه مقرّ وى سـازند. بـا خـود گويـد: در كـلّ عـالم كـرا بـود اين كرامت كه مراسـت؟ شـمع پيش ديـده من، آواز طبـل نـواى من، گوشـت مـرغ طعمه من، دست شاه جاى من! بر مثال اين حال چون خواهند كه بنده مؤمن را حلّه خلّت پوشانند و شراب محبّت نوشانند، با وى همين معاملـه كننـد. مـدّتى در چهار ديوار لحد بـاز دارنـد، گـيرايى از دسـت و روايى از پـاى بسـتانند، بينـايى از ديده بردارند، روزگارى برين صفت بگذارند آن گه ناگاه طبل قيامت بزننـد، بنـده از خاك لحد سـر بـرآرد، چشـم بگشـايد، نـور بهشـت بينـد. «يَسْـعى نُـورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» دنيا فراموش كند، شراب وصل نوش كند، بر مائده خلد بنشيند چنان كه آن باز چشم باز كند خود را بر دست شاه بيند، بنده مؤمن چشم باز كند، خود را بمقعد صدق بيند سلام ملك شنود، ديدار ملك بينـد. بنـده ميـان طـوبى و زلفى و حسنى شادان و نازان، در جلال و جمال حـقّ نگـران. اينسـت كـه ربّ العـالمين فرمود: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ رويهـاى مؤمنـان و مطيعـان، رويهـاى صدّيقان و شهيدان، رويهاى عاشقان و مشتاقان چون ماه درفشان، چون آفتـاب رخشان، شادان و نازان مىنگرند بخداوند جهانيان، نوازنـده دوسـتان، و دلگشـاى مشتاقان. خوش روزى كه روز وصالست، شادى آن روز بى پايانســت، دولت آن روز بيكرانســت. روز بـرّ و افضـال، روز عطـا و نـوال، روز نظـر ذو الجلال، روز شادى و پيروزى، رهى باقى و مولى ساقى، و از جناب كرم نداى كـرامت روان، كه: «الدّار داركم و انا جاركم».

پیر طریقت گفت: «بهره عارف در بهشـت سـه چـیز اسـت: سـماع و شـراب و دیدار. سماع را گفت: «فَهُمْ فِي رَوْضَـةٍ يُحْبَـرُونَ»، شـراب را گفت: «وَ سَـقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً». دیدار را گفت: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِـرَةٌ إِلى رَبِّهـا نـاظِرَةٌ سـماع بهـره گـوش، شـراب بهـره لب، دیـدار بهـره دیـده. سـماع واجـدان را، شـراب عاشقان را، دیدار محبّـان را. سـماع طـرب فزایـد، شـراب زبـان گشـاید، دیـدار صفت رباید.

سماع مطلوب نقد کند، شراب راز جلوه کند، دیدار عارف را فرد کند. سـماع را هفت اندام رهی. گوش چون ساقی اوست، شراب همه نوش، دیدار را زیـر هـر مویی دیدهای روش.

76- سورة الانسان (الدهر)- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان.
هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ باش ورآمد بر مـردم حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ هنگـامى از گيـتى لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1) كه او چيزى ياد كرده و ياد كردنى نبود.
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ بيافريديم ما اين مردم را مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشـاجٍ از نطفهاى آميختـه نَبْتَلِيهِ ما مىآزمائيم او را فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً (2) او را شنوايى بينا كرديم.
إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ ما راه نموديم مردم را و بر راه داشتيم. إِمَّا شاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (3) هر يكى را راهى نموديم، از دو راه، يا سپاس دار يا ناسپاس.
إِنَّا أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ ساختيم ما كافران را سَلاسِلَ وَ أَغْلالًا وَ سَعِيراً (4) زنجيرها و غلها و آتش.
إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ نيكان و مهربانان مىآشامند مِنْ كَـأْسٍ از جـامى كـانَ مِزاجُهـا كافُوراً (5). جامى كه آميغ آن كافور است.
عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ از چشمهاى كـه مىآشـامند از آن بنـدگان اللَّه يُفَجِّرُونَهـا تَفْجِيراً (6) مىروانند آن روانيدنى.
يُوفُونَ بِالنَّذْرِ پذيرفتهها و در دل كردهها ميگزارنـد وَ يَخـافُونَ يَوْمـاً و مىترسـند از روزى كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (7) كه بد آن روز هر جايى و بهر كسى رسد.
وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ و طعام دهند در وقت نياز و تنگى مِسْكِيناً وَ يَتِيمـاً وَ أَسِيراً (8) درويش را، و بى پـدر را، و زنـدانى و گرفتـار را. إِنَّمـا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْـهِ اللَّهِ: شما را كه طعام ميدهيم از بهر خدا ميدهيم، اميـد ديـدار و پـاداش او را. لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً (9): از شما پاداش نمىخواهيم و نـه سـپاس دارى و نه باز گفت.
إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا ما مىترسيم از خداوند خويش يَوْمـاً عَبُوسـاً قَمْطَرِيـراً (10) در روزى ترش صعب سخت.
فَوَقاهُمُ اللَّهُ باز داشت اللَّه ازيشان شَرَّ ذلِـكَ الْيَـوْمِ بـد آن روز وَ لَقَّاهُمْ نَضْـرَةً وَ سُرُوراً (11) و ايشان را داد تازگى روى و شادى دل.
وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا و پاداش داد ايشان را بشكيبايى كه مىكردنـد جَنَّةً وَ حَرِيـراً (12) بهشت و جامه حرير.
مُتَّكِئِينَ فِيهـا عَلَى الْأَرائِكِ تكيـه زدگـان در آن بهشـت بـر حجلههـا لا يَـرَوْنَ فِيهـا شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً (13) نه آفتاب بينند در آن و نه سرما.
وَ دانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها نزديك بايشـان سـايههاى آن وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهـا تَـذْلِيلًا (14) و چيدن ميوهها دستها را نزديك و آسان.
وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ و مىگردانند بر سرهاى ايشان بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ پيرايههاى سـيمين وَ أَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا (15) و پيرايهها از آبگينه.
قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ آبگينههايى كه گويى سـيم اسـت قَـدَّرُوها تَقْـدِيراً (16) بايسـت ايشان بر اندازه شراب راست كردهاند.
وَ يُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً مىآشامانند ايشان را مى از جـام كـانَ مِزاجُهـا زَنْجَبِيلًا (17) آميغ آن مىزنجبيل است.
عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) چشـمهاى اسـت در بهشـت كـه آن را سلسـبيل خوانند.
وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ و بخدمت مىگردد بر ايشان وِلْدانٌ غلامانى چـون كودكـان نـوزاد مُخَلَّدُونَ آراستگان جاويد جـوان إِذا رَأَيْتَهُمْ چـون ايشـان را بيـنى حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُـؤاً

مَنْثُوراً پندارى كه مرواريداند شطره گسسته و در بهشت پراكنده.
وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ و چون بينى آنجا رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (20) ناز بينى و پادشاهى جاويد.
عالِيَهُمْ زورين جامه ايشان ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ جامههاى سندس سبز وَ إِسْتَبْرَقٌ و ديباى ستبر وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ و زيور كنند برايشان دستينه هاى سيمين وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ و آشامانند ايشان را خداوند ايشان شَراباً طَهُوراً (21) شرابى پاك.
إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً اين شما را پاداش است وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (22) و رنج كه مىبرديد پذيرفته و پسنديده و اين پاداش سپاسدارى آن.
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) ما كه مائيم، فرو فرستاديم بر تو اين قرآن فرو فرستادنى.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ شكيبايى كن داورى كردنى خداوند خويش را بنام او وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (24) و ازيشان نه بزهكار دروغ زن را فرمان بر، و نه ناسپاس ناگرويده را.
وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ و ياد كن خداوند خويش را بنام او بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (25) بامداد و شبانگاه.
وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ و از شب لختى نماز كن او را وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) و شبهاى دراز او را پرست و ستاى.
إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ ايشان اين جهان شتابنده را دوست مىدارند وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا (27) و پيش خويش را روزى گران مىگذارند فراموش كرده.
نَحْنُ خَلَقْناهُمْ ما آفريديم ايشان را وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ و آفرينش ايشان سخت ببستيم تا آفرينش و اندامان بر جاى مىبود. وَ إِذا شِئْنا و اگر خواهيم بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) ايشان را بچون ايشان جز از ايشان بدل كنيم.
إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ اين پيغام ياد كردى است فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) تا هر كه خواهد بسوى خداوند خويش راهى گيرد.
وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ و نخواهيد مگر كه اللَّه خواهد إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (30) اللَّه دانايى است راست دانش راستكار.
يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ مىدر آرد او را كه خواهد در بخشايش خويش وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (31) و ستمكاران را ساخت عذابى درد نماى.
النوبة الثانية
اين سوره هزار و پنجاه و چهار حرفست. دويست و چهل كلمت، سى و يك آيت. مجاهد و قتاده گفتند: اين سوره مدنى است، به مدينه فرو آمده. عطا گفت: مكّى است به مكه فرو آمده. حسن گفت و عكرمه: يك آيه ازين سوره به مكه فرو آمد: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً و باقى به مدينه فرو آمد. قومى گفتند: از اوّل سوره تا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ به مكه فرو آمد و باقى به مدينه و درين سوره سه آيت منسوخ است: اطعام اسير المشركين منسوخ بآية السّيف. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ معنى الصّبر منسوخ بآية السّيف. فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا منسوخ بقوله: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ. و عن ابى بن كعب قال: قال رسول اللَّه (ص): «من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على اللَّه جنّة و حريرا
قوله: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ هذا استفهام تقرير و المعنى: الم يأت، و قيل: هَلْ هاهنا بمعنى قد، و هى كلمة توضع موضع التّقرير كما تقول لانسان قد كافاته على جناية هل وفّيتك ما تستحقّه؟، نظيره قوله: هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا

يَفْعَلُونَ. و «الْإِنْسانِ» آدم (ع). حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ اى قد أتى عليـه زمـان من الـدّهر لم يكن له ذكر و ان كان شيئا لانّه كان ترابـا و طينـا اوّلا لا يـذكر و لا يعـرف و لا يدرى ما اسمه و لا ما يراد به ثمّ نفخ فيه الرّوح فصار مذكورا للخلـق و الملائكـة معروفا لهم.
روى في التّفسير: انّ آدم كـان مطروحـا بين مكـة و الطـائف جسـدا لا روح فيـه اربعين سنة، ثمّ من حماء مسنون اربعين سـنة، ثمّ من صلصـال اربعين سـنة، ثمّ خلقه بعد مائة و عشرين سنة.
و روى انّ عمر سمع رجلا يقرأ هذه الآية: لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً فقال عمـر: ليتهـا تمّت، يريد ليته بقى على ما كان. و قيل: الانسان بنو آدم، و الحين مدّة لبثـه في بطن امّه تسعة اشهر الى ان صار شيئا مذكورا. و يحتمـل انّ «الإنسـان» عـامّ و حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ زمان، فترة الرّسل بعد عيسـى (ع). لَمْ يَكُنْ شَـيْئاً مَـذْكُوراً اى لم يذكروا يوحى و لا بعث اليهم رسول في تلك المدّة.
إِنَّا خَلَقْنَـا الْإِنْسـانَ يعـنى: اولاد آدم مِنْ نُطْفَـةٍ اى منّى الرّجـل و منّى المـرأة «امشاج» اخلاط يعـنى: مـاء الرّجـل و مـاء المـرأة يختلطـان في الـرّحم فيكـون منهما الولد فماء الرّجل ابيض غليظ و ماء المرأة اصفر رقيق، فايّهما علا صـاحبه كان الشّبه له.
و ما كان من عصب و عظم فمن نطفة الرّجل و ما كان من لحم و دم فمن مـاء المرأة. و في الخبر: «ما من مولود الّا و قد ذرّ على نطفته من تربـة حفرتـه كـلّ واحد منهما مشيج بالآخر.
و «أَمْشاجٍ» جمع مشيج، و قيل: جمع مشج يقال: مشجت الشّىء اى خلطته.
و وصـف النّطفـة بالامشـاج و هي جمـع لانّ النّطفـة في معـنى النّطـف، كمـا انّ الانسان في معنى الانس، لانّهما جميعا من اسماء الاجناس. و قـال ابن مسـعود: الامشاج: العروق الّتى ترى في النّطفة. و قال الحسن: من نطفة مشجت بـدم و هو دم الحيضة، فاذا حبلت ارتفع الحيض. و قال قتادة هى اطوار الخلق نطفـة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظما ثمّ يكسوه لحما ثمّ ينشئه خلقا آخر. و قال ابن عيسـى: الامشاج الاخلاط من الطّبائع الّتى ركب عليها الحيـوان من الحـرارة و الـبرودة و الرّطوبة و اليبوسة. «نَبْتَلِيهِ» اى نختبره بالأمر و النّهى. و قيل: فيه تقديم و تأخير اى فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً، لنبتليه لانّ الابتلاء لا يقع الّا بعد تمام الخلقة، و اللَّه عزّ و جلّ يبتلى ليخرج ما علم من عبده فيراه و يريه.
إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ اى بيّنّا له سبيل الحقّ و الباطـل و الهـدى و الضّـلالة و عرفنـاه طريق الخير و الشّـرّ. كقولـه: وَ هَـدَيْناهُ النَّجْـدَيْنِ. إِمَّا شـاكِراً بتوفيقنـا ايّـاه وَ إِمَّا كَفُوراً بخذلاننا ايّاه، اى خلقناه شقيّا او سعيدا على ما اردناه.
و قيل: معنى الكلام الجزاء، يعنى: بيّنّـا لهم الطّريـق ان شـكرا و كفـر و الشّـاكر المؤمن، شـكر المنعم نعمتـه فعبـده و الكفـور: الكـافر كفـر المنعم نعمتـه فعبـد غيره. و الشّكر في القرآن بمعنى الايمان كثير، و الكفران بمعـنى الكفـر كثـير، و هو صريح في قوله تعالى: إِنْ تَكْفُرُوا فَـإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ الى قولـه: يَرْضَـهُ لَكُمْ ثمّ بيّن مـا للفـريقين. فقـال: إِنَّا أَعْتَـدْنا لِلْكـافِرِينَ سَلاسِـلَ يعـنى: في جهنّم كـلّ سلسلة سبعون ذراعا.
قرأ نافع و الكسائى و ابو بكر عن عاصم: «سلاسلا» و «قـواريرا» قـواريرا كلهنّ باثبات الالف في الوقف و بالتّنوين في الوصل. و قـرأ ابن كثـير: «قـوارير الاولى بالالف في الوقف و لا تنوين في الوصل و سلاسل و قـوارير الثّانيـة بلا الـف و لا تنوين. و قرأ ابو عمرو و ابن عامر و حفص: سلاسلا و قـوارير الاولى بـالالف في

الوقف و بغير تنوين في الوصل و قوارير الثّانية بغير الف و لا تنوين وَ «أَغْلالًا» جمع غلّ و هو القيد الّذى يجمع اليمين و العنق «وَ سَعِيراً» نار موقدة.
إِنَّ الْأَبْرارَ يعنى: المؤمنين الصّادقين في ايمانهم، المطيعين لربّهم، و احدهم بارّ، مثل شاهد و اشهاد و ناصر و انصار، و برّ ايضا مثل نهر و انهار «يَشْرَبُونَ» في الآخرة «مِنْ كَأْسٍ» فيه شراب، اى خمر يأخذونها «كأسا» و يردّونها اناء كانَ مِزاجُها كافُوراً اى يمزج لهم بالكافور لبرده و عذوبته و طيب عرفه. و قيل: يخلط برائحة الكافور و يختم بالمسك. و قال اهل المعانى: اراد كالكافور في بياصه و طيب ريحه و برده، لانّ الكافور لا يشرب كقوله: «حَتَّى إِذا جَعَلَهُ ناراً» اى كنار و قال ابن كيسان: طيبت بالكافور و المسك و الزّنجبيل. و قال الواسطى: لمّا اختلفت احوالهم في الدّنيا اختلف اشربتهم في الآخرة. و كأس الكافور برّدت الدّنيا في صدورهم و قوله: «عَيْناً» نصب على البدل من الكافور. و قيل: نصب على الحال، و قيل: نصب على المدح. و قيل: من عين. و قوله: «بها» الباء زيادة وصلة، اى يشربها. و قيل الباء بمعنى: من، اى يشرب منها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً اى يشقّقونها في جنانهم و منازلهم و يقودونها حيث شاؤا من قصورهم و غرفهم، كمن يكون له نهر في الدّنيا يفجرها هنا و هاهنا الى حيث يريد. و قيل: هى عين في دار النّبي (ص) تفجر الى دور الانبياء عليهم السّلام و المؤمنين، ثمّ وصف هؤلاء و ذكر حالهم في الدّنيا فقال تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ قال قتادة. يعنى: بما فرض اللَّه تعالى عليهم من الصّلاة و الزّكاة و الحجّ و غيرها من الواجبات. و قال مجاهد و عكرمة: اذ انذروا في طاعة اللَّه و فوا به. و في الخبر عن رسول اللَّه (ص) قال: «من نذر ان يطيع اللَّه فليطعه و من نذر ان يعصى اللَّه فلا يعصه»
و نهى رسول اللَّه (ص) عن النّذر و امر بالوفاء به و معنى النّذر الايجاب. وَ يَخافُونَ يَوْماً اى عقوبة يوم كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً اى فاشيا ممتدّا منتشرا و هو يوم القيامة يقال استطار الصّبح اذا امتدّ و انتشر. قال مقاتل: كان شرّه فاشيا في السّماوات فانشقّت و تناثرت الكواكب و كوّرت الشّمس و القمر و فزعة الملائكة، و في الارض نسفت الجبال و غارت المياه و تكسر كلّ شىء على الارض من جبل و بناء.
وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ اى على حبّهم ايّاه و حاجتهم اليه في حال الضّيق و الجوع و قلّة الطّعام. و قيل: على حبّ الاطعام. و قيل: على حبّ اللَّه عزّ و جلّ مسكينا فقيرا لا مال له، و يتيما صغيرا لا اب له، و اسيرا. قال مجاهد و سعيد بن جبير و عطا: هو المسجون من اهل القبلة يحبس في حقّ و قال قتادة: امر اللَّه بالاسراء ان يحسن اليهم و ان اسراءهم يومئذ لاهل الشّرك، فاخوك المسلم احقّ ان تطعمه. و قيل: الاسير: المملوك. و قيل: المرأة
لقول النّبي (ص) اتّقوا اللَّه في النّساء فانّهنّ عندكم عوان.
ابن عباس گفت: اين آيت در شأن امير المؤمنين على (ع) فرو آمد و خاندان وى، و سبب آن بود كه حسن و حسين عليهما السّلام هر دو بيمار شدند، رسول خدا (ص) بعيادت ايشان شد، با جمعى ياران، گفتند: «يا با الحسن لو نذرت على ولديك نذرا» اگر نذرى كنى بر اميد عافيت و شفاى فرزندان مگر صواب باشد. على (ع) نذر كرد كه اگر فرزندان مرا ازين بيمارى شفا آيد و عافيت بود، شكر آن را سه روز روزه دارم، تقرّبا الى اللَّه عزّ و جلّ و طلبا لمرضاته. فاطمة زهرا عليها السّلام.
همين كرد، سه روز روزه نذر بر خود واجب كرد، كنيزكى داشتند نام وى فضّه بر

موافقت ایشان همین نذر کـرد ان بـرأ سـیّد ای ممّـا بهمـا صـمت للّٰه ثلاثـة ایّـام شکرا. پس ربّ العالمین ایشان را عافیت و صحّت داد، و ایشـان بوفـاء نـذر بـاز آمدند و روزه داشـتند، و در خانـه ایشـان هیچ طعـام نـه کـه روزه گشـایند. علی مرتضی (ع) از جهودی خیبری، نام وی شـمعون قـرض خواسـت. آن جهـود سـه صاع جو بقرض بوی داد.
فاطمه زهرا علیها السّلام از آن جو یك صاع بآسیا دست آرد کرد و پنج قــرص از آن بپخت. وقت افطار فرا پیش نهادند تا خورند. مسکینی فرا در سـرای آمـد آن سـاعت و گفت: السّـلام علیکم یـا اهــل بیت محمــد، مســکین من مســاکین المسلمین اطعمونی اطعمکم اللّٰه من موائـد الجنّـة. سـخن درویش بسـمع علی (ع) رسید، علی (ع) روی فرا فاطمه علیهما السّلام کرد، گفت:

فــــاطم ذات المجــــد و الیقین	یــا بنــة خــیر النّــاس اجمعین
اما ترین البائس المسکین	قد قام بالبـاب لـه حـنین
یشکو الی اللّٰه و یسـتکین	یشـکو الینـا جـائع حـزین

فاطمه علیها السّلام او را جواب داد:

امرك یا بن عمّ سمع طاعة	مــــا بی من لــــوم و لا ضـــــــــــــــــراعة
ارجو اذا اشـبعت ذا مجاعة	الحق بالاخیار و الجماعة

و ادخل الخلد و لی شفاعة آن گه طعام که پیش نهاده بود، جمله بدرویش دادند، و بر گرسنگی صبر کردند تا دیگر روز فاطمه علیها السّلام صـاعی دیگـر جـو آرد کرد و از آن نان پخت.
چون شب در آمد، وقت افطـار در پیش نهادنـد، یـتیمی از اولاد مهـاجران بـر در بایستاد.
گفت: السّلام علیکم یا اهل بیت محمد (ص)، یتیم من اولاد المهـاجرین استشـهد والدی یوم العقبة اطعمونی اطعمکم اللّٰه من موائد الجنّـة. علی چـون سـخن آن یتیم شنید، روی فرا فاطمه کرد علیهما السّلام گفت:

فاطم بنت السّـیّد الکـریم	قد جاءنـا اللّٰه بـذا الیـتیم
من یرحم الیوم فهو رحیم	موعــده في جنّــة النّعیم

فاطمه علیها السّلام جواب داد:

انّی لاعطیـــه و لا ابـــالی	و اوثــــر اللّٰه علی عیـــالی
امســــوا جیاعــــا و هم اشـــــــــــــــــبالی	اصغرهم یقتـل في القتـال.

هم چنان طعام که در پیش بود، جمله بیتیم دادند و خود گرسنه خفتند دیگــر روز آن صاع که مانده بود، فاطمه علیها السّلام آن را آرد کـرد و بنـان پخت و بـوقت خوردن اسـیری بـر در سـرای بایسـتاد گفت: السّـلام علیکم یـا اهـل بیت النّبـوّة اطعمونی اطعمکم اللّٰه من موائد الجنّة. آن طعام باسیر دادند، سه روز بگذشت که اهل بیت علی (ع) هیچ طعـام نخوردنـد و بـر گرسـنگی صـبر کردنـد و آن مـا حضر که بود ایثار کردند، مرد درویش را و یتیم را و اسیر را، تا ربّ العــالمین در شأن ایشان آیت فرستاد: وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً.

قوله: إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ هذه حكاية عن عقود القلب و النّيّات، و القول هاهنا مضمر، يعنى: و يقولون في انفسهم إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ اى لطلب ثوابه و لرؤيته لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً اى مكافاة «وَ لا شُكُوراً» اى شكرا، يعنى: و لا ان يثنى به علينا. الشّكور مصدر كالعقود و الدّخول و الخروج. قال مجاهد و سعيد بن جبير: انّهم لم يتكلّموا به و لكن علم اللّه ذلك من قلوبهم فاثنى عليهم.
إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً اى عقوبة يوما «عَبُوساً» اى ضيّقا كريها تعبس فيه الوجوه من هوله و شدّته و نسب العبوس الى اليوم كما يقال: يوم صائم و ليل نائم، و قيل: وصف اليوم بالعبوس ممّا فيه من الشّدّة. «قَمْطَرِيراً» شديدا غليظا اشدّ ما يكون من الايّام و اطوله في البلاء. سئل الحسن عن القمطرير، فقال: سبحان اللّه ما اشدّ اسمه و هو اشدّ من اسمه و قيل: العبوس و القمطرير كلاهما من صفة وجه الانسان في ذلك اليوم العبوس بالشّفتين و القمطرير بقبض الجبهة و الحاجبين.
فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ يعنى الّذين يخافون وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً اى اعطاهم «نَضْرَةً» في وجوههم وَ «سُرُوراً» في قلوبهم.
وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا على طاعة اللّه و اجتناب معاصيه و قيل: على ما صبروا على الفقر و الصّوم و الجوع. و في الخبر سئل رسول اللّه (ص) عن الصّبر. فقال: «الصّبر اربعة: اوّلها الصّبر عند الصّدقة الاولى، و الصّبر على اداء الفريضة، و الصّبر على اجتناب محارم اللّه، و الصّبر على المصائب»
قوله: جَنَّةً وَ حَرِيراً قال الحسن: ادخلهم الجنّة و البسهم الحرير. كقوله: «وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ». و قيل: حرير الجنّة اوراق الاشجار. و قيل: الحرير كناية عن لين العيش.
مُتَّكِئِينَ فِيها اى في الجنّة عَلَى الْأَرائِكِ اى على السّرور في الحجال و لا يكون اريكة الّا اذا اجتمعا. قال مقاتل: الارائك السّرور في الحجال من الدّر و الياقوت موضونة بقضبان الذّهب و الفضّة و الوان الجواهر. و قيل: الاريكة ما يتّكاء عليه لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً اى قيظا و لا شتاء. قال قتادة: علم اللّه سبحانه انّ شدّة الحرّ يوذى و شدّة البرد يوذى. فَوَقاهُمُ اللَّهُ اذيهما جميعا.
و قال مقاتل: الزّمهرير: شيء مثل رؤس الإبر ينزل من السّماء في غاية البرد، و في الخبر عن النّبي (ص) قال: اشتكت النّار الى ربّها فقالت أكل بعضى بعضا، فنفّسى فاذن لها في كلّ عامّ بنفسين نفس في الشّتاء و نفس في الصّيف، فاشدّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنّم و اشدّ ما تجدون من الحرّ من حرّها.
روى عن ابن عباس قال: فبينا اهل الجنّة في الجنّة اذا رأوا ضوء كضوء الشّمس و قد اشرقت الجنان لها فيقول اهل الجنّة: يا رضوان قال ربّنا عزّ و جلّ: لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً فيقول لهم رضوان: ليست هذه بشمس و لا قمر و لكن هذه فاطمة و علىّ ضحكا ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكهما
و فيهما انزل اللّه تعالى: هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ الى قوله: وَ كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً.
وَ دانِيَةً منصوب عطفا على قوله: مُتَّكِئِينَ. و قوله: عَلَيْهِمْ ظِلالُها اى قربت اشجار الجنّة منهم حتّى صارت كالمظلّة عليهم و ان لم يكن هناك شمس وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا اى ادنيت ثمارها لهم يتمكّنون من قطافها على الحال الّتى هم عليها قياما و قعودا و مضطجعين تدنّى. اليهم. قال مجاهد: ارضى ارض الجنّة من و رق و ترابها المسك و اصول شجرها ذهب و افنانها لؤلؤ و زبرجد و ياقوت و الثّمر تحت ذلك، فمن أكل قائما لم يوذه و من أكل قاعدا لم يوذه و من أكل

مضطجعا لم يوذه فذلك قوله عزّ و جلّ: وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا.
وَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ اى يـدير عليهم خـدمهم كـؤس الشّـراب و هى من فضّة و قيل: اوانى بيوتهم من فضّة. وَ أَكْوابٍ جمع كـوب و هـو الإبريـق لا عـروة له، و قـال مجاهـد: هى الاقـداح كـانَتْ قَـوارِيرَا قَـوارِيرَا مِنْ فِضَّـةٍ اى لهـا بيـاض الفضّة و صفاء القوارير، يرى ما في داخلها من خارجها و الاختيـار تـرك الصّـرف في قوارير و من صرف الاوّل فلكونـه رأس آيـة مرافقـة للآيـات الّـتى تقـدّمت و تـأخّرت، و من صـرف الثّـاني ايضـا فقـد اتّبـع اللّفـظ اللّفـظ على عـادة العـرب كقولهم: جحر ضـب خـرب. قولـه: قَـدَّرُوها تَقْـدِيراً اى جعلت الاكـواب على قـدر ريّهم، اى لا تزيد على مقدار شربهم و لا تنقص، اى قـدّرها لهم السّـقاة و الخـدم الّذين يطوفون عليهم يقـدّرونها، ثمّ يُسْـقَوْنَ و قيـل: قـدّروا في انفسـهم شـيئا و تمنّوه فكان كما تمنّوه.
وَ يُسْقَوْنَ فِيها اى في الجنّة كَأْساً من خمر كان مِزاجُها زَنْجَبِيلًا يشوّق و يطرب و الزّنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه جـدّا فوعـدهم اللّه تعـالى: انّهم يسـقون في الجنّة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنّة، و لا يشـبه زنجبيـل الجنّـة زنجبيـل الـدّنيا، زنجبيل الجنّة لا مرارة فيها و لا عفوصة.
قال ابن عباس: كلّ ما ذكر اللّه في القرآن ممّا في الجنّة و سـمّاه لـه في الـدّنيا مثل. و قيل: هو عين في الجنّة يوجد منها طعم الزّنجبيل يشربها المقرّبون صرفا و تمزج لسائر اهل الجنّة. قال ابن عيسى اذا مـزج الشّـراب بالزّنجبيـل فـاق في الالذاذ عَيْناً فِيها تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا اى يسقون من عين في الجنّة تسمّى سلسـبيلا» اى سلسلة منقادة لهم جديدة الجرية يصرّفونها حيث شاؤا. و قيـل: طيّبـة الطّعم و المذاق، تقول: هذا شراب سلسل و سلسلال و سلسبيل. قال مقاتل بن حيّان: سـمّيت سلسـبيلا لانّهـا تسـيل عليهم في الطّـرق و في منـازلهم تنبـع من اصـل العرش من جنّة عدن الى اهل الجنان و شـراب الجنّـة على بـرد الكـافور و طعم الزّنجبيل و ريح المسك و قال الزّجاج: سمّيت سلسـبيلا لانّهـا في غايـة السّلاسـة تتسلسل في الحلق و معنى قوله: «تُسَمَّى» اى توصف لانّ اكثر العلماء على انّ سلسبيلا، صفة لا اسم و في تفسير ابن المبارك معناه: سل سبيلا اليها، اى سـل اللّه اليها سبيلا، فيحتمل ان تكون العين مسمّاة بهذه الجملـة و يحتمـل ان يكـون الكلام قد تمّ على قوله «تُسَمَّى» اى تذكر ثمّ استأنف فقال: سل سبيلا و اتّصاله في المصحف لا يمنع صحّة هذا التّأويل لكثرة امثاله.
وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ اى غلمان ينشئهم اللّه لخدمـة المؤمـنين و قيـل: هم الاطفال لتسميتهم ولـدانا من الـولادة «مُخَلَّدُونَ» اى دائمـون لا يموتـون و لا يهرمـون و قيـل: «مُخَلَّدُونَ» اى محلّـون عليهم الحلىّ مشـتقّ من الخلـدة و هي جماعـة الحلىّ. و قيـل: «مُخَلَّدُونَ»، مقرّطـون مسـتورون. إِذا رَأَيْتَهُمْ حَسِـبْتَهُمْ لبياضهم و حسنهم لُؤْلُـؤاً مَنْثُـوراً و اللّؤلـؤ اذا نـثر من الخيـط على البسـاط كـان احسن منه منظوما، و قيل: انّما شبّهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة و لـو كـانوا صفّا لشبّهوا بـالمنظوم، و قيـل: معنـاه كـانّهم خلقـوا من اللّؤلـؤ المنثـور لصـفاء الوانهم و رقّة ابدانهم.
و في التّفسير: ما من انسان من اهل الجنّة إلّا و يخدمه الف غلام.
وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ يعـنى: الجنّـة رَأَيْتَ نَعِيمـاً وَ مُلْكـاً كَبِـيراً و قيـل: معنـاه وَ إِذا رَأَيْتَ ببصرك الجنّة رأيت ثمّ نعيما لا يوصف و ملكا كبيرا يدوم و لا ينقطع ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يـرى ادنـاه و قـال مقاتـل و الكلبى: هـو انّ رسـول ربّ العـزّة من الملائكـة لا يـدخل عليـه الّا باذنـه. و قيـل:

الملك الكبير قوله: لهم ما يشاءون فيها.
عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ قـرأ اهـل المدينـة و حمـزة: عـاليهم سـاكنة اليـاء مكسـورة الهاء، فيكون رفعا بالابتداء و خبره ثِيابُ سُـندُسٍ. و قـرأ الآخـرون بنصـب اليـاء و ضمّ الهاء فيكون نصبا على الحال، اى يطوف عليهم ولدان و عليهم ثياب سندس فيكون حالا للولدان و يجوز ان يكون حالا للابرار. و قيل: عالِيَهُمْ اى فوقهم ثِيـابُ سُندُسٍ فيكون منصوبا على الظّـرف و السّـندس من الـدّيباج و الحريـر مـا رقّ و الاستبرق.
ما غلظ. قـرأ نـافع و حفص: خُضْـرٌ وَ إِسْـتَبْرَقٌ مرفـوعين، عطفـا على الثّيـاب. و قرأهما حمزة و الكسائى: مجـرورين و قـرأ ابن كثـير و ابـو بكـر: خضـر بـالجرّ و استبرق بالرّفع، و قرأ ابو جعفر و اهل البصرة و الشّام: على ضدّه، فـالرّفع على نعت الثّياب و الجرّ على نعت السّـندس وَ حُلُّوا أَسـاوِرَ مِنْ فِضَّـةٍ يجـوز ان يكـون صفة للابرار و ان يكون صفة للولدان، و معناه: لبسوا في الجنّة أَساوِرَ مِنْ فِضَّـةٍ قيل: يوافق اسمه اسم الفضّة في الدّنيا و لكن عينه اجـل من عين الفضّـة الّـتى في الـدّنيا، و قـال في موضـع آخـر: «أَسـاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ». قيـل: الفضّـة للخـدم و الذّهب للمخدوم. و قيل: الفضّة للرّجال و الذّهب للنّساء، و قيل: يجمع بينهمـا، و قيل: في يد كلّ واحد منهم ثلاثة اسـورة واحـد من فضّـة و آخـر من ذهب و آخـر من لؤلؤ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً اى طاهرا من الاقذار و الاقـذاء لم تدنّسـه الايدى و لم تدسّه الا رجل كخمر الدّنيا. قال ابو قلابة و ابراهيم: يعنى انّه لا يصير بـولا نجسـا و لكنّـه يصـير رشـحا في ابـدانهم كـريح المسـك و ذلـك انّهم يؤتـون بالطّعام فاذا كان آخر ذلك اتـوا بالشّـراب الطّهـور فيشـربون فيطهـر بطـونهم و يصـير مـا اكلـوا رشـحا يخـرج من جلـودهم اطيب من المسـك الاذفـر و تضـمر بطونهم و تعـود شـهوتهم. و قيـل: يطهّـرهم من كـلّ اذى و من كـلّ غـلّ و غشّ، كقوله: «وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِـلٍّ» و قـال جعفـر: يطهّـرهم بـه عن كـلّ شيء سواه اذ لا طاهر من تدنّس بشيء من الاكوان و قال بعضهم: صلّيت خلف سهل بن عبد اللّه العتمة فقرأ قوله: وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُـوراً فجعـل يحـرّك فمه كانّه يمصّ شيئا فلمّا فرغ من صلوته قيل له: أ تقرأ ام تشرب؟ قـال: و اللّه لو لم اجد لذّته عند قراءته كلذّتى عند شربه ما قرأته.
إِنَّ هـذا كـانَ لَكُمْ جَـزاءً اى يقـال لهم انّ هـذا كـان لكم جـزاء باعمـالكم وَ كـانَ سَعْيُكُمْ اى عملكم في الدّنيا بطاعة اللّه مَشْكُوراً محمودا يثنى بـه عليكم و قيـل: عملكم مثاب عليه باكثر منه من قولهم دابّة شكور اذا اظهرت من السّـمن فـوق ما تعطى من العلف، فالعمل المشكور ان يكون الثّواب عليه كثيرا.
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا اى فرقنا انزاله فانزلناه آيـة بعـد آيـة في سـنين كثيرة.
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ اى ارض بقضـائه و احبس نفسـك على حـدّ الشّـريعة على مـا امـرت بـه من الاحكـام وَ لا تُطِـعْ مِنْهُمْ آثِمـاً أَوْ كَفُـوراً. الآثم: الفـاجر، و الكفـور: المبالغ في الكفر «او» هاهنـا بمعـنى الـواو، كانّـه قـال: و لا تطـع منهم آثمـا و لا كفورا. قال قتادة: اراد بالآثم الكفور ابا جهل، و ذلـك انّـه لمـا فـرض على النّـبي (ص) و هو يومئذ بمكّة نهاه ابو جهل عنها و قال لئن رأيت محمـدا يصـلّى لاطـانّ على عنقه فانزل اللّه هذه الآية. و قـال مقاتـل: اراد بـالآثم عتبـة بن ربيعـة، قـال للنّبى (ص): ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النّسـاء فقـد علمت قـريش انّى من اجملها بناتا فانا ازوّجك ابنتى و اسوقها اليك بغير مهـر، فـارجع عن هـذا الامـر! و قوله: «أَوْ كَفُوراً» يعنى: الوليد بن المغيرة، قـال للنّـبى (ص): يـا محمـد ان كنت

صنعت ما صنعت من اجل المال، فقد علمت قـريش انّى من اكـثرهم مـالا، فانـا اعطيك من المال حتّى ترضى فارجع عن هذا الأمر فانزل اللّه عزّ و جلّ وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً.
وَ اذْكُرِ اسْـمَ رَبِّكَ بُكْـرَةً وَ أَصِـيلًا بُكْـرَةً اى صـلاة الفجـر و أَصِـيلًا صـلاة الظّهـر و العصر.
وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ صلاة العشائين وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا اى التّطوّع بصلاة اللّيل، و قيل: المراد به الادامة على ذكر اللّه في الاوقات كلّها.
إِنَّ هؤُلاءِ يعنى: كفّار مكة يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ اى الدّار العاجلـة و هي الـدّنيا وَ يَـذَرُونَ وَراءَهُمْ يعـني: امـامهم و قـدّامهم، كقولـه: «وَ كـانَ وَراءَهُمْ مَلِـكٌ وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ» «يَوْماً ثَقِيلًا» اى يتركون الاستعداد ليوم ثقيل شديد عقوبته على الكافرين و هو يوم القيامة.
نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ اى خلقهم، يقال: اسـر الرّجـل احسـن الاسـر، اى خلق احسن الخلق و قيل: احكمنا خلقهم و مفاصلهم و اوصالهم بعضـا الى بعض بالعروق و العصب و قيل: معناه حفظ عليهم مخارج حاجاتهم يمسكها مـتى شـاء و يرسلها متى شاء. وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثـالَهُمْ تَبْـدِيلًا اى اذا شـئنا اهلكنـاهم و جئنـا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم.
إِنَّ هذِهِ اى هذه السّورة و هذه الآيات تذكرة، اى عظة و تذكير للخلق و تبيين مـا هو خير لكم فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا اى الى ثـواب ربّـه بطاعتـه و ايمانـه و توبتـه و اتّبـاع رسـله. «سَـبِيلًا» اى وسـيلة، ثمّ اخـبر انّ ذلـك ليس بموكـول الى مشيّتهم فانّ المدار فيه على المشيّة القديمة فقال: وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ اى لستم تشاءون الّا بمشيّة اللّه انّ الامر اليه لا اليكم. قرأ ابن كثير و ابن عـامر و ابو عمرو: يشاءون بالياء و قرأ الباقون بالتّاء إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً عالما بالمهتدى و الضّالّ «حَكِيماً» فيما شاء بمن شاء.
يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ اى في جنّته و هو المؤمنون المطيعون، و قيل: يوفّـق من يشاء لطاعته في الـدّنيا و يـدخل الجنّـة من يشـاء منهم في الآخـرة. و قيـل: «فِي رَحْمَتِهِ» اى في دينه. وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً اى و يعذّب الظّـالمين الكافرين عذابا وجيعا.
النوبة الثالثة
قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اسم جبّار توحّد في آزاله بوصف جبروته و تفرّد في آباده بنعت ملكوته. فازله ابده، و ابده ازله. جبروتـه ملكوتـه، و ملكوتـه جبروته. احدىّ الوصف، صمدىّ الذّات، سرمدىّ الصّفات، لا يشبهه كفـو في ذاتـه و صفاته. و لا يسـتفزّه لهـو في اثبـات مصـنوعاته و لا يعتريـه سـهو في علمـه و حكمته و لا يعترضه لغو في قوله و كلمتـه فهـو حكيم لا يلهـو و عليم لا يسـهو. و كريم يثبت و يمحوا، فالصّدق قوله، و الخلق خلقه و الملك ملكه.
بنام او كه عقلها خـيره در جلال و عظمت او، بنـام او كـه خردهـا سراسـيمه در عالم مشيّت بى علّت او، بنام او كه برهان كبرياء او هم كبريـاء او، دليـل هسـتى او هم هستى او. بنام او كه عبارت از مدح و ثناء او بدستورى او، ياد داشت و ياد كرد او بفرمان او. بنام او كه طلب او بكشش او و يافت او بعنـايت او. كـدام تن بينى نه گداخته قهر او؟ و كدام دل بينى نه نواخته لطف او؟ كدام جانست نـه در مخلب باز عزّت او؟ كدام سرست نـه سرمسـت شـراب محبّت او، كـدام چشـم است نه منتظر ديـدار او. كـدام گـوش اسـت نـه در آرزوى گفتـار او. رو بزاويـه درويشان گـذرى كن تـا بيـنى سـوز طلب او، بكـوى خراباتيـان شـو تـا بيـنى درد

نایـافت او. در کلیسـای ترسـایان نشـاط جسـت و جـوی او، در کنشـت جهـودان آرزوی یافت او، در آتشگاه گبران درد واماندگی از او.

دل داده بســــــی بینم و جوینـده یـار بی عـدد، یـار دلــــــــــــــدار یکی یکی.

الهی همه عالم ترا میخواهند. کار آن دارد که تا تو کرا خواهی بناز کسـی کـه تـو او را خـواهی کـه اگـر برگـردد ز تـو او را در راهی. قولـه تعـالی: هَـلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ مفسّران گفتند: انسان اینجا آدم است و حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ اشارتست بآن روزگار که جسدی بـود بـیروح میـان مکـه و طـایف افکنـده چهـل سال، اگر کسی گوید: چه حکمتسـت در آن کـه آدم را چهـل سـال میـان مکـه و طایف چنان بگذاشت و در آفرینش وی مهلت افکنـد؟ جـواب آنسـت کـه: ظـاهر آدم از گل بود و در گل مهلت نمبایسـت، امّـا در دل مهلت مبایسـت نـه مهلت قدرت میگویم که مهلت حشمت میگویم. آدم نه چـون دیگـر مخلوقـات بـود کـه آفـرینش ایشـان بـه کن فیکـون تمـام شـد. آدم در آفـرینش اصـل بـود و دیگـر مخلوقات تبع وی بود، هر چه آفرید از بهر آدم آفرید و آدم را از بهـر خـود آفریـد «خلقتك فردا لفرد».
در نهاد آدم دلی مبابد که مرا شناسد، زبانی مبابد که مرا ستاید، دیدهای مبابد که مرا بیند، دستی مبابد که کاس وصل گیرد، قدمی مبایـد کـه در راه مـا رود. اگر بلحظتی در وجود آرم قدرت خود آشکارا کرده باشم، و اگـر سـالها در میـان آرم حشمت و بزرگی وی پیدا کرده باشم، و مـا حشـمت دوسـتان خـود آشـکارا کردن دوسترا ز آن داریم کـه قـدرت خـود نمـودن، زهی دولت و کـرامت کـه از درگاه عزّت روی به آدم نهاد که او را بصد هزار ناز و اعزاز در راه آورد و طــراز راز «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ» بر کسـوت دولت او کشـید. و خـال اقبـال «وَ نَفَخْتُ فِيـهِ مِنْ رُوحِي» بـر رخسـار جمـال صـفوت او زد، و خلعت رفعت «لِمـا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» در وی پوشید و بمقامیش رسانید که در صف صفوت بر بسـاط شـهود او را شراب محبّت داد. وز مناط ثریّا تا منقطع ثری امین حشمت اویست و ملائکه ملکوت را سجود او فرمود و آن گه با اینهمه کـرامت کـه بـا وی کـرد حشـمت و رتبت و مـنزلت وی پدیـد نیامـد، تـا خطـاب «وَ عَصـی آدَمُ» درو پیوسـت آن گـه حشمت وی پیدا شد. زیرا که نواخت در وقت موافقت دلیل کرامت نبود، نواخت در وقت مخالفت دلیل عزّ و کرامت بود. آدم چون بـر تخت جمـال و کمـال بـود، تاج اقبال بر سر و حلّه کرامت در بر، چه عجب بود گر ملك و فلك او را خـدمت کنند؟ عجب آن باشد که در وهده زلّت افتد و رقم «وَ عَصی آدَمُ» بـر وی کشـند و آن گه با عصیان و مخالفت تاج «ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ» بر سـر خـود بینـد! مـردی کـه عیال دارد و با وی در صحبت است، او ندانـد کـه عیـال خـود را دوسـت میـدارد، زیرا که آن محبّت پوشیده نعمت و صحبت است باش تا فراق در میان افتــد، آن گه دوستی پدید آید. آدم دوست بود، لکن دوستی وی پوشیده نعمت بهشت بود، زیرا که نه هر کجا نعمت بود آنجا دوستی بود. همـه روم پـر از نعمت زر و سـیم است و آنجـا ذرّهای محبّت نـه پس چـون حجـاب بهشـت از پیش آدم برخاسـت، حقیقت محبّت آشکارا گشت.
ابلیس آن گه که ابلیس بود، کس ندانست که ابلیس است و نه نیز خود دانست، عابدی و ساجدی مینمود، کمر خدمت بسته و چهره بـآب مـوافقت شسـته چـون پایش بلغزید، پدید آمد که نه دوست است و نـه بنـده و آدم صـفی دوسـت بـود، لکن سرّ دوستی درستر نعمت بود، چون پایش بلغزید پدیـد آمـد کـه هم دوسـت

است و هم بنده.
إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً براستى كه نيكان و نيك مردان فردا در بهشت شراب مىآشامند از جام لطف، شرابى برنگ كافور، ببوى مشك، شرابى براندازه بايسته، نه از قدر بايست چيزى كاسته و نه افزونى بسر آمده كاسته و دربايسته، هر دو عيب است و بهشت از عيب رسته.
عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً چشمهاى از بوم بهشت روان و فرمان بهشتى بدو روان، مىرانند آن را چنان كه ميخواهند آنجا كه خواهند در بالا و در نشيب، بر قصور و غرف، بر فرش و بساط، بر سندس و استبرق روان، دريابنده و رونده و بيجان، نه جامه ازو تر نه او را بر هيچ كدر گذر، چشمها بر هم گشاده، كافور در زنجبيل و زنجبيل در كافور، اين از برودت رسته، و آن از حرارت دور هر يكى بر حدّ اعتدال بداشته، نه مصنوع خلق و نه از خلق دريغ داشته شراب بى كدر شارب بى سكر، ساقى ديده ور شراب انس در جام قدس، در مجلس وجود، بر بساط شهود، از دست دوست در عين عيان، بى هيچ زحمت در ميان. اى جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب در جام دل ريزد، ديده جان نوش كند:

و اسكر القوم دور كاس — و كان سكرى من المدير.

قومى را شراب مست كرد، و مرا ديدار ساقى لا جرم ايشان در آن مستى فانى شدند و من درين مستى باقى.
بزرگى را بخواب نمودند كه: معروف كرخى گرد عرش طواف ميكرد و ربّ العزّة فريشتگان را ميگفت: او را شناسيد؟ گفتند: نه گفت: معروف كرخى است، بمهر ما مست شده، تا ديده او بر ما نيايد هشيار نگردد:

آن را كه بدوستى ورا مست كنند — عالم همه در همّت وى پست كنند
در دوستيش نيستيى هست كنند — آن گه بشراب وصل سرمست كنند

شراب دو است: يكى امروز، يكى فردا: امروز شراب ايناس و فردا شراب كاس امروز شراب از منبع لطف روان، فردا شراب طهور از كف رحمن.
سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً هر كرا امروز شراب محبّت نيست، فردا او را شراب طهور نيست امروز شراب محبّت از كاس معرفت مىآشامند و فردا شراب طهور در حضرت ملك غفور مىنوشند. امروز شراب محبّت در بهشت عرفان، و فردا شراب طهور در بهشت رضوان. بهشت عرفان امروز دل عارفانست، ديوارش ايمان و اسلام و زمينش اخلاص و معرفت، اشجار تسبيح و تهليل، انهار تقوى و توكّل، دور و قصور از علم و زهد، غرفه و منظر از صدق و يقين، رضوانش رضا بقضا هر كرا امروز فردوس دل او آراسته بطاعت و عبادت بود، فردا او را فردوس رضوان بود آن فردوس كه ديوار او از سيم و زر، زمين او از ياقوت و زبرجد، تربت از مشك و عنبر، انهار آب و شير و مى و عسل، شراب تسنيم و رحيق و سلسبيل، طعام لحم طير بر مائده خلد، خدمتكاران ولدان و غلمان غمگسار حورا و عينا، رفيقان حبيب و خليل، حريفان شهداء و صالحين، صدّيق و فاروق و ذو النّورين و مرتضى نشستگاه مساكن طيّبه، تكيهگاه سرر مرفوعه، تماشاگاه «مَقْعَدِ صِدْقٍ» و حظيره قدس، نظاره گاه جلال و جمال حقّ

فردا همه مؤمنان حقّ را به بینند، امّا هـر یکی بـر قـدر شـناخت خـویش بینـد انّ اللّٰه یتجلّی للمؤمنین عامّة و لابی بکر خاصّة. چون کس را معرفت بو بکـر نبـود، کس را با او در دیدار شرکت نبود.

پیر طریقت گفت: «در دیدار بانبازی چه لذّت بود؟ مجلسی بایـد از زحمت اغیـار خالی و دوست متجلّی و نگرنده در دیده فانی، آن چشم که درو نگرد هرگز فــرا کرده نبود، آن دیده که او را دید بر آن دیده تاش نبود، خوانـده او هرگـز بـدبخت نبود، نزدیك کرده او را در دو گیتی جای نبود. مصحوب او را ببهشت حاجت نبود. مست او را جز ازو ساقی نبود وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً.

77- سورة المرسلات- مكية

النوبة الاولى

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بنام خداوند فراخ بخشايش مهربان
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً (1) بادهاى فرو گشاده پياپى پيوسته.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً (2) خاصّه آن باد سخت كشتى شكن.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً (3) و بفريشتگان آن كراسه گشايندگان خواندن را.
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً (4) خاصّه ايشان كه پيغام خداى بـر پيغـامبران خـداى مافكننـد ميان حقّ و باطل.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً (5) و خاصّه آن فريشـتگان كـه قـرآن مافكننـد بـر دل و گـوش پيغامبران.
عُذْراً أَوْ نُذْراً (6) عذر باز نمودن را و آگاه كردن را.
إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ (7) كه آنچه شما را مترس دهند، براستى كه بودنى است.
فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) آن گاه كه ستارگان روشنايى آن بسترند.
وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ (9) و آن گه كه آسمان بگشايند و بشكافند.
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ (10) و آن گه كه كوهها از بيخ بركنند و بروانند.
وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) و آن گه كه پيغمبران را بر هنگامى حاضر كنند.
لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) و چه روز را و هنگام را حاضر كنند.
لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) روز داورى بر گشادن را.
وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ (14) و چه چيز ترا دانا كـرد كـه روز داورى برگشـادن چه روزست؟
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) ويل آن روز هر دروغ زن گيران را بآن روز.
أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) نه پيشينيان را و پدران ايشان را تبـاه و نيسـت كـرديم و ميرانيديم؟
ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) و آن گه پسينان را بمرگ پس ايشان مبريم.
كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) هم چنان كنيم با اين بدان پس ايشان مبريم.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (20) نه شما را از آبى ننگين و خوار آفريديم؟
فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (21) آن آب را آرام داديم در آرامگاهى نهفت.
إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22) تا باندازهاى دانسته و هنگامى نامزد كرده.
«فَقَدَرْنا» اندازه نهاديم فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (23) نيك مقدّر كه مائيم.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً (25) زمين را نهان دارنده نكرديم، تا مىپوشد.
أَحْياءً وَ أَمْواتاً (26) زندگان را و مردگان را.
وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ و نه در آن كوههاى بلند گران آفريديم.
وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً (27) و نه شما را آبى داديم خوش گوارنده آشاميدنى.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
انْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) رويد بآنچه مى دروغ شمرديد.
انْطَلِقُوا رويد هين إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ (30) بسايه سه شاخ.
لا ظَلِيلٍ نه باز پوشنده و نه خنك وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) و نه باز دارنده تف و زبانه آتش.
إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) ماندازد آن زبانه آتش هر برزهاى چون كوشكى.
كَأَنَّهُ جِمالَتٌ صُفْرٌ (33) گويى كه شتران سياهاند.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ (35) آن آن روزست كه هيچكس سخن نگويد.
وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) و دستورى ندهند ايشان را تا جرم خويش بحجّت بپوشند و عذر دهند.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
هذا يَوْمُ الْفَصْلِ ايشان را گويند اين روز داورى برگشادن است.
جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (38) شما را با هم آورديم و ايشان را كه پيش از شما بودند.
فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) اگر شما را دستانى است؟ بسازيد، يا سازى توانيد؟ با من پيش آريد!
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ (41) پرهيزگاران در سايههااند پاى چشمهها.
وَ فَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) و ميوهها از هر چه آرزو كنند.
كُلُوا وَ اشْرَبُوا ميخوريد و ميآشاميد هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) گوارنده باد و نوش بآن كردار نيكو كه در دنيا ميكرديد.
إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) ما پاداش چنين دهيم نيكوكاران را
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) ويل آن روز بدروغ زن گيران.
كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا ميخوريد و برخوردار باشيد روزگارى اندك إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) كه شما بد كردارانيد.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) ويل آن روز بدروغ زن گيران
وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا و چون ايشان را گويند: نماز كنيد لا يَرْكَعُونَ نماز نكنند.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) ويل آن روز دروغ زن گيران را.
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50) بكدام سخن پس اين قرآن كه بآن نميگروند بخواهند گرويد؟

النوبة الثانية

اين سوره را دو نام است، سورة المرسلات و سورة العرف. پنجاه آيتست صد و هشتاد و يك كلمت، هشتصد و شانزده حرف جمله به مكه فرو آمد و در مكيّات شمرند. عبد اللّه مسعود گفت: من با رسول خدا (ص) بودم، ليلة الجنّ كه اين سوره بوى فرو آمد ابن عباس گفت: همه سوره مكّى است، مگر يك آيت كه به مدينه فرو آمد: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ. درين سوره نه ناسخ است و نه منسوخ. و در فضيلت اين سوره ابى بن كعب روايت كند از مصطفى (ص) گفت: هر كه اين سوره برخواند نام او در ديوان مؤمنان نويسند و گويند: اين از مشركان نيست. در روزگار خلافت عمر مردى بيامد از اهل عراق نام او صبيغ و از عمر ذاريات و مرسلات پرسيد.
صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى، يعنى كه تا مردم در آن فرو مانند. عمر او را درّه زد و گفت: لو وجدتك محلوقا لضربت الّذى فيه عيناك.
اگر من ترا سر سترده يافتمى ترا گردن زدمى. عمر اين سخن از بهر آن گفت كه از رسول خدا (ص) شنيده بود در صفت خوارج كه: «سيماهم التّلحيق»، گفت: در امّت من قومى خوارج برون آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند. پس عمر نامه نبشت به ابو موسى اشعرى و كان اميرا على العراق كه يك سال اين صبيغ را مهجور داريد، با وى منشينيد و سخن مگوييد. پس از يك سال صبيغ توبه كرد و عذر خواست و عمر توبه وى و عذر وى قبول

كرد شافعى گفت: حكمى في اهل الكلام كحكم عمر في صبيغ.
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً سخن متّصل است و منتظم تا: فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً، و مراد از همه فريشتگانست بقول بعضى مفسّران وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً يعنى: الملائكة ترسل بالمعروف و طريق البرّ و محاسن الافعال و مكارم الاخلاق، كقوله عزّ و جلّ: وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ. و العرف: بمعنى المعروف و هو المصدر و يسمّى الشّىء الحسن عرفا كما يسمّى الشيء القبيح: نكرا، اى منكرا.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً يعنى: ملائكة العذاب يعصفون بارواح الكفّار «عَصْفاً» اى يسرعون بها.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً يعنى: الملائكة تنشر صحائف الوحى على الانبياء و السّفرة تنشر المصاحف في السّماء من قوله: «كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً».
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً يعنى: الملائكة تفرق بالوحى بين الحلال و الحرام.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً يعنى: الملائكة تلقى الوحى الى الانبياء كقوله: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» الالقاء: الإبلاغ و الاعلام. قال اللَّه تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا و الذّكر هاهنا القرآن. و قال بعض المفسّرين: المراد بالكلّ الرّياح. قالوا: وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً يعنى: الرّياح ترسل متتابعة كعرف الدّيك و كعرف الفرس يتلوا بعضها بعضا لا يخلو الجوّ من ريح قطّ و الّا كرب الخلق من عاصف او رخاء او نسيم.
فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً هى الرّياح الشّديدات الهبوب.
وَ النَّاشِراتِ نَشْراً هى الرّياح الليّنة، و قيل: هى الرّياح الّتى يرسلها اللَّه نشرا بين يدى رحمته، و قيل: هى الرّياح الّتى تنشر السّحاب و تأتى بالمطر.
فَالْفارِقاتِ فَرْقاً هى الرّياح تفرّق السّحاب فتجعله قطعا و تذهب به.
فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً هى الرّياح على معنى انّه يتّعظ بها ذوو الأبصار و يحتمل انّ المرسلات عرفا هى لسور المنزلة و الآيات و كذا: فَالْفارِقاتِ فَرْقاً آيات القرآن تفرق بين الحقّ و الباطل.
عُذْراً أَوْ نُذْراً اى اعذارا و انذارا. تأويله ارسل اللَّه الملائكة الى الانبياء لاجل الاعذار و الانذار اعذارا من اللَّه الى خلقه لئلّا يكون لاحد حجّة فيقول: لم يأتنى رسول اللَّه (ص) و انذارا من اللَّه لهم من عذابه و انتصبا على المفعول له. قرأ ابو عمرو و حمزة و الكسائى و حفص: «عُذْراً أَوْ نُذْراً». بالتّخفيف ساكنة الذّال. قالوا: لانّهما في موضع.
مصدرين و هما الاعذار و الانذار و ليسا بجمع فيثقلا. و قرأ روح عن يعقوب و الوليد عن اهل الشام: بالتّثقيل و التّحريك فيهما. و الباقون بتخفيف الاولى و تثقيل الثّانية و هما لغتان. عن ابن عباس في قوله عزّ و جلّ عُذْراً أَوْ نُذْراً قال: يقول اللَّه عزّ و جلّ يا ابن آدم انّما أمرّضكم لا ذكركم و امحّص به ذنوبكم و اكفّر به خطاياكم و انا ربّكم اعلم انّ ذلك المرض يشتدّ عليكم و انا في ذلك معتذر اليكم.
إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ هذا موقع الاقسام الاربعة، اى ما وعدتم من البعث و الحساب لكائن عن قريب ثمّ بيّن وقت وقوعه فقال: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ اى ذهب ضوؤها و محى نورها. و قيل: محيت آثارها كما يمحى الكتاب.
وَ إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ اى صدعت و شقّقت و وقعت فيها الفروج الّتى نفاها بقولها و مالها من فروج. و قيل: فتحت.
وَ إِذَا الْجِبالُ نُسِفَتْ حرّكت و قلعت من اماكنها و اذهبت بسرعة حتّى لا يبقى لها اثر، يقال: انتسفت الشّىء اذا اخذته بسرعة.

وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ قرأ اهل البصرة: وقّتت بالواو و قرأ ابو جعفر: بالواو و تخفيف القاف و قرأ الآخرون بالالف و تشديد القاف و هما لغتان و العرب تبدل الالف من الواو و الواو من الالف. يقول وسادة و اسادة و كتاب مورّخ و مارّخ و قوس مؤتّر و مأتّر و معنى اقّتت جمعت لميقات يوم معلوم و هو يوم القيامة ليشهدوا على الامم. و قيل: جعل يوم الفصل لهم وقتا كما قال: انّ يوم الفصل ميقاتهم اجمعين، و قيل: ارسلت لاوقات معلومة، علم اللّه سبحانه، فارسلهم لاوقاتهم علم ما علمه و اختاره.
لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هذه كلمة تعجيب و تعظيم، يعجّب العباد من ذلك اليوم. و معنى «أُجِّلَتْ» وقّتت، كقوله، عزّ و جلّ: وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا ثمّ اجاب نفسه فقال: لِيَوْمِ الْفَصْلِ. قال ابن عباس: يوم يفصل الرّحمن بين الخلائق و معنى «الْفَصْلِ»: الحكم. و الفيصل: الحاكم، اى يحكم بين المحسن و المسىء و بين الرّسل و مكذّبيها. و قيل: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ اى لاىّ يوم اخّر الرّسل و ضرب الاجل لجمعهم لِيَوْمِ الْفَصْلِ اى ليوم القضاء بين الخلق. ثمّ قال على جهة التّهويل و التّعظيم لشأن ذلك اليوم.
وَ ما أَدْراكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ من اين تعلم كنهه و لم تعهد مثله.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هذه الآية تتكرّر في هذه السّورة عشر مرّات و فيها ثلاثة اقوال: احدها انّ القرآن عربىّ و من عادتهم التّكرار و الاطناب كما في عادتهم الاختصار و الايجاز. و الثّاني انّ كلّ واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلا يكون مستهجنا و لو لم يكرّر كان متوعّدا على بعض دون بعض، الثّالث انّ بسط الكلام في التّرغيب و التّرهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز و قد يجد كلّ احد في نفسه من تأثير التّكرار بالاخفاء به ثمّ بعد بدا ايجاب الويل في الآخرة لمن كذّب بها بذكر من اهلك من امم الانبياء الاوّلين كقوم نوح و عاد و ثمود. فقال: أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ الم نمتهم و نستأصلهم بالعقوبة، استفهام في معنى التّقرير.
ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ اى نلحق المتأخّرين الّذين اهلكوا من بعدهم بهم كقوم ابراهيم و قوم لوط و اصحاب مدين و آل فرعون و ملائه ثمّ توعّد المجرمين من امّة محمد (ص) فقال: كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ اى مثل الّذى فعلنا بهم نفعل بالمكذّبين من قومك.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اى لمن كذّب بالآخرة بعد أن احتجّ عليه في هذه الآية باهلاك الامّة بعد الامّة و انّهم على اثرهم في الهلاك ان اقاموا على الاشراك و الاشارة بقوله: «يومئذ» الى وقت اهلاكهم ثمّ احتجّ عليهم في الآية الأخرى بقوله: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ اى نطفة ضعيفة. الميم في المهين اصليّة و مهانتها قلّتها و خسّتها. و قال فرعون لموسى. هو مهين، اى قليل فقير و كلّ شىء ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته و قالت عائشة: كان رسول اللّه (ص) في مهنة اهله.
فَجَعَلْناهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ يعنى الرّحم يستقرّ فيه الماء و يتمكّن. و قيل: يتمكّن فيه الولد.
إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ يعنى: الى وقت خروج الولد و بلوغ حدّ الكمال. و قيل: إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ اربعين يوما نطفة، و اربعين يوما علقة كقوله: «و نقرّ في الارحام ما نشاء الى اجل مسمّى خلقا من بعد خلق».
فَقَدَرْنا قرأ اهل المدينة و الكسائى: فقدّرنا بالتّشديد من التّقدير و قرأ الآخرون بالتّخفيف من القدرة لقوله: فَنِعْمَ الْقادِرُونَ. و قيل: معناهما واحد فنعم

القادرون، اى فنعم المقدّرون يعـنى: تقـدير الولـد نطفـة ثمّ علقـة ثمّ مضـغة ثمّ عظامـا و قيـل: «فَقَـدَرْنا» من القـدرة، اى قـدرنا على خلقكم حـالا بعـد حـال و صورة بعد صورة.
و قيل: «فَقَدَرْنا» «فَنِعْمَ الْقادِرُونَ» اى فملكنا فنعم المالكون ثمّ احتجّ عليهم في الثّالثة بقوله: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً اى كنّا و غطاء تضمّ الاحياء على ظهورهـا و الاموات في بطونها. يقال: كفت الشّىء. يكفته اذا ضمّه و جمعه. و في الحـديث عن رسول اللّه (ص): «امرت ان اسـجد على سـبعة اعضـاء و لا اكفت ثوبـا و لا شعرا»
و شهد الشّعبى جنازة فسئل عن قولـه: أَ لَمْ نَجْعَـلِ الْأَرْضَ كِفاتـاً أَحْيـاءً وَ أَمْواتـاً فاشار الى البيوت و قال: هذه كفات الاحياء، ثمّ اشـار الى القبـور، و قـال: هـذه كفات الاموات. و في الحديث: «ضمّوا فواشيكم و اكفتوا صبيانكم»
اى ضمّوهم اليكم و اجيفوا الأبواب و اطفئوا المصـابيح فـانّ للشّـيطان خطفـة و انتشارا فعلى هذا القول تقدير الآية: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً للخلق أَحْياءً وَ أَمْواتاً فيكون الاحياء و الاموات حالين للخلق. معنى آنسـت كـه: نـه مـا اين زمين نهـان دارنده خلق كرديم، همـه را ميپوشـد، زنـدگان را و مردگـان را. زنـدگان را مـادر است، و مردگان را چادر است، و روا باشد كه احيـاء و امـوات نعت زمين نهنـد. احياء زمين مأهول است مزروع كه در آن مردم بود و نباتات و درخت، و امـوات زمين مـوات اسـت غـيران و بيابـان از خلـق تهى و از نباتـات و درخت خـالى. ميگويد، جلّ جلاله: ما اين زمين را نهان دارنده نكرديم و آن را پاره پاره زنـده و مرده نكرديم.
وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ اى جبالا ثوابت طوالا. و رجـل شـامخ اى متطـاول متكبّر، قال الشّاعر:

ايّهـا الشّـامخ الّـذى لا يـــــــــــرام	نحن من طينـة عليـك السّـــــــــلام.

ولدى الموت تستوى الاقدام وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً اى جعلنـاه سـقيا لكم و قيـل، مكنـاكم من شـربه و سـقيه دوابكم و مـزارعكم. قـال ابن عبـاس: اصـول انهـار الارض اربعة: سيحان و الفرات و النّيل و جيحـان، فسـيحان دجلـه و جيحـان نهـر بلخ، و هى من الجنّـة و تنبـع في الارض من تحت صـخرة عنـد بيت المقـدس. و معنى الفرات: اعذب العذوبة ضدّ الاجاج و كلّ عذب من الماء الفرات.
«وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَـذِّبِينَ» بمـا وعـد اللّه فيهـا و اخـبر عن قدرتـه عليهـا. قـال اللّه تعالى: مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى و في جميع ما ذكر في الآيـة دليـل على انّـه قـادر عليم و صـانع حكيم، لم يخلـق النّـاس عبثـا و لم يتركهم سدى و هو كما يبـدى يعيـد. قولـه: «انْطَلِقُـوا» القـول هاهنـا مضـمر، اى تقول لهم الخزنة: يا معشر المشركين انطلقوا الى ظل ذى ثلث شـعب مـا كنتم به تكذبون اى امضوا الى النّـار الّـتى كنتم تكـذّبون من اخـبركم بهـا انْطَلِقُـوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ هذا الظّلّ هو اليحمـوم دخـان جهنّم يطبـق على الخلـق. ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ شعبة عن يمينهم و شعبة عن يسـارهم و شـعبة من فـوقهم، فيحيـط بهم كقوله: «أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها». و قيل: «ثَلاثِ شُعَبٍ» شعبة من النّار و شعبة من الدّخان و شعبة من الزّمهريـر. و قيـل: يخـرج عنـق من النّـار فتنشـعب ثلاث شعب امّا النّور فيقف على رؤس المؤمنين و الدّخان يقف على رؤس المنـافقين و اللّهب الصّافى يقف على رؤس الكافرين ثمّ وصف ذلك ظلّ فقال: «لا ظَلِيلٍ» اى ليس فيه برد و لا راحة وَ لا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ اى و لا يـدفع عنهم شـيئا من حـرّ

جهنّم.
«إِنَّها» يعنى: النّار «تَرْمِي بِشَرَرٍ» هى ما يتطاير من النّار واحدتها شررة «كَالْقَصْرِ» يعنى: كالبناء العظيم من هذه القصور المبنيّة و الحصون العظيمة. و قال عبد الرّحمن بن عابس: سألت ابن عباس عن قوله: إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ قال: هى الخشب العظام المقطّعة و كنّا نعمل الى الخشب فنقطعها ثلاثة اذرع و فوق ذلك و دونه ندخرها للشّتاء فكنّا نسمّيها القصر و قال سعيد بن جبير و الضحاك: هى اصول النّخل و الشّجر العظام واحدتها قصرة مثل تمرة و تمر و جمرة و جمر.
كَأَنَّهُ جِمالَتٌ و قرأ حمزة و الكسائى و حفص: جمالة على جمع جمل مثل حجر و حجارة. و قرأ يعقوب بضمّ الجيم بلا الف اراد الاشياء العظام المجموعة المجملة و قرأ الآخرون: جمالات بالالف و كسر الجيم على جمع الجمال و هي جمع الجمع. و قيل: جمع جمل كرجالات جمع رجل قوله: «صفر» اى سود، و العرب يسمّى السّود من الإبل صفرا لانّه تعلو سوادها صفرة كما قيل لبيض: الظّباء ادم لانّ بياضها تعلوه كدرة. و في الخبر: انّ شرر نار جهنّم سود كالقير. شبّه الشّرر بالقصر و بالجمال في الكبر و في الكثرة و في اللّون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما ذكرناه ثمّ يقال لهم ثانيا.
هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ يوم القيامة يوم ممتدّ فيه حالات و مواقف فيمكنون من الكلام في بعضها و ذلك في قوله: «عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» و يمنعون الكلام في بعضها لقوله: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ و اضافته الى الفعل يدلّ على انّ المراد منه زمان او ساعة كقولك: آتيك يوم يقدم زيد و انّما يقدم في ساعة. و قيل «لا يَنْطِقُونَ» اى لا يجدون حجّة يحتجون بها.
وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ اى ليس لهم عذر فيؤذن لهم في الاعتذار و لو كان لهم عذر لم يمنعوا. قال الجنيد: اى عذر لمن اعرض عن منعمه و كفر اياديه و نعمه. و قيل: الفاء في قوله: «فَيَعْتَذِرُونَ» ليست للجواب انّما هى عطف على الجحد في قوله: «لا يَنْطِقُونَ» و التّقدير هذا يوم لا ينطقون و لا يعتذرون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بحجج اللّه ثمّ يقال لهم ثالثا: هذا يَوْمُ الْفَصْلِ اى هذا يوم الجزاء و يوم يفصل بين اهل الجنّة و النّار فيبعث فريق الى الجنّة و فريق الى النّار، جمعناكم فيه و الاوّلين من الامم الماضية.
فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ اى ان كانت لكم حيلة الى التّخلص من حكمى فاحتالوا لانفسكم و تخلّصوا من حكمى لو قدرتم، يعنى: ان قدرتم على ما كنتم تفعلونه قبل من العناد لرسلى و التّكذيب بآياتى و ترك الاصغاء الى قولى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً الآية فافعلوا ثمّ قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بهذه الآية و مضمونها و معناها.
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ اى ظلال اشجار الجنّة و عيون تفجر منها انهار الجنّة.
وَ فَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ لذيذة مشتهاة يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً لا يشوبه مكروه و لا ينقطع بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدّنيا بطاعتى.
إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ اى نثيب الّذين احسنوا في تصديقهم رسولى.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما ذكرنا ثمّ خاطب في عصر النّبي (ص) من المشركين مبالغة في زجرهم و انّهم في ايثارهم العاجلة الفانية على الآجلة الباقية من جملة المجرمين الّذين قال فيهم عند مفتتح هذه الآى كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ فرجع آخر الكلام الى اوّله فقال: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ اى عيشوا

فِي الدّنيا متمتّعين مسرورين ايّاما قلائل إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ و عاقبة المجرمين النّار.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بما اعددناه للكفّار من العذاب الاليم.
وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ كانوا في الجاهليّة يسجدون للاصنام و لا يركعون لها فصار الرّكوع من اعلام صلوة المسلمين للّه عزّ و جلّ و قال مقاتل: نزلت هذه الآية في بنى ثقيف حين امرهم رسول اللّه (ص) بالصّلاة فقالوا: لا ننحنى فانّه مسبّة علينا. فقال رسول اللّه (ص): «لا خير في دين ليس فيه ركوع و لا سجود».
و قال ابن عباس: هذا في القيامة، يقال لهم: «اركعوا» فلا يستطيعون كما يدعون الى السّجود فلا يستطيعون.
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بالصّلاة و وجوبها.
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ فباىّ كتاب، و باىّ خطاب، و باىّ كلام بعد القرآن يصدّقون و قد أبوا الايمان بالقرآن مع كونه معجزا قاطعا لاعذارهم و اللّه اعلم بالمراد.

النوبة الثالثة

قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ بسم اللّه كلمة من ذكرها نال في الدّنيا و العقبى بهجته و من عرفها بذل في طلبه مهجته. كلمة اذا استولت على قلب عطّلته عن كلّ شغل و اذا واظب على ذكرها عبد آمنته من كلّ هول. بنام او كه بر پادشاهان پادشاه است و پادشاهى وى نه بحشم و سپاهست، دوربين و نزديك دان و از نهان آگاهست. بينا بهر چيز، دانا بهر كار، و آگاه بهر گاه است؟ چه بانگ بلند او را، چه سرّ دل چه روز روشن، چه شب سياهست. بنام او كه از لطف اوست كه بمشتاق خود مشتاق است، و از نيك خدايى اوست كش بار هى خود عهد و ميثاق است:

آب و گل را زهره مهر تو كى بودى اگر ... هم بلطف خود نكردى در ازلشان اختيار؟!

اگر نه بلطف او بودى، كه يارستى كه ذكر او بخواب اندر بديدن ؟ ور نه عنايت او بودى، كرا بودى بحضرت او رسيدن؟
پير طريقت گفت در مناجات خويش: «الهى كدام زبان بستايش تو رسد؟ كدام خرد صفت تو برتابد؟ كدام شكر با نيكو كارى تو برابر آيد؟ كدام بنده بگزارد عبادت تو رسد؟ الهى از ما هر كرا بينى همه معيوب بينى، هر كردار كه بينى همه با تقصير بينى، با اين همه نه باران برّ مى باز ايستد، نه جز گل كرم ميرويد. چون با دشمن با سخط بچندين برّى، پس سود پسنديدگان را چه اندازه و آئين محبّان را چه پايان؟
مقام عارفان را چه حدّ؟ و شادى دوستان را چه كران؟
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً ربّ العالمين جلّ جلاله و تقدّست اسماؤه و تعالت صفاته درين آيات خود را بتوانايى و دانايى و مهربانى بخلق تعريف ميكند و منتهاى خود در كفايت خود بر ايشان ميپيدا كند. حجّت خود بر دشمن آشكارا ميكند و دوستان را نيك خدايى خود بيان ميكند، تا نه دوست را ريبت ماند، نه دشمن را معذرت.
وَ الْمُرْسَلاتِ عُرْفاً اللّه تعالى و تقدّس سوگند ياد ميكند بچهار باد مختلف بطبعهاى مختلف، از مخارج مختلف: يكى مرسلات، ديگر عاصفات، سوم ناشرات، چهارم فارقات. يكى گرم و نرم فصل بهار را، سبز گردانيدن باغها را، نشاط دادن درختان را، آراستن دشت و كوه را، آشكارا كردن نهانيهاى زمين را،

پیدا کردن قدرت و توانایی خود را. دیگر عاصفات، بطبع گرم و خشك، فصل تابستان را، زمین خشك گردانیدن را، میوه پختن و غلّه رسانیدن را، عاهت و آفت زمین سوختن را رنگها بنبات و میوه سپردن را، عزّت و قدرت خود آشکار کردن را. سوم ناشرات است سرد و نرم، فصل خریف را، سموم از هوا شستن را، و طبع زمستانی برفق با تابستان آمیختن را، و طبع تابستان بلطف با طبع زمستان پیوستن را. چهارم فارقاتست، بطبع سرد و خشك فصل زمستان را، دهان زمین باز گشادن را، و عفونت از خاك بر گرفتن را، و خزائن درختان مهر کردن را، و تف از پوست آدمی بباطن او گردانیدن را، قدرت و عزّت خود با خلق نمودن را. این چهار باد است جهان، از چهار روی جهان، در یك سرای نهان. فرو میگشاید جوق جوق، میفزاید موج موج، نه پیدا که از کجا در رسید، چون فرو نشست «3» برسید، نرم تر از آب، گرم تر از آتش، سخت تر از سنگ، بی لون و بی بوی و بی درنگ، برخاسته مکتوم و آرمیده معدوم.

و از این عجب تر آن دو باد است که از بینی و لب خیزد، گاه سرد و گاه گرم. بر اندازه میراند، گرم سرد میگرداند، و سرد گرم، تر خشك میکند و خشك تر، نرم سخت میسازد و سخت نرم، عزّت خود آشکارا میکند و قدرت خود مینماید. مؤمنان و موحّدان که در ازل ایشان را رقم سعادت کشیدهاند، و در سرای محبّت ایشان را بار دادهاند، و حیات طیّبه تحفه روزگار ایشان گردانیدهاند که: «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً» چون درین آیات و رایات قدرت تأمّل کنند و عجائب حکمت و لطائف نعمت بینند، بهار توحید از دلهای ایشان سر بر زند، درخت معرفت ببار آید، سایه انس افکند، چشمه حکمت گشاید، نرگس خلوت روید، یاسمن شوق بر دهد. اینست که ربّ العالمین گفت: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وَ عُيُونٍ، اليوم في ظلال التّوحيد، و غدا في ظلال حسن المزيد اليوم في ظلال المعارف، و غدا في ظلال اللّطائف، اليوم في ظلال التّعريف و غدا في ظلال التّشريف، يقال لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اليوم يشربون على ذكره و غدا يشربون على شهوده، اليوم يشربون على محبّته و غدا يشربون على مشاهدته. بجلال عزّ بار خدا که در خاصگیان او دل هست که در روزی سیصد و شصت بار از آن دل چنین بهاری با حضرت برند که بویی از آن دل بآفرینش ندهد و لهذا

يقول الحقّ جلّ جلاله: اوليائى في قبابى لا يعرفهم غيرى

یکی از ایشان شیخ بسطام است، قدّس روحه. شبی در مناجات بود، جهانی دید آرمیده مهتاب روشن متافت و ستارگان مرخشیدند، سکونی و آرامی در عالم افتاده نه از کس آوازی، نه از هیچ گوشه رازی و نیازی، با خود گفت: دریغا در گاهی بدین بزرگواری و چنین خالی؟ از غیب ندایی شنید که: ای بایزید تو پنداری که خالی است، پرده از گوشت برگرفتند، گوش فرا دار تا ناله سوختگان و زارندگان شنوی. بو یزید گفت: چهار گوشه عالم پیش من نهادند و از هر گوشهای نالهای شنیدم، از هر زاویهای سوزی و نیازی و از هر طرفی دردی و گدازی، همه جهان ناله اوّاهان گرفته و از زمین تا بآسمان یا ربها روان گشته. بو یزید خود را در جنب ایشان ناچیز دید، چون قطرهای در دریایی یا ذرّهای در هوایی. زبان حسرت و حیرت بگشاد، گفت: خداوندا در دریای شوق تو بسی غرق شدگانند، در بادیه ارادت تو بسی متحیّرانند، بر درگاه جلال تو بسی کشتگاناند، بر امید وصال تو بسی دلشدگانند، نه هیچ طالب را آرام و نه هیچ قاصد را رسیدن بکام. پیر طریقت اینجا سخنی نغز گفته، بزبان انکسار، بنعت

افتقار، لایق حال.
میگوید: الهی این سوز ما امروز درد آمیزست، نـه طـاقت بسـر بـردن نـه جـای گریز است. الهی این چه تیغ است کـه چـنین تیزسـت؟ نـه جـای آرام و نـه روی پرهیزست! الهی هر کس بر چیزی و من نـدانم بـر چهام؟! بیمم آنسـت کـه کی پدید آید که من کیم! الهی کان حسرت اسـت این تن من، مایـه درد و غم اسـت این دل من، منیارم گفت کین همه چرا بهره من، نه دست رسد مـرا بـر معـدن چاره من.